شرح
نواقض الإسلام

تأليف

حمد بن إبراهيم العثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبـه أستعيـن

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النَّار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ التَّوحيد أساس الملَّة، وأصل الدِّين، وشجرته، وحفظه مما يُبطله هو

أوجب الواجبات علىٰ كل مسلم، من أجل هذا كان القرآن كلُّه في بيان التَّوحيد والتَّحذير من الشِّرك.

ومن اهتدىٰ بالقرآن واتَّبع منهج الأنبياء في الدَّعوة إلىٰ الله؛ عظمت عنايته بتعليم التَّوحيد والتَّحذير من الشِّرك، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومتن «نواقض الإسلام» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب من جملة متونه المهمَّة في تبيين التَّوحيد، والتَّحذير ممَّا يبطله.

ومدارسة متن «نواقض الإسلام» ضرورة للعالم والمُتعلِّم، يأخذ بذلك المسلم ببعض أسباب حفظ إسلامه.

ولا يكتفىٰ في حفظ الإسلام بمحاذرة الكفر والشِّرك فقط، بل يجب علىٰ المسلم حفظ دينه من الكفر، وما يكون سببًا وبابًا إليه؛ من ذلك البدع، قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسرع النَّاس ردَّةً أهل الأهواء».

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مؤلَّفه هذا ذَكَر أشهر نواقض الإسلام، ولم يقصد حصر النَّواقض بهذه العشرة فقط، بدليل أنَّه ذكر غيرها في غير هذا المتن، من ذلك: تصديق الكهَّان في دعوىٰ علم الغيب، واعتقاد النُّجوم مؤثِّرة بنفسها في الحوادث الأرضية، وغيرها. وفي كتاب التَّوحيد شرح نواقض الإسلام الاعتقادية والقولية والعملية التي تضادُّ أصلَ التَّوحيد وحقيقة الإسلام.

وقصدت شرح هذا المتن؛ دعوة للخير وتواصيًا بالحقِّ، فإنَّ أوَّل الخير وأساسه وأصله توحيد الله، قال تعالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والله الموفق للنصيحة لكتابه ورسوله والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

[اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الإِسْلَامِ عَشْرَةُ نَوَاقِضَ:

الأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَمِنْهُ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ].

الشَّرْح:

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالشِّرك في ذكره لنواقض الإسلام؛ لأنَّه أغلظ النَّواقض وأعظمها فسادًا، ولأنَّ عامَّة النَّواقض ترجع إليه؛ كالحكم بغير شرع الله، وموالاة المشركين، والسِّحر؛ لأنَّ السَّحرة لا تعين إلَّا من أشرك بالله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ عبادة غير الله، والدَّعوة إلىٰ غيره، والشِّرك به؛ هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنَّما هو بالشِّرك به ومخالفة أمره».

وتحذير شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا من الشِّرك في ذكره لنواقض الإسلام؛ هو من الحكمة التي أوتيها، وكان عليها النبيُّون

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٤).

وأتباعهم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

قال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «نبَّه بهذا علىٰ أنَّ الحكمة الأصلية توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشكره».

وتحذير شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشِّرك في أوَّل مصنَّفه في نواقض الإسلام؛ هو من تحقُّقه بمعاني القرآن الدَّاعية للتَّوحيد الناهية عن الشِّرك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإِنَّ القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلُّ بهم في العقبىٰ من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم».

---

(١) رموز الكنوز (٦/ ٥٢).

(٢) مدارج السَّالكين (٣/ ٣٥٣).

والنبيُّ ﷺ قام بمعاني القرآن عبوديَّةً وتعليمًا ودعوة وجهادًا، شرح معاني القرآن وبيَّنها، ولم يزل علىٰ ذلك من أوَّل ما أُوحي إليه بالقرآن، وحتىٰ آخر أمره قبل أن يفارق الدُّنيا، يدعو إلىٰ التَّوحيد ويحذِّر من الشِّرك، يُعلِّم ذلك الذَّكر والأنثىٰ، الحرَّ والعبد، الصِّبيان والكبار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد قال ﷺ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**». فهو الذي يُتوكل عليه، ويستعان به، ويستغاث به، ويُخاف ويُرجىٰ ويُعبد، وتنيب القلوب إليه، لا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ منه إلا إليه، والقرآن كله يحقِّق هذا الأصل».

بدأ شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الشِّرك في أوَّل نواقض الإسلام؛ لأن هذا من تحقيقه لكلمة التَّوحيد، فالمسلم المتحقِّق بالتَّوحيد هو الذي يكفر بكل ما يُعبد من دون الله، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والمسلم يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة بالدَّعوة إلىٰ أوَّل الدِّين وآخره وحقيقته وهو توحيد الله، محاذرًا الشرك ومحذِّرًا للخلق منه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وقال تعالىٰ مخاطبًا نبيَّه ﷺ وأمَّته: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٦٧).

والدِّين كلُّه حقيقته في الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد والتَّحذير من الشِّرك، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود: ١، ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت: ٦، ٧].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «حصر الوحي بالتَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، مع أنَّه يُوحىٰ إليه أشياء أخرىٰ؛ كالصَّلاة والزَّكاة وغير ذلك، لكن لمَّا كان أهمُّ ما جاء به ﷺ التَّوحيد؛ حُصر الوحيُ به».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّ عبادة الله لا تتحقَّق إلا بالكفر بالطَّاغوت، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد الآية**[2]: «إنَّ عبادة الله لا تحصل إلَّا بالكفر بالطَّاغوت، ففيه معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]».

---

(١) تفسير سورة فُصلت (ص٤٥).

(٢) كتاب التَّوحيد، مسائل المقدمة، المسألة السَّابعة.

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه من أعظم الأمور مكابرة للفطرة الصَّحيحة والعقل الصَّريح، فكل مولود يُولد علىٰ فطرة التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وكلُّ عقل صريح يدلُّ علىٰ الواحد الإله الصَّمد، فالشِّرك مكابرة للعلوم الضَّروريَّة وإبطال للتَّوحيد.

وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ فساد وضلال احتجاج المشركين بتقليد آبائهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إذا احتجوا بالعادة الطبيعية من اتباع الآباء، كانت الحجة عليهم الفطرة الطبيعية العقلية السابقة لهذه العادة الأبوية.

كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»، فكانت الفطرة الموجبة للإسلام سابقة للتربية التي يحتجون بها، وهذا يقتضي أن نفس العقل الذي به يعرفون التوحيد حجة في بطلان الشرك، لا يحتاج ذلك إلىٰ رسول؛ فإنه جعل ما تقدم حجة عليهم بدون هذا».

وقال شيخ الإسلام متمِّمًا[٢]: «إن الله بكمال رحمته وإحسانه لا يُعذب أحدًا إلا بعد إرسال رسول إليهم».

وإرسال الله للرُّسل عليهم الصلاة والسلام؛ هو من إقامة الله للحجَّة علىٰ الخلق، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وليقوموا بتبيين كيف يوحد الخلق اللهَ بعبوديَّته، فإنَّ

(١، ٢) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٢٣١).

الفطرة والعقل لا تُدرك تفاصيل.

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ ليحقِّق الموحِّدون عبودية الله، وهذا لا يكون إلا بالتبتُّل إلىٰ الله وحده، وتجريد الإخلاص له بعبوديَّته والإعراض عمَّن سواه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنه لا يُوصف بأنه عابد لله، وعبده المستقيم علىٰ عبادته، إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتَّل إليه تبتيلًا؛ لم يلتفت إلىٰ غيره، ولم يُشرك به أحدًا في عبادته، وأنه وإن عبده وأشرك به غيره فليس عابدًا لله ولا عبدًا له».

والتَّحذير من الشِّرك هو من هجرانه، وهو أوَّل ما أمر الله به رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [المدثر: ١-٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾، قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ وهو الأصنام، ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري، وابن زيد: إنها الأوثان.

وقال إبراهيم، والضَّحَّاك: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: اترك المعصية».

وقال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «يحتمل أن المراد

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٦٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤/ ١٩٠٤).

بالرجز: الأصنام والأوثان، التي عُبِدَتْ مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها، ومما نُسب إليها من قول أو عمل، ويحتمل أن المراد بالرجز: أعمال الشرِّ كلُّها وأقواله، فيكون أمرًا له بترك الذنوب، صغارها وكبارها، ظاهرها وباطنها؛ فيدخل في هذا الشرك فَمَا دونه».

وقال تعالىٰ ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]، قال العلامة أبو المظفر السّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ قول الزُّور هو الشِّرك».

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]. قال عمرو بن مرَّة: «لا يمالئون أهل الشِّرك علىٰ شركهم ولا يخالطونهم»[٢].

وقال الضحَّاكُ[٣]: «كلام المشركين».

بدأ شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه أعظم الأشياء التي حذَّر منها النبيُّ ﷺ حيًّا، وكذلك وهو في فراش موته؛ لعظم شرِّه، فإنه ﷺ قال وهو في فراش الموت: «**لعن الله اليهود والنَّصارىٰ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قال الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: يُحذِّر ما صنعوا.

---

(١) تفسير القرآن (٣/ ٤٣٧).

(٢) اقتضاء الصِّراط المستقيم (١/ ٤٨١).

(٣) اقتضاء الصِّراط المستقيم (١/ ٤٨٠).

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك في ذكر نواقض الإسلام؛ اتباعًا لمنهج الأنبياء، وأخذًا للمسلمين بأسباب مجانبة الشِّرك والتَّحذير منه، قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فهذا من التَّحذير من الشِّرك الذي خافه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على بنيه.

وهذا من ملَّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي هي حنيفية التَّوحيد، وهي إنكار الشِّرك وتجريد التَّوحيد لله وحده، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ أي: مقبلًا على الله، معرضًا عمَّا سواه، قائمًا بالتَّوحيد، تاركًا للشِّرك والتَّنديد.

فهذا الذي في اتِّباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملَّته الكفر والغواية».

وقال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّه وصَّىٰ بنيه بالحنيفية لا باليهودية».

فالنبيُّون عليهم الصلاة والسلام منهجهم جميعًا الدَّعوة للتَّوحيد، والتَّحذير ممَّا يضادُّه ويبطله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥).

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنه الشيء الأعظم الذي أنكرته كل الرُّسل عليهم الصلاة والسَّلام، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

قال شيخنا العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المعنىٰ: إنَّك إنْ تسأل علىٰ الفَرْضِ والتَّخييرِ فلن تُجاب بـ(نَعَمْ)، بل سيكون الجواب: (لَا)، فهو من باب التحدِّي لهؤلاء المشركين الذين يَدَّعُون أنَّهُم عَلَىٰ حَقٍّ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن الأنبياء جميعهم وأممهم كانوا مسلمين مؤمنين موحدين، لم يكن قط دين يقبله الله غير الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّخرُف: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ؛ أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء ديننا واحد، وإن أولىٰ الناس بابن مريم لأنا؛ إنه ليس بيني وبينه نبيٌّ**»».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الله تعالىٰ مستحق أن نعبده،

(١) تفسير سورة الزخرف (ص١٦٨).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التَّفسير (٥/ ٥٢٦).

(٣) اقتضاء الصِّراط المستقيم (٢/ ٣٦٥).

لا نشرك به شيئًا، وهذا أصل التوحيد الذي بُعثت به الرسل، وأُنزلتْ به الكتب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الشِّرك؛ لأنَّه الناقض المبطل لكل الأعمال، فالأعمال صحَّتها وقبولها يتأسس علىٰ التَّوحيد، ومن أبطل توحيده بالشِّرك أبطل أعماله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، وقال تعالىٰ في شأن حبوط أعمال الكافرين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**أنا أغنىٰ الشركاء عن الشِّرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»، رواه مسلم.

حذَّر شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشِّرك؛ لأنَّه الجاهلية الكبرىٰ، فالشِّرك أعظم الجهل بالله، وهو كذلك أعظم الجهل بالأنداد والشُّركاء مع الله؛ فالشرك أصله وأساسه الجهل بالله.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس: ٦٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ظن طائفة أنَّ «ما» نافية، وقالوا: ما يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة، بل هم غير شركاء. وهذا خطأ، ولكن «ما» هنا حرف استفهام، والمعنىٰ: وأيُّ شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟ ما يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون.

و«شركاء» مفعول «يدعون»، لا مفعول «يتبع».

فإنَّ المشركين يدعون من دون الله شركاء كما قد أخبر الله عنهم بذلك في غير موضع، فالشُّركاء موصوفون في القرآن بأنَّهم يدعون من دون الله، ولم يوصفوا بأنَّهم يتبعون، وإنَّما يتبع الأئمَّة الذين كانوا يدعون هذه الآلهة.

ولهذا قال بعد هذا: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، ولو أراد أنَّهم ما اتبعوا شركاء في الحقيقة؛ لقال: «إن يتبعون إلا من ليسوا شركاء»، بل هو استفهام بيَّن به أن المشركين الذين دعوا من دون الله شركاء، ما اتبعوا إلا الظنَّ، ما اتَّبعوا علمًا.

فإنَّ المشرك لا يكون معه علم يطابق شركه؛ إذ العلم لا يكون إلَّا مطابقًا للمعلوم، والمشرك اعتقاده للشرك اعتقاد غير مطابق، وهو فيه ما يتبع إلَّا الظنَّ، وهو يخرص، يحرز حرزًا، وهو كذب وافتراء؛ كقوله ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه أعظم النَّواقض مضادَّة لدين الله.

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٨٧، ٨٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن أعظم الأضداد لدين الله هو الشرك. فجهاد المشركين من أعظم الجهاد، كما كان جهاد السابقين الأولين، وقد قال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله**».

وكلمة الله إما أن يُراد بها كلمة معينة، وهي التوحيد (لا إله إلا الله)؛ فيكون هذا من نمط الآية، وإما أن يُراد بها الجنس: أن يكون ما يقوله الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ هو الأعلىٰ علىٰ كل قول؛ وذلك هو الكتاب ثم السنَّة. فمن كان يقول بما قاله الرسول ﷺ، ويأمر بما أمر به، وينهىٰ عما نهىٰ عنه؛ فهو القائم بكلمة الله، ومن قال ما يخالف ذلك من الأقوال التي تخالف قول الرسول ﷺ؛ فهو الذي يستحق الجهاد».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه أعظم الأمور مضادَّة لمقصود خلق الإنسان وتسخير ما في السموات والأرض له، وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال العلامة عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هذا هو المعنىٰ الذي خَلَق الله لأجله، وشرع الشَّرائع لأجله، وجعل النِّعم الظَّاهرة والباطنة مقصودة لأجله، ومعينة عليه».

---

(١) الإخنائية (ص٣٧٩).

(٢) المواهب الربَّانية من الآيات القرآنية (ص٢٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ومن هذا قوله تعالىٰ عن صاحب ياسين؛ أنَّه قال لقومه محتجًّا عليهم بما تُقِرُّ به فطرهم وعقولهم: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس: ٢٢]، فتأمَّل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنًىٰ وأجلَّه، وهو أن كونه سبحانه فاطرًا لعباده يقتضي عبادتهم له، وأنَّ من كان مفطورًا مخلوقًا فحقيق به أن يعبُد فاطره وخالقه، ولا سيما إذا كان مردُّه إليه، فمبدؤه منه ومصيره إليه، وهذا يوجب عليه التفرُّغ لعبادته».

وأوَّل الهداية وأصلها وأساسها؛ الاعتقاد الصَّحيح بتوحيد الله ومحاذرة الشِّرك، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٥-٧].

قال العلامة عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الصراط المستقيم؛ المعتدل الموصل إلىٰ الله وإلىٰ جنَّته وكرامته، وهذا يشمل الهداية إلىٰ الصراط، وهي التوفيق للزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان الباطلة، ويشمل الهداية في الصراط وقت سلوكه علمًا وعملًا؛ فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا أوجبه الله ويسَّره. وهذا الصراط هو طريق و﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: بالنعمة التامة المتصلة بالسعادة الأبدية، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: وهم الذين عرفوا الحق

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (٢/ ٨٧٩).

(٢) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص١٣).

وتركوه؛ كاليهود ونحوهم، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: الذين ضلوا عن الحق؛ كالنصارىٰ ونحوهم».

فالتَّحذير من الشِّرك والأمر بالتَّوحيد من الهداية إلىٰ صراط الله المستقيم، وهو أوَّل العلم وأساسه، وأوجب ما أمر الله ببيانه والدَّعوة إليه.

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّ هذا من البراء من الشِّرك والمشركين، الذي هو من توحيد الله والإخلاص له وحده لا شريك له.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]، ففي البراءة من الشرك والكفر والكافرين وإنكاره تحقيق التَّوحيد القصدي العملي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «بهذا يتميَّز عباد الله المخلصون الذين لم يعبدوا إلا إيَّاه، ممَّن عبد غيره وأشرك به».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذه الكلمة - لا إله إلا الله - دلَّتْ علىٰ نفي الشرك والبراءة منه والإخلاص لله وحده لا شريك له، مطابقة، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: «لا إله إلا الله»، كما هو

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٩٥).

(٢) قرَّة عيون الموحدين (ص٣٠).

حال كثير من عبدة الأوثان، يقولون: «لا إله إلا الله» وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويعادون أهله، وينصرون الشرك وأهله، وقد قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لتزكية المسلمين في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، وأحكامهم وتجاراتهم وسياساتهم؛ فالشِّرك مفسد للأديان، والتَّوحيد زكاء وبركة وحسن عاقبة في الدَّارين؛ قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٤، ١٥]، فهذه عاقبة تحقيق التَّوحيد، وقال تعالىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت: ٦، ٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب؛ فإنه يتضمَّن نفي إلهية ما سوىٰ الحق من القلب - وذلك طهارة -، وإثبات إلهيته سبحانه - وهو أصل كل زكاة ونماء -، فإن التزكي وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة؛ فإنه إنما يحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكِّي ينتظم الأمرين جميعًا، فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح: هو التوحيد، والتزكية جَعْلُ الشيء زكيًّا: إما في ذاته؛ وإما في الاعتقاد والخبر».

فالنَّاس إذا عبدوا الله ولم يشركوا به شيئًا؛ نالوا رضا الله، وأدركوا الحياة

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ١٠٧، ١٠٨).

الطيِّبة في الدُّنيا والآخرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الحياة الطيبة هي التي خص بها سبحانه من قَبِلَ وحيَه وعمل به، فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]؛ فخصَّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالحياة الطيبة في الدارين».

حذَّر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا من الشِّرك؛ لأنَّه باعتقاده أو فعله يصير المرء من شرار الخلق عند الله؛ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصُّوَر، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجلُ الصَّالحُ، أو العبد الصَّالح، بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ؛ أولئك شرار الخلق عند الله**»، رواه البخاري ومسلم.

فالتَّحذير من الشِّرك هو من الرَّحمة بالمخلوقين، فإنَّ المسلمين إذا اجتنبوه وحقَّقوا التَّوحيد؛ أدركتهم رحمة الله وذهب عنهم موجبات سخطه وغضبه.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «نهىٰ الله ورسوله عن كل سبب يوصل إلىٰ الشِّرك، وذلك رحمةً بالمؤمنين؛ ليتحقَّقوا بالقيام بما خُلقوا له من عبوديَّة الله الظَّاهرة والباطنة وتكميلها؛ لتكمل لهم السَّعادة والفلاح».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّ

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٦٦).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٧٧).

ذلك من إقامة الدِّين، فإقامة الدِّين تكون بالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، وحفظه من التفرُّق عنه بالشِّرك والبدع، وكل ما يضادُّ شرع الله الذي أرسل الله به رسله عليهم السلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ليست أمة متمسكة بالتوحيد إلا أتباع الرسل، قال الله سبحانه: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣]؛ فأخبر أنَّ دينه الذي يدعو إليه المرسلون كَبُر علىٰ المشركين، فما الناس إلا تابع لهم أو مشرك».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك في ذكره لأنواع نواقض الإسلام؛ لأنَّه الذنب الذي لا يغفره الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

والشِّرك بالله هو قول علىٰ الله غير الحق، وهذا ما وعظ به الله أهل الكتاب عن شركهم وغلوِّهم في المسيح ابن مريم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٧١]، فالقول بأن المسيح إله أو ثالث ثلاثة هو قول غير الحق، بل هو عبد الله ورسوله، عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

---

(١) الصارم المسلول (ص٢٥٠).

وهكذا قال النبيون - عليهم السلام - لمشركي أقوامهم؛ قالوا لهم: إن شرككم جهل بالله، كما قال موسىٰ لبني إسرائيل: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، عندما قالوا له: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

فالشرك هو من أنواع القول علىٰ الله بلا علم، وهو أعظم الذنوب؛ لإبطاله حقيقة الدِّين، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا أعظم المحرَّمَات عند الله وأشدها إثمًا؛ فإنه يتضمَّن الكذب علىٰ الله ونسبته إلىٰ ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حقَّقه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أُسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول علىٰ الله بلا علم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الشِّرك وسائر البدع مبناها علىٰ الكذب والافتراء».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنه أعظم الأشياء إركاسًا للإنسان في الضَّلالة، والهوي به أسفل سافلين؛ فهو

(١) مدارج السَّالكين (١/ ٣٠٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨١).

الأساس للشرِّ وانحطاط الأفراد والشُّعوب والأمم.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤-٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المعبود الذي يستحق العبادة لذاته؛ هو الله لا إله إلا هو، فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. وكلُّ عملٍ لا يُراد به وجهه فهو باطل، وكلُّ عامل لا يكون عمله لله، بل لغيره، وهو المشرك؛ فإنه كما قال تعالىٰ: ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] ؛ فإنَّ قوام الشيء بطبيعته الخاصَّة به؛ فالحيُّ قوامه بطبيعته المستلزمة لحركته الإراديَّة، وقوامها بالمراد لذاته، فإذا لم تكن حركتها لإرادة المعبود لذاته؛ لم يكن لنفسه قوام، بل بقيت ساقطة خارَّة، كما ذكر الله تعالىٰ؛ ولهذا يهوي في الهاوية، وهو ذنب لا يُغفر؛ لأنه فسد الأصل، كالمريض الذي فسد قلبه، لا ينفع مع ذلك إصلاح أعضائه».

بدأ شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك وهو يذكر نواقض الإسلام؛ لأنَّه أعظم الظُّلم، قال تعالىٰ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وهو أعظم الذُّنوب، فقد سأل عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنبِ أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»، رواه مسلم.

---

(١) النبوات (١/ ٣٧٦).

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن من أظلم الظلم، وأقبح القبيح، وأعظم الضلال؛ أن يعدل عن عبادته إلىٰ عبادة العبيد، وأن يشرك المخلوقين من تراب بالرب العظيم، وأن يسوَّىٰ المخلوق العاجز القاصر الناقص من كل وجهٍ بالرب الخالق المدبِّر القوي، الذي قهر كل شيء، وخضعت له الرقاب».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الشرك في أول نواقض الإسلام؛ نصيحة للخلق، لكثرة ما أصاب النَّاس من أنواعه إلا من رحم الله، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرَّمات، كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبيِّ ﷺ؛ عبدوا القبور، والمشاهد، والأشجار، والأحجار، والطواغيت، والجن، كما عبد أولئك اللاتَ، والعزىٰ، ومناة، وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك دينًا».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك لأنَّه هو الذي يهدم بنيان الإسلام ويزيل التَّوحيد.

قال تعالىٰ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ

(١) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (٢٨).

(٢) قرَّة عيون الموحدين (ص١٩).

بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

فالتَّحذير من الشِّرك، وبيان مناقضته للإسلام وهدمه له؛ يوجب علىٰ المسلمين تأسيس بنيانهم علىٰ التَّوحيد، وحفظه وإحكامه، وطلب أسباب درأ ما يهدمه بالعلم والتَّحقُّق بالتَّوحيد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن علوَّ البنيان علىٰ قدر توثيق الأساس وإحكامه. فالأعمال والدرجات بنيان، وأساسها الإيمان، ومتىٰ كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتُلي عليه، وإذا تَهدَّم شيء من البنيان سهل تداركه. وإذا كان الأساس غير وثيق؛ لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدَّم شيء من الأساس سقط البنيان.

فالعارف همَّتُه تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع البناء علىٰ غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وأقام الأدلة والبراهين علىٰ صحَّته وتعيّنه طريقًا للنجاة، وأنَّه لا خير ولا سرور ولا سعادة في الدُّنيا والآخرة إلا بسببه، وهو الذي أعدَّ الله لأهله ومن قام به أنواع الكرامات، ولمن لم يقم به أنواع العقوبات، وهو الذي عليه المدار والأساس لجميع الأعمال؛ فكلُّ عملٍ غير مبني علىٰ التوحيد فهو

---

(١) الفوائد (ص٣٥٠ - ٣٥٣).

(٢) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين (ص١٢)، مجموع مؤلَّفات العلامة عبد الرَّحمن السّعدي (٦/ ٣٤٣).

مضمحل، وكل بناء علىٰ غيره فهو بناء علىٰ شفا جرف هار، وهو التوحيد الذي عليه خيار الخلق، وأكملهم عقولًا وآراءً وأجمعهم للمحاسن، وهم الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم.

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك في أوَّل نواقض الإسلام؛ لخشية النبيِّ ﷺ من عودته إلىٰ المسلمين بعد ظهور التَّوحيد في جزيرة العرب بعد فتح مكَّة.

فقد روىٰ أحمد وأبو داود من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم السَّاعة حتَّىٰ يلْحَق حيٌّ من أُمَّتي بالمشركين، وحتَّىٰ تَعْبُد فئام من أُمَّتي الأوثان**».

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المعنىٰ: أنَّهم يَنْزِلُون معهم في ديارهم، ويَصِيرُون منهم، بالرِّدَّة ونحوها».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم السَّاعة حَتَّىٰ تضطرب أليات نساءِ دوس حول ذي الخَلَصَةِ**».

وذو الخَلَصَة: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهليَّة[(٢)].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يذهب اللَّيْلُ والنَّهار حتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ والعُزَّىٰ**»، رواه مسلم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٦٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١/ ٧٦٤).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الفئام مهموز: الكثيرة، قاله أبو السَّعادات.

وهذا هو شاهد الترجمة.

وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان، حتَّىٰ إنَّه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخِّرة أنكر ما وقع من ذلك، حتىٰ أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، الذي أنكره ونهىٰ عنه، ودعا الناس إلىٰ تركه، وإلىٰ أن يعبدوا الله وحده لا شريك له في ربوبيَّته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فرماه الملوك وأتباعهم بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره علىٰ من ناوأهم، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك، وهو يحذِّر من نواقض الإسلام؛ لقبح الشِّرك فطرةً وعقلًا وسمعًا، وبمعرفة أوصاف ما عُدل به عن الله، وما عُبد مع الله أو من دونه؛ يتبيَّن هذا القبح الذي به يتبيَّن ضلال المشركين وفساد عقولهم وانحراف فطرهم.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عُبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها فقيرة إلىٰ الله من كل وجه، ناقصة من كل وجه، لا تملك لنفسها، ولا لمن عبدها نفعًا ولا ضرًّا، ولا

---

(١) قرَّة عيون الموَحدين (ص١٣٤).

(٢) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص٢٣).

موتًا ولا حياة ولا نشورًا؛ فالعلم بذلك يُعلم به بطلان إلهيتها، وأنَّ ما يدعون من دون الله هو الباطل، وأن الله هو الإله الحقُّ المبين».

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فتبًّا لعقول عبدت الحجارة والتَّمرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قبحُ الشرك والكفر مستقرٌّ في العقول والفطر، معلوم لمن كان له قلب حي، وعقل سليم، وفطرة صحيحة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]».

ومن أعظم ما زَجَر به شيخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ النَّاسَ عن الشِّرك، ووعظهم عنه في كتاب التَّوحيد؛ بيان كمال الله ونقص الأنداد، وجَعَل لذلك بابًا خاصًّا(٢)، باب قول الله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **شارحًا**(٣): «هذا شروع في براهين

---

(١) مدارج السَّالكين (٣/ ٣٨٦).

(٢) كتاب التَّوحيد، (ص٥٩).

(٣) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٥٦).

التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره.

فتقدَّم أن التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها، فالمنفرد بالخلق والتدبير، والمتوحِّد في الكمال المطلق من جميع الوجوه؛ هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين، ومن عُبِدَ مع الله؛ فإنَّ جميع ما يعبدُ من دون الله من ملكٍ وبشرٍ، ومن شجر وحجر وغيرها؛ كلهم فقراء إلىٰ الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون، ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، والله تعالىٰ هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبِّر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فأيُّ برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ؛ فهو دليل عقلي فطري كما أنه دليل سمعي نقلي علىٰ وجوب توحيد الله وأنه الحق، وعلىٰ بُطْلان الشرك».

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذَّر أولًا من الشِّرك في مصنَّفه «نواقض الإسلام»؛ لأنَّه أعظم الأمور فسادًا، قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أي:

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٨٨٥، ٨٨٦).

لو كان في السموات والأرض آلهة تُعبد غيرُ الله؛ لفسدتا وبطلتا، ولم يقل: أرباب، بل قال: آلهة، والإله هو المعبود المألوه، وهذا يدلُّ علىٰ أنه من الممتنع المستحيل عقلًا أن يَشْرَع الله عبادة غيره أبدًا، وأنَّه لو كان معه معبود سواه لفسدت السموات والأرض.

فقُبْحُ عبادةِ غيره قد استقرَّ في الفطر والعقول، وإن لم يرد بالنهي عنه شرعٌ، بل العقل يدلُّ علىٰ أنه أقبح القبيح علىٰ الإطلاق، وأنه من المحال أن يشرعه الله قطُّ؛ فصلاح العالم في أن يكون الله وحده هو المعبود، وفساده وهلاكه في أن يُعبد معه غيره، ومحال أن يشرع لعباده ما فيه فساد العالم وهلاكه، بل هو المنزَّهُ عن ذلك».

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، والفساد أنواع، أعظمه وشره هو الشِّرك، والبدع والمعاصي من فروعه.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلىٰ غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلىٰ طاعة الله؛ فإن عبادة غير الله والدعوة إلىٰ غيره والشرك به، هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «فالشرك والدعوة إلىٰ غير الله، وإقامة

(١، ٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٤).

معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ؛ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ﷺ ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته؛ فلا سمع له ولا طاعة، فإنَّ الله أصلح الأرض برسوله ودينه، وبالأمر بتوحيده، ونهىٰ عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله ﷺ.

ومن تدبَّر أحوالَ العالم؛ وَجَد كلَّ صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته عَزَّوَجَلَّ وطاعة رسوله ﷺ، وكل شرٍّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببه مخالفة رسوله ﷺ والدعوة إلىٰ غير الله ورسوله».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك في مصنَّف «نواقض الإسلام»؛ لأنه الشيء الذي ما قام ولا يمكن أن يقوم عليه أيُّ دليل، أمَّا التَّوحيد فكل ا لآيات المقروءة والمشاهدة تدلُّ عليه وتدعو إليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وكلما ذكر الله جدال المشركين عن ضلال شركهم؛ نفىٰ أن يكون لهم في ذلك سلطان، أي: حجة صحيحة.

فالشِّرك أعظم الكذب وأشدُّ الفرية علىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب، يعني: ما أعظم كفره! وإنما كان كفر الإنسان عظيمًا؛ لأن الله أعطاه عقلًا، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وأمدَّه بكل ما يحتاج إلىٰ التصديق، ومع ذلك كَفَر؛ فيكون كفره عظيمًا».

والقول الآخر في تفسير الآية: أنَّ ﴿مَآ﴾ استفهامية، أيْ: أيّ شيء أكفره؟ [٢] والاستفهام للنفي؛ لعدم وجود الدليل عليه.

وتحذير الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشِّرك؛ هو من دعوته عباد الله وخلقه إلىٰ الجنَّة، فما أحسن دعوته! وما أعظم فضله علىٰ النَّاس في الأخذ بأيديهم إلىٰ أسباب دخول الجنَّة! قال تعالىٰ في فرق ما بين دعوة الموحِّدين والمشركين: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ هذه الجملة تعليل لما سبق، والمشار إليه فيها أهل الشرك، أي: يدعون الناس إلىٰ النار بأقوالهم، وأفعالهم، وأموالهم؛ حتىٰ إنهم يبنون المدارس،

(١، ٢) تفسير جزء عم (ص٦٤).

(٣) تفسير سورة البقرة (٣/ ٧٧).

والمستشفيات، ويلاطفون الناس في معاملتهم خداعًا، ومكرًا. ولكن قد بيَّن الله نتيجةَ عملهم في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]».

بدأ شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه أشدُّ الأمور بُغضًا إلىٰ الله وعداوةً له.

قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، قال العلَّامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أمر بدعائه وعبادته، وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم الذين يدعون معه غيره؛ فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا؛ فإن أعظم العدوان الشِّرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه أعظم الافتراء علىٰ الله، والموحِّدون من أشدِّ النَّاس نفرةً وكراهية للشِّرك من أجل ذلك، ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٩].

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنه لا أعظم افتراءً ممن جعل لله شريكًا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ ولدًا ولا صاحبة، ولا شريكًا في الملك».

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٠٤).

وقال سيد الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للمشركين: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦﴾ [الصافات: ٨٦].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أي: أتعبدون من دونه آلهة كذبًا، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة».

وقال الفتية الموحدون من أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤﴾ [الكهف: ١٤].

وكلمة الشرك أخبث كلمة، وأعظمها افتراءً علىٰ الله، يجتثها الله بمن يصطفيهم من عباده الموحدين الذين يدعون إلىٰ عبوديته وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

حذَّر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا من الشِّرك؛ لأنَّه تعطيل لعبوديَّة الله، ومتىٰ غلب الشِّرك علىٰ الأرض فقد قامت أسباب زوال السموات والأرض.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أي: أيَّ شيءٍ يعبأ بكم لولا عبادتكم إيَّاه».

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٤٦).

(٢) جلاء الأفهام (ص٢٥٤).

ابتدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه أعظم ما يُسأل عنه المخلوقون يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص: ٦٢-٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يقول تعالىٰ مُخبرًا عما يُوبِّخ به الكفار المشركين يوم القيامة، حيث يناديهم فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا، من الأصنام والأنداد؛ هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ وهذا علىٰ سبيل التقريع والتهديد، كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣] يعني: من الشياطين والمَرَدَة والدعاة إلىٰ الكفر، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]؛ فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم، ثم تبرؤوا من عبادتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٨٢).

مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقال الخليل عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك في مصنَّفه «نواقض الإسلام»؛ لأنَّه السيِّئة التي تحيط بصاحبها، فلا يكون له سبيل إلا إلىٰ النَّار خالدًا لا يخرج منها أبدًا.

قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ إحاطة الخطيئة تتضمَّن أعظم الخطايا والموت عليها».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٢]: «أن المراد بالسيئة الشِّرك، والمشرك له خطايا أُخر غير الشرك، فذكر أن خطاياه أحاطت به فلم يتب منها.

وعلىٰ هذا فيكون الخلود في الآية خلود الكفار، ولهذا قابله بخلود المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (١/ ٢٦٠).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (١/ ٢٦٢).

[البقرة: ٨٢].

وأيضًا فقوله: ﴿سَيِّئَةً﴾ نكرة، وليس المراد جنس السيئات بالاتفاق، فلو كسب شيئًا من السيئات الصغائر ومات مُصِرًّا علىٰ ذلك مع إيمانه وكثرة حسناته؛ لم يستحق هذا الوعيد بالكتاب والسنَّة والإجماع.

وأيضًا فلفظ «السيئة» قد جاء في غير موضع وأُريد به الشرك».

وقال شيخ الإسلام[1]: «قول السلف: السيئة: الشرك، لم يريدوا به أن سائر الذنوب لم تدخل في السيئة، بل الشرك داخل فيها، ويدخل معه سائر السيئات؛ ولهذا قال: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١]، وفي القراءة الأخرىٰ: ﴿**خطيئاته**﴾».

بدأ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّحذير من الشِّرك؛ لأنَّه الموجب للخلود في النَّار، والتَّوحيد الموجب للخلود في الجنَّة هو الذي خلص لله عَزَّوَجَلَّ وتجرَّد عن الشِّرك وأدرانه.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من مات يُشْرك بالله شيئًا دخل النَّار**».

وقلت أنا - عبد الله بن مسعود -: ومن مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «السيئة التي مَن جاء بها كُبَّ وجهه

(١) تفسير شيخ الإسلام (١/ ٢٦٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدَّليل علىٰ أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، وأن منْ مات مشركًا دخل النَّار (ص٥٤ - رقم ٢٦٨).

(٣) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٢٥، ١٢٦).

في النار؛ هي الشرك، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. والموجبتان: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئًا دخل النار.

وكثير من الناس أو أكثرهم يدخل في الإيمان والتوحيد، ثم ينافق من جهة كسب الذنوب ورينها علىٰ القلوب، أو يدخل في نوع من الشرك والنفاق.

والشرك نوعان أكبر وأصغر، فمن خلص منهما؛ وجبت له الجنَّة، ومن مات علىٰ الشرك الأكبر؛ وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة علىٰ ذنوبه دخل الجنة؛ فإن تلك الحسنات هي توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر، ومن خلص من الشرك الأكبر ولكن كبر شركه الأصغر حتىٰ رجحت به سيئاته؛ دخل النار».

حذَّر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا من الشِّرك؛ لأنَّه أعظم الأمور كفرًا بربوبيَّة الله، ولذلك قصد الموحدون عبادة الله وحده لا شريك له؛ لأنَّه رب العالمين.

قال الفتية الموحدون من أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ فأمرهم بعبادة ربِّهم، وفي

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١١٣).

ضمن هذه الكلمة البرهان القطعي علىٰ وجوب عبادته؛ لأنه إذا كان ربنا الذي يربينا بنعمه وإحسانه، وهو مالك ذواتنا ورقابنا وأنفسنا وكل ذرة من العبد فمملوكة له ملكًا خالصًا حقيقيًّا، وقد ربَّاه بإحسانه إليه وإنعامه عليه؛ فعبادته له وشكره إياه واجب عليه، ولهذا قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ ولم يقل: إلهكم. والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح، والله تعالىٰ هو الربُّ بهذه الاعتبارات كلها، فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة مَنْ هذا شأنه وحده لا شريك له».

وقال سيدُ الحنفاء إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه وقومه المشركين: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

قال شيخنا العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٧]، لم يقل: إلَّا الله. من أجل أن يقيم الدَّليل علىٰ أنه لا يستحقُّ العبادة إلَّا هو، فالذي فطرك أوَّل مَرَّة وأوجدك من العدم هو الذي يستحق أن يُعبد؛ لأنَّه الذي خلقك، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١]، ومعلوم أنَّ الرَّبَّ خالقٌ، لكنَّه أتىٰ بقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾، وهو معلوم؛ ليقيم الحُجَّة علىٰ أنه المستحقُّ للعبادة وحده».

وقد أنكر الله علىٰ المشركين اتِّخاذهم الأنداد مع الله الذي لا ندَّ له في كماله وربوبيَّته، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا

---

(١) تفسير سورة الزُّخرف (ص١١٦، ١١٧)، باختصار.

يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أي: أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تُناظِرُ الربَّ وتُماثِلُه في الخَلْق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره؟! أي: ليس الأمر كذلك؛ فإنه لا يشابهه شيء، ولا يماثله، ولا نِدَّ له ولا عِدْل له، ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».

حذَّر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولًا من الشِّرك؛ لأنَّه سبب هوان الخلق علىٰ الله، وسبب انتقامه منهم، وسبب شقاء المشركين، فالشِّرك وشعبه وفروعه من أسباب شقاء النَّاس.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقال تعالىٰ ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

وقال النبيُّ ﷺ: «**تعس عبْدُ الدِّينار، تعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**».

حذَّر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الشِّرك أولًا؛ لأنَّه سوء الظَّنِّ بربِّ العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٧٤٢).

﴿وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لم يُجمع علىٰ أحد من الوعيد والعقوبة ما جُمع علىٰ أهل الإشراك، فإنهم ظنوا به ظن السوء، حتىٰ أشركوا به، ولو أحسنوا به الظنَّ لوحَّدوه حق توحيده».

حقيقة الشِّرك ومعناه

والتَّحذير من الشِّرك يقتضي تبيينه ليجتنبه المسلمون، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المشرك هو من جعل لله شريكًا فيما يختص به؛ سواء كان ذلك في الربوبية، أو في الألوهية، أو في الأسماء والصفات؛ فمن اتخذ إلهًا يعبده فهو مشرك - ولو آمن بأن الله خالق للكون -، ومن اعتقد أن مع الله خالقًا للكون، أو منفردًا بشيء في الكون، أو معينًا لله تعالىٰ في خلق شيء من الكون؛ فهو مشرك».

وبيَّن الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محاجَّته للمشركين ما جهلوه من معنىٰ الشِّرك؛ فإنَّ من أخلص لله وعرف الشِّرك اجتنبه، ومن ضلَّ بسبب جهله أو سوء قصده وقع فيه.

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٧، ١٢٨).

(٢) تفسير سورة البقرة (٣/ ٧٦).

(٣) كشف الشُّبهات (ص٢٩-٣٤).

الْأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَخْشَابَ وَالْأَحْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يُونُس: ٣١].

وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَنْ قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بِنْيَةً عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَىٰ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا.

فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ - أَيْضًا -: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟

فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَوْ عِيسَىٰ أَوِ الصَّالِحِينَ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ. فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ. فَقُلْ: وَمَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ. فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ الْقُرْآنُ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا

وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ؟

وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ؛ بَيَّنْتَ لَهُ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَه فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ، حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنَّما يكفرون لمَّا قالوا: الملائكة بنات الله. فإنَّا لم نقل: عبد القادر ابنُ الله ولا غيره.

فالجواب: إنَّ نسبة الولد إلىٰ الله كفر مستقلٌّ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، والأحد: الذي لا نظير له، والصَّمَدُ: المقصود في الحوائج.

فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السُّورة، وقال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ففرَّق بين النَّوعين، وجعل كلًّا منهما كُفْرًا مُسْتقلًّا، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بين كُفْرَين.

والدليلُ علىٰ هذا أيضًا: أنَّ الذين كفروا بدعاء اللَّات مع كونه رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابنَ الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك. وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب «حكم المرتَدِّ» أنَّ المسلمَ إذا زعم أنَّ لله ولدًا فهو مرتد، ويُفرِّقون بين النَّوعين، وهذا في غاية الوضوح».

كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله» نفسها فيها بيان معنىٰ التَّوحيد وما يضادّه من

الشِّرك، وأنَّ الله وحده هو المستحق للعبوديَّة الذي تتألّهه قلوب الموحِّدين محبَّة وتعظيمًا ورغبة ورهبة ورجاءً، وتكفر بكل ما يُعبد من دون الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا ريب أنَّ الله ألزم الخلق التوحيد، وأمرهم به، و قضىٰ به، وحكم، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]: وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وهذا كثير في القرآن يوجب علىٰ العباد عبادته وتوحيده، ويُحرِّم عليهم عبادة ما سواه، فقد حكم وقضىٰ: أنَّه لا إله إلَّا هو».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الله سبحانه هو المستحق للعبادة لذاته؛ لأنَّه المألوه المعبود، الذي تألهه القلوب وترغب إليه، وتفزع إليه عند الشَّدائد، وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبوديَّة، فكيف يصلح أن يكون إلهًا؟!

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [الزُّخرُف: ١٥]».

وقال العلَّامة مبارك بن محمَّد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «يدخل المرء في الإسلام

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التَّفسير (٢/ ٤٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٨٨).

(٣) الشِّرك ومظاهره (ص٤٩).

بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ثم قال[١]: «محصّل الجملتين أن لا يُعبد إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، وأن لا يُعبد إلَّا بما شرعه علىٰ لسان رسوله ﷺ، وعلىٰ هذين الأصلين انبنىٰ الإسلام، وكل ما في الكتاب والسُّنَّة تفصيل لما تضمَّنه هذان الأصلان».

وقال الميلي أيضًا[٢]: «الدَّاعي إلىٰ الكتاب والسُّنَّة وتفهُّمهما إنَّما هو داعٍ لتحقيق كلمتي الشَّهادة، ولهذا تجد فيهما وفي كلام السَّلف الحثُّ علىٰ تعلُّمهما واتِّباعهما وتحكيمهما عند النِّزاع، والتَّحذير من مخالفتهما».

وبيَّن شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشِّرك وأنواعه بتبيين معنىٰ التَّوحيد والألوهيَّة لله؛ لأن الشِّرك مضادّ للتَّوحيد، فبيَّن التَّوحيد بتبيين معنىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله وكذلك بتبيين معنىٰ شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إن النبيَّ ﷺ لم يشرع لأمته أن تدعو أحدًا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرَهم، بل نعلم أنَّه نهىٰ عن هذه الأمور كلِّها، وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ٥،٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣]،

---

(١) الشِّرك ومظاهرة (ص٤٩).

(٢) الشِّرك ومظاهره (ص٥٠).

(٣) رسالة إلىٰ عبد الله الصَّنعاني (ص٦٠)، المجلَّد الثَّالث من مؤلَّفات الشَّيخ.

وقال: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس: ١٠٦]، **وهذا من معنىٰ «لا إله إلا الله»**؛ فإنَّ «لا» هذه النافية للجنس، فتنفي جميع الآلهة، و«إلا» حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، و«الإله» اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل، ثُمَّ غلب علىٰ المعبود بحق وهو الله تعالىٰ، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبِّر الأمور، «والتألُّه» التعبُّد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ثم ذكر الدليل فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا ﴾ [البقرة: ١٦٤، ١٦٥] الآية.

وأمَّا متابعة الرسول ﷺ فواجب علىٰ أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] الآية، وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»، فتُوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله؛ فما وافق منها قُبل، وما خالف رُدَّ علىٰ فاعله كائنًا من كان، فإنَّ شهادة أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ تتضمن تصديقَه فيما أخبرَ به، وطاعته ومتابعته في كل ما أَمر به، وقد روىٰ البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**». قيل: ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**».

والتَّوحيد هو عبوديَّة الله والتألُّه بالعمل له، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]».

والشِّرك هو عبوديَّة غير الله، أو ترك عبوديَّة الله، قال تعالىٰ ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَت: ٦، ٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وقال مجاهد: لا يزكون أعمالهم، أي: ليست زاكية، وقيل: لا يطهرونها بالإخلاص، كأنه أراد - والله أعلم - أهل الرياء؛ فإنه شرك.

وعن الحسن: لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرون بها.

وعن الضحاك: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة.

وعن ابن السائب: لا يعطون زكاة أموالهم، قال: كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون.

والتحقيق: **أنَّ الآية تتناول كل ما يتزكىٰ به الإنسان من التوحيد والأعمال الصالحة**، كقوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات: ١٨]، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤﴾ [الأعلىٰ: ١٤]، والصدقة المفروضة لم تكن فُرضت عند نزولها».

فمن تألَّه لله بعبادته وحده فهو من الموحِّدين، ومن لم يعبد الله فهو من الكافرين، والجهميَّة غاية توحيدهم هو المعرفة، فاحذرهم فإنَّهم ليسوا من أهل القبلة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمَّة السُّنَّة: أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرَّده، ولا معرفة القلب مع ذلك، بل لا بد فيه من عمل القلب، وهو حبُّه لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ، وانقياده لدينه،

---

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التَّفسير (٥/ ٤٥٦).

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٢٥٩).

والتزامه طاعته ومتابعة رسوله ﷺ».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لابُدَّ أن يكون الإنسان موحدًا بقلبه وقوله وعمله، فإن كان موحدًا بقلبه ولكنه لم يوحِّد بقوله أو بعمله فإنَّه غير صادق في دعواه؛ لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل؛ لقول النبي ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»».

والشِّرك ضدّ التَّوحيد، والتَّوحيد قسمان ونوعان: توحيد معرفة وإثبات، وتوحيد قصد وطلب، والشِّرك ما أبطل أو عطَّل أو ضادّ هذين النَّوعين.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «علم التوحيد، الذي أساسه: إثبات الأسماء والصفات، وضده: التعطيل والنفي والتجهم، فهذا التوحيد يقابله التعطيل.

وأما التوحيد القصدي الإرادي الذي هو إخلاص العمل لله وعبادته وحده؛ فيقابله الشرك، والتعطيل شرٌّ من الشرك؛ فإن المعطل جاحد للذات أو لكمالها، وهو جحد لحقيقة الإلهية».

ومن الشِّرك تشبيه الخالق بالمخلوق - تعالىٰ الله عن النِّد والمثل والشَّبيه -، وطوائف وفرق المبتدعة في أسماء الله وصفاته ضلالهم في توحيد الأسماء والصِّفات يتفاوت تغليظه، فالغلاة منهم شبَّهوا الخالق بالمخلوق كالمقاتلية، ومن

(١) شرح كشف الشبهات (ص١٣١).

(٢) مدارج السَّالكين (٢/ ٣٢٥).

الغلاة من عطَّل الأسماء والصِّفات كالجهميَّة، والمعتزلة الغلاة أنكروا الصِّفات، وفروع المعتزلة كالأشاعرة حرَّفوا كثيرًا من معاني أسماء الله وصفاته؛ لأنَّها أوهمت عندهم مماثلة صفات الله، فجمعوا بين التَّعطيل والتَّمثيل والتَّحريف.

وأسماء الله كلُّها حسنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وصفاته كلُّها عليا، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، فالواجب إثبات ما تمدّح الله به نفسه من كمال ذاته وأسمائه وصفاته.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «العصمة النافعة في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل تثبت له الأسماء والصفات، وتنفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزهًا عن التشبيه، ونفيك منزهًا عن التعطيل».

والشِّرك يرجع إلىٰ مضاهاة الله بخلقه وتعطيله عن حقِّه وكماله، فكمال الله الذي ليس كمثله شيء هو الذي أوجب حقَّه الخالص من عبوديَّته والتألُّه له وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]، وكماله هو الذي أوجب للموحِّدين الالتجاء إليه في السرَّاء والضرَّاء ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، وكمال أسمائه وصفاته هي التي أوجبت للموحِّدين التألُّه له وعبوديَّته بمقتضاها.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الشرك شركان:

---

(١) مدارج السَّالكين (٢/ ٧٢).

(٢) الجواب الكافي (ص٢٩٨، ٢٩٩).

شرك يتعلَّق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنَّه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون إذ قال: وما رب العالمين؟ وقال لهامان: ابن لي صرحًا لعلي أطلع إلىٰ إله موسىٰ وإني لأظنه كاذبًا. فالشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطِّل، وكل معطِّل مشرك، لكنَّ الشِّرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقِرًّا بالخالق سبحانه وصفاته، ولكنَّه عطَّل حقَّ التوحيد.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وتعطيل معاملته عمَّا يجب علىٰ العبد من حقيقة التوحيد».

وكل من نسب إلىٰ مخلوق شيئًا من أفعال الله؛ فقد جعله إلهًا مع الله، تعالىٰ الله عما يشركون.

وكذلك من اعتقد في مخلوق أنَّه إله مع الله؛ فهذا شرك النَّصارىٰ، وهو أوضح من أن يُشار إليه.

فمن الشِّرك اعتقاد أنَّ الحوادث الأرضيَّة تقع بسبب الأحوال العلويَّة للكواكب والنُّجوم، ومن الشِّرك اتِّخاذ عيسىٰ ابن مريم وأمَّه إلهين مع الله.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر، ولم يعطِّل أسماءه وصفاته وربوبيَّته، كشرك النصارىٰ الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهًا، وأمَّه إلهًا.

ومن هذا شركُ المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلىٰ النور، وحوادث الشرِّ إلىٰ الظلمة.

ومن هذا شركُ القدرية القائلين بأنَّ الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنَّها تحدُث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته؛ ولهذا كانوا من أشباه المجوس.

ومن هذا شرك الذي حاجَّ إبراهيم في ربه ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فهذا جعل نفسه ندًّا للهِ، يحيي ويميت بزعمه، كما يحيي الله ويميت، فألزمه إبراهيم أنَّ طرد قولك أن تقدر علي الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها. وليس هذا انتقالًا كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزامًا علىٰ طرد الدليل إن كان حقًّا. ومن هذا: شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها أربابًا مدبرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصائبة وغيرهم، ومن هذا: شرك عُبَّاد الشمس وعُبَّاد النار وغيرهم».

ومعرفة ما تستلزمه كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله» من علم القلب واعتقاده وعمله، وقول اللِّسان، وعمل الجوارح، ونفي الإلهيَّة عمَّا سوىٰ الله؛ هو من

---

(١) الجواب الكافي (ص٣٠٠، ٣٠١).

أسباب معرفة حقيقة الشِّرك والكفر ومحاذرته.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن التصديق الحقيقي بـ«لا إله إلا الله» يستلزم التصديق بشُعَبِها وفروعها كلِّها، وجميع الدين - أصوله وفروعه - من شعب هذه الكلمة؛ فلا يكون العبد مصدِّقًا بها حقيقة التصديق حتىٰ يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه. ولا يكون مؤمنًا بأنَّ الله إلهُ العالمين حتىٰ يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله. ولا يكون مؤمنًا بأنَّه «لا إله إلَّا هو» حتىٰ يسلب خصائص الإلهيَّة عن كلِّ موجود سواه، ويسلبَها عن اعتقاده وإرادته، كما هي منفيَّة في الحقيقة والخارج.

ولا يكون مصدِّقًا بها مَنْ نفىٰ الصفات العُلَىٰ، ولا من نفىٰ كلامه وتكليمه، ولا من نفىٰ استواءه علىٰ عرشه، وأنَّه يصعد إليه الكَلِمُ الطيِّبُ والعملُ الصالح، وأنَّه رفع المسيح إليه، وأسرىٰ برسوله ﷺ إليه، وأنَّه يُدَبِّرُ الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يَعْرُج إليه، إلىٰ سائر ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ.

ولا يكون مؤمنًا بهذه الكلمة مصدِّقًا بها علىٰ الحقيقة مَنْ نفىٰ عموم خَلْقِهِ لكل شيء وقدرته علىٰ كلِّ شيء، وعِلْمِهِ بكلِّ شيء، وبعثه للأجساد من القبور ليوم النشور. ولا يكون مصدِّقًا بها من زعم أنه يترك خَلْقَه سُدًىٰ، لم يأمرهم ولم يَنْهَهُم علىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ.

وكذلك التصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع

---

(١) التبيان في أيمان القرآن (ص٩١ - ٩٣).

الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة؛ فالتصديق بجميع أخباره وامتثالُ أوامره واجتناب نواهيه هو تفصيل «لا إله إلا الله»، فالمصدِّق بها على الحقيقة الذي يأتي بذلك كلِّه، وكذلك لم تحصل عصمة المال والدَّم - على الإطلاق - إلا بها، وبالقيام بحقِّها، وكذلك لا تحصل النَّجاة من العذاب - على الإطلاق - إلا بها وبحقِّها؛ فالعقوبة في الدنيا والآخرة على تركها أو ترك حَقِّها».

وقال شيخنا العلَّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا معنى توحيد العبادة وما يضادّها من الشِّرك[1]: «العبادة: هي توحيده وطاعته بامتثال أوامره وترك نواهيه، وقد أمر الله بذلك في آيات كثيرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر: ٢، ٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه من الأنبياء وغيرهم.

ولا ريب أنَّ الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها، فوجب إخلاصه لله وحده، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]، وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم؛ لأن «أحدًا» نكرة في سياق النهي، فتعم كل من سوى الله سبحانه.

---

(١) الفتاوى البازيَّة (٢/ ١١٠، ١١١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وهذا خطاب للنبي ﷺ، ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك، وإنَّما المراد من ذلك تحذير غيره، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، فإذا كان سيد ولد آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لو دعا غير الله يكون من الظالمين، فكيف بغيره؟!

والظلم إذا أُطلق يُراد به الشرك الأكبر، كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؛ فعُلم بهذه الآيات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأصنام وغيرها شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ينافي العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها، وهذا هو معنىٰ «لا إله إلا الله»؛ فإن معناها: لا معبود حق إلا الله، فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده، كما قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وهذا هو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥، ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]».

فالشِّرك قصد المخلوق بالدُّعاء، والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، وقصده بالصَّلاة وشدّ الرِّحال والحجّ إليه، والتضرُّع له، والخضوع والخشوع عنده.

ومن عرف معنىٰ القرآن والسنَّة، وحقيقة ما بُعث به النبيُّ ﷺ من الدَّعوة

للتَّوحيد؛ لا يرتاب أن اتِّخاذ القبور مساجد مما يوجب لعنة الله وأنَّ دعاء المخلوق شرك أكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كثير من الناس لا يقصدون بزيارة قبور الأنبياء والصالحين إلا مقاصد أهل الشرك، الذين يجعلونهم أوثانًا، وأندادًا لله، وهم شر من الذين اتخذوها مساجد، فإن أولئك يقصدون أن يصلوا فيها لله، ويدعون الله، وهؤلاء إنَّما يقصدون دعاءهم، والحج إليهم، فيجعلون صلاتهم ونسكهم للمخلوق، لا للخالق. يقصد أحدهم في زيارة قبر من يعظمه ما يقصده الحاج في الحج إلىٰ بيت الله، وما يقصده المصلي الذي يقصد مساجد الله، فالحاج والمصلي مسلم حنيف متبع لملة إبراهيم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦١- ١٦٣].

فالمسلم صلاته ونسكه لله، والمشرك يصلي لغير الله، وينسك لغير الله، ويدعو المخلوق، ويستغيث به، ويتضرع إليه، كما يفعل بالخالق، ويحج إلىٰ قبره كما يحج إلىٰ بيت الخالق، ويسمون ذلك نسكًا».

والذي أوقع النَّاس بالشِّرك جهلهم بمعناه، وهؤلاء ما أحوجهم إلىٰ طلب علم التَّوحيد وتعليمهم ما يضادّه من أنواع الشِّرك.

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وأهل الشِّرك والنِّفاق (ص٦٨).

(٢) تفسير سورة الأنعام (ص٢٣٩).

فيما يُروىٰ عنه: «**إنَّما تنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهليَّة**»، فمن عرف الكفر لا يمكن أن ينقض الإسلام».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «معرفة المسلم بدين الجاهلية هو ممَّا يُعرفه بدين الإسلام، الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويعرف الفرق بين دين المسلمين الحنفاء أهل التوحيد والإخلاص، أتباع الأنبياء، ودين غيرهم، ومن لم يميِّز بين هذا وهذا؛ فهو في جاهلية، وضلال، وشرك، وجهل».

فالواجب علىٰ المسلم تعلُّم التَّوحيد، وهو فرض عين علىٰ كل مسلم.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «العلم بتوحيد الله فرض عين علىٰ كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنًا من كان، بل كُلٌّ مضطر إلىٰ ذلك. والطريق إلىٰ العلم بأنه لا إله إلا هو أمور:

أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة علىٰ كماله وعظمته وجلالته؛ فإنَّها توجب بذل الجهد في التألُّه له، والتعبُّد للربِّ الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالىٰ المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وأهل الشِّرك والنِّفاق (ص١٣٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان (ص٨٣٦، ٨٣٧).

بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية؛ فإنَّ ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتألُّه له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإنَّ هذا داعٍ إلىٰ العلم، بأنه تعالىٰ وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عُبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنَّها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شرٍّ؛ فإنَّ العلم بذلك يوجب العلم بأنَّه لا إله إلا هو وبطلان إلهيَّة ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله علىٰ ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أنَّ خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقًا وعقولًا ورأيًا وصوابًا، وعلمًا - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيُّون - قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل علىٰ التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلىٰ أنَّه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها، عند تأمل العبد في بعضها، لا بُدَّ أن يكون عنده يقين وعلم

بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتَّفقت، وقامت أدلَّة التوحيد من كلِّ جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشُّبه والخيالات، ولا يزداد - علىٰ تكرر الباطل والشبه - إلا نموًا وكمالًا.

هذا، وإن نظرت إلىٰ الدليل العظيم، والأمر الكبير - وهو تدبُّر هذا القرآن العظيم، والتأمُّل في آياته - فإنَّه الباب الأعظم إلىٰ العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجُمله ما لا يحصل في غيره».

ومن جوامع كلم النَّبيِّ ﷺ في تبيين التَّوحيد وما يضادُّه من الشِّرك قوله ﷺ: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا**»، متَّفق عليه، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالتَّوحيد أداء العبادات خالصة لله وحده لا شريك له، ومن صرف شيئًا من العبادات لغير الله فقد أشرك، وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال العلَّامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «جميع الرُّسل بُعثوا بهذا الأمر، بُعثوا يدعون النَّاس إلىٰ توحيد الله، إلىٰ عبادة الله، إلىٰ تخصيصه بالعبادة، هو الذي يدعىٰ ويرجىٰ، هو الذي يُسأل ويُستغاث به، هو الذي يُنذر له ويُذبح له، ولا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله، هذا هو الشِّرك الأكبر، هذا هو

---

(١) دروس وفتاوىٰ في المسجد الحرام (ص٣٠٥، ٣٠٦).

أعظم الذُّنوب؛ كالذين يدعون الأولياء، أو الجنَّ، أو الكواكب، أو الملائكة، أو الأنبياء يستغيثون بهم، أو ينذرون لهم، ويذبحون لهم، هذا هو الشِّرك الأكبر، هذا الشِّرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال فيه سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]».

وعلم التَّوحيد هو أوَّل ما يجب تعلُّمه وتعليمه، هكذا كانت دعوة المرسلين جميعًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وبعث النبيُّ ﷺ معاذَ بن جبل رضي الله عنه داعيةً إلىٰ اليمن وقال له: «**إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**» متَّفق عليه.

وكلمة التَّوحيد هي كلمة التَّقوىٰ وأساسها، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، وهكذا كان النبيُّون عليهم السلام أوَّل ما يعظون النَّاس من أمر التَّقوىٰ كلمة التَّوحيد؛ لأنَّها هي الأساس، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ

ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٢٣-١٢٦].

وأول ما ينصح ويعظ الحكماء المصلحين أقوامهم هو التوحيد ويحذِّرونهم الشِّرك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٢، ١٣].

ومن رُزق قراءة القرآن وتدبُّره؛ تعلَّم منه التَّوحيد وحقائقه، فمن تحقَّق بذلك؛ علم أضداده من الشِّرك الأكبر والأصغر فاجتنبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «التَّوحيد وإخلاص الدِّين لله هو مقصود القرآن، وهو الذي يعظم أمره ويكثر ذكره؛ فإنَّ العبد محتاج إليه في كلِّ وقت، وفي كل شيء».

فمن اهتدىٰ بالقرآن هداه الله، ومن تعامىٰ عن معانيه فذلك المعرض عن الله، ومن أعرض عن الله هدايةً واستهداءً مال إلىٰ الشِّرك، إلَّا أن يتوب فيتوب الله عليه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أي: تغافلوا، وتعامّوا، وتصامموا، عن قبول الهدىٰ واتِّباع الحقِّ».

وإنَّما ضلَّ المشركون عن معاني التَّوحيد بسبب التَّقليد ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّخرُف: ٢٢]، ومنهم من ضلَّ بسبب هجره

(١) جواب الاعتراضات المصريَّة علىٰ الفتيا الحمويَّة (ص٩٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٥٤).

للقرآن أو قراءته هذًّا بلا تدبُّر، ولو اهتدوا به لجرَّدوا التَّوحيد لله وحده لا شريك له.

فلا يرتاب عالم بمعاني القرآن والسنَّة أنَّ سؤال المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «منهم من يطلب من الميت ما يطلب من الله، فيقول: اغفر لي، وارزقني، وانصرني، ونحو ذلك؛ كما يقول المصلي في صلاته لله تعالىٰ، إلىٰ أمثال هذه الأمور التي لا يشك مَن عَرَف دين الإسلام أنَّها مخالفة لدين المرسلين أجمعين؛ فإنَّها من الشرك الذي حرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، بل من الشِّرك الذي قاتل عليه الرسول ﷺ المشركين».

ومن غلط في معنىٰ التَّوحيد وما يضادّه من الشِّرك؛ بيَّنه له النَّبيُّ ﷺ بيانًا يوضِّح التَّوحيد وينبِّه به علىٰ معنىٰ الشِّرك، فإنَّ عديَّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما تلا النبيُّ ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، قال عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما عبدناهم؛ فأجابه النبيُّ ﷺ قائلًا: «**ألم يحلوا لكم الحرام فأحللتموه، ويُحرِّموا عليكم الحلال فحرَّمتموه؟**»، قال عدي: بلىٰ؛ فقال النبي ﷺ: «**فتلك عبادتهم**»، رواه أحمد والتِّرمذيّ وحسَّنه(٢).

وما قاله النبيُّ ﷺ **لعديِّ بن حاتم** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **هو معنىٰ قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمۡ

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وأهل الشِّرك والنِّفاق (ص٧٠).

(٢) وصحَّحه أبو المظفَّر السَّمعاني في تفسيره (٢/ ٣٠٣)، وحسَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٧).

لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وهذا الشِّرك الذي يتحسَّر المشركون علىٰ ما كان منهم في الدُّنيا إذا وردوا الدَّار الآخرة وكان عاقبة أمرهم خسرًا، ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨]، فأعظم الشِّرك تسوية المخلوق بالخالق بالخضوع والحبِّ والتذلُّل، وما أعظم نصيب عبَّاد القبور من هذا النَّوع من الشِّرك، يخضعون لميِّت ويدعونه أو يدعون به.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ومعلوم أنَّهم ما سوَّوهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة، وإنما سوَّوهم به في الحب والتألُّه والخضوع لهم والتذلُّل، وهذا غاية الجهل والظلم. فكيف يُسَوَّىٰ التراب بربِّ الأرباب؟! وكيف يسوىٰ العبيد بمالك الرِّقاب؟! وكيف يسوَّىٰ الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته إلا العدم، بالغني بالذات القادر بالذات، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته؟!

فأي ظلم أقبح من هذا؟! وأي حكم أشد جورًا منه حيث عدل من لا عَدْل له بخلقه! كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١] فعَدل المشرك مَنْ خلق السموات والأرض وجَعَل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال

---

(١) الجواب الكافي (ص٣٠٤، ٣٠٥).

ذرَّة في السموات ولا في الأرض، فيا لك من عَدْلٍ تضمَّن أكبرَ الظلم وأقبحه!».

وكان النبيُّ ﷺ يُعلِّم الصِّغار فضلًا عن الكبار معاني التَّوحيد في أحسن أسلوب وأوضح عبارة وأنفعها في إفادة تجريد الإخلاص لله الموجب لدفع ما يضادُّه من الشِّرك، يُبيِّن أنواعه بما يفيد إخلاص الدُّعاء لله، فيكون المهتدي بتعليمه مجرِّدًا إرادته القلبيَّة لله لا يدعو مع الله أحدًا، ومتعلِّقًا بالله وحده حفظًا وكفاية وتدبيرًا، فقد قال النبيّ ﷺ لابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**يا غلام! إنِّي مُعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضرُّوك لن يضرُّوك إلَّا بشيء قد كتبه الله عليك**»، رواه أحمد والتِّرمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أفيرتاب بعد هذا البيان النبوي أحد في أنَّ دعاء غير الله من موتىٰ المخلوقين ومن الأحياء فيما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ أنَّه شرك.

وقد بيَّن النبي ﷺ أنَّ الشِّرك يكون في الإرادات، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجَّال؟**» قالوا: بلىٰ؛ قال: «**الشِّرك الخفي، يقوم الرَّجل فيصلِّي فيزيِّن صلاته، لما يرىٰ من نظر رجل**»، رواه أحمد.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ **مبيِّنًا بعض أنواع الشِّرك في العبادة**[1]: «لا يُخلِص لله

---

(١) الجواب الكافي (ص٣٠٢، ٣٠٣).

في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظِّ نفسه تارةً، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة؛ فلله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظِّه وهواه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب، وهذا حال كثير من الناس، وهو الشرك الذي قال فيه النبيُّ ﷺ فيما رواه ابن حبان في صحيحه: «**الشرك في هذه الأمَّة أخفىٰ من دبيب النمل**» قالوا: وكيف ننجو منه يا رسول الله؟ قال: «**قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»، فالرِّياء كله شرك».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أمَّا الشِّرك في الإرادات والنيَّات؛ فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه.

فمن أراد بعمله غيرَ وجه الله، أو نوىٰ شيئًا غيرَ التقرُّب إليه وطلبِ الجزاء منه؛ فقد أشرك في نيَّته وإرادته. والإخلاص أن يُخلص لله في أقواله وأفعاله وإراداته ونيته، وهذه هي الحنيفيَّة ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلَّهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهي ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء».

وكان تعليم النبيِّ ﷺ للصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - وهو تعليم للأمَّة من بعدهم - معاني التَّوحيد تعليمًا فيه بيان حقيقة التَّوحيد، وفصل ما بينه وبين الشِّرك، تعليمًا

---

(١) الجواب الكافي (ص٣١٢، ٣١٣).

يجعل المُتعلِّم يُدرك التَّوحيد بأصوله وقواعده الكليَّة ومعانيه المقصودة، ويفهم منه الشِّرك بأنواعه وفروعه.

ففي الصَّحيحين من حديث خالد بن زيد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** صلَّىٰ بنا رسول الله ﷺ صلاة الصُّبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من اللَّيل، فلما انصرف أقبل علىٰ النَّاس فقال: «**أتدرون ماذا قال رَبُّكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأمَّا من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

فهذا تعليم من النبيِّ ﷺ توحيد الله بأفعاله، وتحذير من شرك من نسب شيئًا من أفعال الله وحده لغيره من مخلوقاته.

والنبيُّ ﷺ بيَّن ما يكون من الشِّرك باتِّخاذ سببٍ لم يجعله الله سببًا لا شرعًا ولا قدرًا، فقال «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**».

وهذا بيان للحكم مهما كان نوع التميمة، سواء من حجر أو جلد أو وتر، والحكم للمعنىٰ العام لكل ما ليس بسبب شرعي ولا قدري، فهذا المعنىٰ الذي من أجله علَّل النبيُّ ﷺ الشِّرك بتعليق التمائم.

وكان المشركون في الجاهليَّة يثبتون الأسباب الشركيَّة في المخلوقات باعتقاداتهم الباطلة، كاعتقادهم أنَّ المرض فاعل مؤثِّر بنفسه يُعدي، فقال لهم النبيّ ﷺ: «**لا عدوىٰ ولا طيرة**».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيِّنًا معنىٰ إنكار النبي** ﷺ[(١)]: «نفىٰ ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل، ووقوع النفي والإثبات علىٰ وجهه؛ فإن القوم كانوا يثبتون العدوىٰ علىٰ مذهبهم من الشرك الباطل، كما يقوله المنجِّمون من تأثير الكواكب في هذا العالم وسعودها ونحوسها كما تقدَّم الكلامُ عليهم، ولو قالوا: أنها أسباب أو أجزاء أسباب إذا شاء الله صرف مقتضياتها بمشيئته وإرادته وحكمته، وأنَّها مسخَّرةٌ بأمره لما خُلقت له، وأنَّها في ذلك بمنزلة سائر الأسباب التي ربط مسبَّباتها وجعل لها أسبابًا أخرَ تعارضها وتمانعها، وتمنعُ اقتضاءها لِمَا جُعلت أسبابًا له، وإنَّها لا تقضي مسبباتها إلا بإذنه مشيئته وإرادته، ليس لها من ذاتها ضرٌّ ولا نفْعٌ ولا تأثير البتَّة، إنْ هي إلا خلقٌ مسخَّرٌ مصرَّفٌ مربوب، لا تتحرك إلا بإذن خالقها ومشيئته، وغايتها أنَّها جزء سبب ليست سببًا تامًّا».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن الله سبحانه يجعل من ذلك سببًا ما يشاء، ويبطل السببيَّة عمَّا يشاء، ويخلق من الأسباب المعارضة له ما يحول بينه وبين مقتضاه. فهم لو أثبتوا العدوىٰ علىٰ هذا الوجه لما أُنكر عليهم، كما أن ذلك ثابت في الداء والدواء، وقد تداوىٰ النبيُّ ﷺ وأمر بالتَّداوي، وأخبر أنه ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً إلا الهرم؛ فأعلمنا أنه خالق أسباب الداء وأسباب الدواء المعارضة المقاومة لها، وأمرنا بدفع تلك الأسباب المكروهة بهذه الأسباب».

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (٣/ ١٥٩٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥٩٠، ١٥٩١).

وقاعدة الأسباب فهمها من أسباب تحقيق التَّوحيد وإخلاص الرَّغبة والرَّهبة لله، والتوكُّل عليه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وعلىٰ هذا قيام مصالح الدارين، بل الخلق والأمر مبنيٌّ علىٰ هذه القاعدة؛ فإنَّ تعطيلَ الأسباب وإخراجها عن أن تكون أسبابًا تعطيلٌ للشرع ومصالح الدنيا، والاعتماد عليها والركون إليها واعتقاد أنَّ المسبَّبات بها وحدها، وأنَّها أسباب تامَّة؛ شركٌ بالخالق عَزَّوَجَلَّ، وجهل به، وخروج عن حقيقة التوحيد، وإثبات سببيَّتها علىٰ الوجه الذي خلقها الله عليه وجعلها له؛ إثباتٌ للخلق والأمر، للشرع والقدر، للسبب والمشيئة، للتوحيد والحكمة. فالشارع يثبت هذا ولا ينفيه، وينفي ما عليه المشركون من اعتقادهم في ذلك».

وبيَّن النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض أنواع الشِّرك، وهو التشاؤم بما لا حقيقة له، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من ردَّتْه الطِّيَرَةُ عن حاجته فقد أشرك**»، رواه أحمد من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وذلك أنَّ بناء الاعتقاد علىٰ الأوهام يُضعف القلب، ويقطع الإنسان عن العمل، والمؤمن متوكِّل علىٰ الله ساعٍ في مصالحه، إقدامه أو إحجامه عن الفعل هو حكمُ الله في ذلك الفعل؛ فإن كان مشروعًا أقدم، وإن كان ممنوعًا أحجم، والقضاء الكوني لابُدَّ أن يُدرك الإنسان ولو كان في جوف بيته، ولو لم يخرج إلىٰ حاجة؛ قال تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (٣/ ١٥٩١).

ﭐلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ومن تبيين الرَّسول ﷺ معاني التَّوحيد وما يضادّه من الشِّرك توضيحه أنَّ تعظيم المخلوق بما لا يجوز إلَّا لله شرك، كما في قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، رواه أحمد، وذلك أنَّ حقيقة اليمين توكيد المحلوف عليه بذكر مُعظَّم، ولا يجوز تعظيم الأيمان إلا بالله وحده لا شريك له.

ومهما عظمت رتبة المخلوق فإنَّه مربوب لله، فمن صرف إليه شيئًا من حقوق الله، أو نسب إليه شيئًا من أفعاله، أو جعله في رتبة ربِّ العالمين؛ فقد جعله ندًّا لله وأشرك بالله.

قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من جعل لله ندًّا من خلقه فيما يستحقه عَزَّوَجَلَّ من الإلهيَّة والربوبيَّة؛ فقد كفر بإجماع الأمَّة».

والله عَزَّوَجَلَّ فصَّل معنىٰ الشِّرك وبيَّنه في القرآن زجرًا عنه، واتِّخاذ المخلوقين شفعاء في دعاء الله دلَّ القرآن بمنطوقه علىٰ أنَّه شرك في العبوديَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٨٨).

عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، فقد حكم الله بأنَّ اتخاذ الشُّفعاء وسائط في دعاء الله هو من عبادة من دون الله، ومن عبد من دون الله فقد أشرك شركًا أكبر.

وتدبَّر أيُّها المسلم بقلب حاضر وأذن واعية قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٥-١٠٧]، فما أعظم القرآن كلّه في تبيين التَّوحيد، وما أعظم هذه الآيات في تناسقها، وبلاغتها ومعانيها في الدَّلالة علىٰ معنىٰ التَّوحيد وما يضادّه من الشِّرك! فقد أمرت أولًا بإقامة الوجه لله وحده والميل عمَّا سواه؛ تحقيقًا للتَّوحيد، ونهيًا عن الشِّرك، ثم أبانت عن أعظم أنواع الشِّرك وهو دعاء وعبادة غير الله ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، فبيَّنت أنَّ دعاء غير الله شرك وهو أعظم الظُّلم، وبيَّنت الآيات أنَّ النَّافع الضَّار الذي إليه يُرجع الأمر كله هو الله، وكُلُّ هذا فيه بيان ما يستلزمه توحيد الربوبيَّة والأسماء والصِّفات من عبوديَّة الله وحده لا شريك له.

والمشركون قد اتَّخذوا ربًّا وإلهًا من البشر، يسألونه ما لا يقدر عليه إلا الله من الرِّزق والنَّصر والتَّدبير، وينذرون له ويذبحون، ومنهم من يخضع للميِّت من المخلوقين ويخشع له، ثم يقول هؤلاء المشركون: هذا ليس بشرك!

والنبيُّ ﷺ في حمايته لجناب التَّوحيد حذَّر من ذرائع الشِّرك، وكان تحذيره

من الشِّرك أكبر، فنهيه عن عبادة الله عند قبور الصَّالحين فيه أوضح تبيين لشرك عبادة الصَّالحين ودعائهم، فإنَّه ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنَّصارىٰ، اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، رواه البخاري ومسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّه ﷺ لعن مَن يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ونهىٰ أمته أن يتخذوا القبور مساجد، فإذا كان هو ﷺ لَعَن من يصلي عندها لله، ويدعو الله - لأن ذلك ذريعة إلىٰ الشرك - فكيف بمن يصلي لها، ويسجد لها، أو يدعوها، ويستغيث بها، ويطلب منها ما يطلب من ربِّ العالمين؛ فإنَّ هذا من أعظم الشرك، وجعلها أوثانًا وأندادًا لله ربِّ العالمين، كما فعل قوم نوح، ومن ضاهاهم من مشركي أهل الكتاب».

وفي قول النَّبي ﷺ «**اللَّهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**» - رواه مالك في الموطَّأ - تبيين لمعنىٰ الوثنيَّة والشِّرك، وهو عبادة قبور الأنبياء والصَّالحين بدعائهم والاستغاثة بهم.

ومَن تحقَّق بالتَّوحيد وجرَّد العبوديَّة لله، والاستعانة به وحده لا شريك له؛ فذاك الذي برئ من الشِّرك وعرف معناه فاجتنبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه إخلاص العبادة لله، والاستعانة به، وأنَّ المؤمنين لا يعبدون إلا الله، ولا

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشِّرك والنِّفاق (ص٥٧).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التَّفسير (١/ ٨٨، ٨٩).

يستعينون إلَّا بالله، فمن دعا غير الله من المخلوقين أو استعان بهم من أهل القبور أو غيرهم؛ لم يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ ولا يحقق ذلك إلَّا مَن فرَّق بين الزيارة الشرعيَّة و الزيارة البدعيَّة؛ فإن الزيارة الشرعية عبادة لله عَزَّوَجَلَّ وطاعة لرسوله ﷺ وتوحيد لله، وإحسان إلىٰ عباده، وعمل صالح من الزائر يثاب عليه. والزيارة البدعية شرك بالخالق، وظلم للمخلوقات، وظلم للنفس.

فصاحب الزيارة الشرعية: هو الذي يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ألا ترىٰ أن اثنين لو شهدا جنازة، فقام أحدهما يدعو للميت ويقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقِّه من الذنوب والخطايا كما يُنَقَّىٰ الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وأعذه من عذاب النار وعذاب القبر، وأفسح له في قبره ونوِّر له فيه، ونحو ذلك من الدعاء له، وقام الآخر فقال: يا سيدي أشكو لك ديوني وأعدائي وذنوبي، أنا مستغيث بك مستجير بك، أجرني، أغثني ونحو ذلك؛ لكان الأول عابدًا لله ومحسنًا إلىٰ خلقه، محسنًا إلىٰ نفسه بعبادة الله ونفع عباده، وهذا الثاني مشركًا بالله، مؤذيًا ظالمًا معتديًا علىٰ هذا الميت ظالمًا لنفسه».

ودعاة الشِّرك روجوا شركهم وإضلالهم الخلق بتسميتهم الشِّرك والاستغاثة بالموتىٰ توقيرًا للصَّالحين، وتبرُّكًا وتوسُّلًا بهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ

شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ذكر سبحانه أنَّهم يستعينون علىٰ مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه بعضهم لبعض من القول، فيغتر به الأغمار وضعفاء العقول، فذكر السبب الفاعل والقابل، ثم ذكر سبحانه انفعال هذه النفوس الجاهلة به بِصَغْوها وميلها إليه، ورضاها به لما كُسي من الزخرف الذي يغر السامع، فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولًا وعملًا، فتأمَّل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنىٰ العظيم القدر الذي فيه بيان أصول الباطل والتنبيه علىٰ مواقع الحذر منها، وعدم الاغترار بها. وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من العبارات وتخيَّروا لها من الألفاظ الرائقة ما يسرع إلىٰ قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة».

وقال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا حكم الاستغاثة بالموتىٰ ودعائهم أو اتِّخاذهم شفعاء في دعاء الله إلىٰ غير ذلك من أنواع شرك المعاصرين[٢]: «إنَّ هذا الذي وقع فيه النَّاس من هذا الشِّرك، إنَّه الشِّرك الذي بعث الله رسله - عليهم السَّلام - وأنزل كتبه بالنَّهي عنه، وإنَّه الشِّرك الذي لا يغفره الله لمن لم يتب منه».

وقال العلَّامة عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيِّنًا أنواع**

---

(١) الصَّواعق المرسلة (١/ ٤٣٧).

(٢) المقامات (ص١٠).

الشِّرك(١): «إنَّ الشرك نوعان: شرك في ربوبيته، بأن يُجعل لغيره معه تدبير، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٢٢]، فبيَّن سبحانه أنهم لا يملكون ذرة استقلالًا، ولا يشركونه في شيء من ذلك، ولا يعينونه علىٰ ملكه، ومن لم يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا فقد انقطعت علاقته.

وشرك الألوهية بأن يدعىٰ غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]».

وقال العلَّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مبيِّنًا حقيقة الشِّرك**(٢): «الاعتبار بالحقائق والمعنىٰ لا باختلاف الألفاظ، فإذا قالوا: ما نعبدهم وإنَّما نتبرَّك بهم، لم ينفعهم ذلك، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم، وإن لم يسمُّوا ذلك عبادة، بل سمَّوه توسُّلًا أو تبرُّكًا، فالتعلُّق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين والذَّبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سمَّوها خدمة، أو سموها غير ذلك، لأنَّ العبرة بالحقائق لا بالأسماء، كما تقدَّم.

ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبيِّ ﷺ إلىٰ حنين لما رأوا المشركين يعلِّقون أسلحتهم علىٰ سدرة. قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، قلتم والذي نفسي بيده**

---

(١) منهاج التأسيس والتَّقديس في الردِّ علىٰ داود بن جرجيس (ص١٥٩).

(٢) الفتاوىٰ البازيَّة (٣/ ١٣٩).

كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة»، فجعل المقالة واحدة، مع أنَّ هؤلاء قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، فجعل قولهم مثل قول بني إسرائيل؛ لأنَّ العبرة بالمعنىٰ والحقائق، لا بالألفاظ».

أنواع الشرك

«الأكبر والأصغر»

بعد الحديث عن حقيقة الشِّرك، يأتي بيان أنواعه المخرجة من الملَّة وما كان منه من الشِّرك الأصغر الذي لا يخرج من الملَّة ضرورة، حتىٰ يحكم علىٰ كل نوع بما يدلُّ عليه حكم الله عَزَّوَجَلَّ الذي دلَّ عليه كتابه وسنَّة رسوله ﷺ.

وأصل التَّوحيد هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا من العبادات لغير الله؛ فقد وقع في الشِّرك الأكبر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة: ٥].

وما كان من الشِّرك منافيًا لأصل التَّوحيد فهو شرك أكبر، وما كان منافيًا لكماله فهو من الشرك الأصغر.

وحقيقة الدِّين كلِّه ومنازله ترجع إلىٰ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فمن صرف شيئًا من العبادات لغير الله أو استعان أو استغاث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهو مشرك شركًا أكبر.

وقولنا: «من صرف شيئًا من العبادات لغير الله فقد وقع في الشِّرك الأكبر»؛ فهذا يتأكَّد في حقِّ عبوديَّة القلب قبل الجوارح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

(١) مدارج السَّالكين (١/ ٩٠٠).

«وظيفة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها، ولابُدَّ، وبحسب قيامه بها يتخلَّص من أضدادها».

ولذلك تجد أن علم واعتقاد وعمل القلب هو أصل الإسلام والإيمان، وهي حقيقة لا يتحقَّق الإيمان بدونها، قال تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وحقيقة التوحيد تألُّه القلب والجوارح لله محبَّة وتعظيمًا وإجلالًا، وعبوديَّة ورغبة ورهبة؛ فالإله هو الذي تألهه القلوب، والجوارح تبع لذلك، فمن تأله لغير الله فقد جعل مع الله إلهًا آخر، فشركه أكبر مخرج من الملَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يكون - المسلم - محبًّا لله، مُعَظِّمًا له، عابدًا له، راجيًا له، خائفًا منه، مُحبًّا فيه، مواليًا فيه، معاديًا فيه، مستعينًا به، متوكِّلًا عليه، ممتنعًا عن عبادة غيره.

والتوكُّل عليه، والاستعانة به، والخوف منه، والرَّجاء له، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والطاعة لأمره، وأمثال ذلك؛ مما هو من خصائص إلهيَّة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ».

وقال العلامة عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الشرك في توحيد الإلهية

---

(١) العبوديَّة (ص١١٥).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٢٤).

والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة، وهو نوعان:

شرك أكبر جلي، وشرك أصغر خفي.

فأما الشرك الأكبر:

فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة؛ فهذا الشرك لا يبقىٰ مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار. ولا فرق في هذا بين أن يُسمِّي تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة، أو يسمِّيها توسُّلًا، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء، فكل ذلك شرك أكبر؛ لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وأما الشرك الأصغر:

فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسَّل بها إلىٰ الشرك؛ كالغلوِّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء، ونحو ذلك».

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

قال شيخنا العلامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الشِّرك بالله هو أعظم الذُّنوب، فالشِّرك الذي هو صرف العبادة أو بعضها لغير الله أعظم الذُّنوب

---

(١) الفتاوىٰ البازية (٦/ ٣٨).

وهو الشِّرك الأكبر، كدعاء: الملائكة، أو الأنبياء، أو الجنِّ، أو أصحاب القبور؛ فيستغيث بهم، أو ينذر لهم، أو يذبح لهم، وهذا ينافي قول: «لا إله إلا الله»؛ فإنَّ قول: لا إله إلا الله، معناها: لا معبود حقّ إلا الله، وهي كلمة التَّوحيد، وهي أصل الدِّين، وأساس الملَّة، فدعاء الأموات والأصنام وغيرهم، والاستغاثة بهم، والنَّذر لهم ينقض هذه الكلمة وينافيها، وهو الشِّرك الأكبر».

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أصل التوحيد وروحه: إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التألُّه والتعبُّد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتىٰ تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحابّ وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محابّ العبد تبعًا لهذه المحبَّة التي بها سعادة العبدِ وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها الحبُّ في الله، فيحب العبد ما يحبُّه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أمَّا اتِّخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحبِّ الله، ويقدِّم طاعتهم علىٰ طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم؛ فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلَّق بغيره ممن لا يملك له

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٩٨، ٩٩).

شيئًا، وهذا السبب الواهي الذي تعلَّق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بُغضًا وعداوة».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشِّرك الأكبر[١]: «متىٰ كان عنده شيء أحب إليه منهما - الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله ﷺ -؛ فهذا هو الشِّرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتَّة، ولا يهديه الله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]».

وشرك المحبَّة المخرج من الملَّة؛ هو شرك التألُّه لغير الله بالمحبَّة، والمحبَّة هي أساس التألُّه لله وعبوديَّته وحده لا شريك له، فالمسلم يتألَّه لله وحده لا شريك له محبَّة وخوفًا ورجاءً، وبذلك يحقِّق توحيد الله بالعبوديَّة له وحده لا شريك له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إذا كانت المحبة له - سبحانه - هي حقيقة عبوديته وسرّها، فهي إنَّما تتحقَّق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبيَّن حقيقة العبودية والمحبة، ولهذا جعل تعالىٰ اتباع رسوله ﷺ علمًا عليها وشاهدًا لمن ادعاها، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى

---

(١) مدارج السَّالكين (١/ ٨٠)، ط: دار البشير - الإمارات.

(٢) مدارج السَّالكين (١/ ٧٩).

﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل اتباع رسوله ﷺ مشروطًا بمحبتهم لله عَزَّوَجَلَّ وشرطًا لمحبة الله لهم، ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه، وتحققه بتحققه؛ فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة، فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله ﷺ، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم، فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله ﷺ.

ودلَّ علىٰ أنَّ متابعة الرسول ﷺ هي حبُّ الله ورسوله وطاعة أمره، ولا يكفي ذلك في العبودية حتىٰ يكون الله ورسوله أحبَّ إلىٰ العبد مما سواهما».

وحقيقة التَّوحيد إخلاص الاعتقاد والقول والعمل لله، فالمسلم أعماله لله، يقصد وجه الله بأعماله، لا يفعل شيئًا إلا ابتغاء وجه الله، والكافر والمشرك بضدِّ ذلك، فمن كانت نيَّته في أصل أعماله وابتدائها لغير الله؛ فهذا عمله شرك أكبر، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[باب من الشِّرك إرادة الإنسان بعمله الدُّنيا]**(١)، «وساق قول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وهذا كمن يُقاتل للمغنم، ويُقاتل حميَّة، ويقاتل شجاعة، وعامَّة قتال الكفَّار كان هكذا، يقاتلون بطرًا ورياءً ليتحدَّث النَّاس بشجاعتهم، ويقاتلون في سبيل الشيطان ظلمًا.

(١) كتاب التَّوحيد، الباب السَّادس والثلاثون، (ص١٣٣).

قال تعالىٰ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وهكذا كان المنافقون يقومون للصلاة لغير الله، فلا يصلُّون مخلصين لله، وإنَّما يُصلُّون رياءً لِتُعْصَم دماؤهم من القتل، فلا يعاملون معاملة الكافر المعلن بكفره، قال الله تعالىٰ ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢](١).

أما الموحِّدون فأعمالهم لله، يعبدونه ولا يشركون به شيئًا، وهذا هو حقيقة التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر: ٢، ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الإخلاص لله أساس الدِّين، وروح التَّوحيد والعبادة».

والموحِّدون المخلصون لله عَزَّوَجَلَّ إراداتهم ونيَّاتهم وأعمالهم كلها لله، ويستصحبون ذلك في دهرهم كلِّه حتىٰ يكون آخر كلامهم من الدُّنيا: «لا إله إلا الله»؛ لأنَّهم أخلصوا الاعتقاد والقول والعمل بها، فيختم الله لهم بها؛ فإنَّ الله يجازي بالإحسان إحسانًا.

والموحِّدون المخلصون لله لو وقعت من أحدهم إرادة عارضة تنافي الإخلاص

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩).

(٢) القول السَّديد شرح كتاب التَّوحيد (ص١١٢).

لله؛ جرَّدوا نيَّاتهم وأقوالهم وأعمالهم لله عَزَّوَجَلَّ من شوائب ذلك الرِّياء والإرادة لغير الله، فعادوا إلىٰ تحقيق التَّوحيد وحفظه من إرادة سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال تعالىٰ لخير الخلق بعد الرسل: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة ولم يكن فيهم منافق، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ما شعرت أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتىٰ كان يوم أحد، ونزلت هذه الآية». والذين أرادوا في هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه وهم من خيار المسلمين، ولكن هذه إرادة عارضة حملتهم علىٰ ترك المركز والإقبال علىٰ كسب الغنائم، بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها؛ فهذه الإرادة لون، وإرادة هؤلاء لون».

وهذا يُوجب علىٰ المؤمنين محاذرة الرِّياء، والتحرُّز من الأسباب العارضة لتغيُّر النيَّات، ويوجب تعاهد التَّوحيد والإيمان بالحفظ والزِّيادة والتَّجديد، وتنقية القلب من شوائب الشِّرك وأدرانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الشرك في هذه الأمَّة أخفىٰ من دبيب النمل، ولهذا كان العبد مأمورًا في كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك؛ فلا

---

(١) عُدَّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين (ص٣٢٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٦١).

تزال النفس تلتفت إلىٰ غير الله إما خوفًا منه وإما رجاءً له؛ فلا يزال العبد مفتقرًا إلىٰ تخليص توحيده من شوائب الشرك».

والرِّياء ورد في السُّنَّة تسميته بالشِّرك الخفي، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟**» قالوا: بلىٰ، قال: «**الشِّرك الخفي، يقوم الرَّجل فيصلِّي فيزيِّن صلاته، لما يرىٰ من نظر رجل**»، رواه أحمد؛ لأن هذا شرك السَّرائر، بخلاف الشِّرك المعلن من عبادة غير الله بأنواع العبادات الظَّاهرة، قال العلَّامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «سُمِّي الرِّياء شركًا خفيًّا؛ لأنَّ صاحبه يُظهر أنَّ عمله لله، ويخفي في قلبه أنَّه لغيره، وإنَّما تزين بإظهاره أنَّه لله بخلاف الشِّرك».

وورد في السنَّة تسمية الرِّياء بالشِّرك الأصغر، وهذا - والله أعلم - يُراد به يسير الرِّياء، عن محمود بن لبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر**»، فسُئل عنه؛ فقال: «**الرِّياء**»، رواه أحمد.

وعن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** كنَّا نعد الرِّياء علىٰ عهد رسول الله ﷺ الشِّرك الأصغر[2].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد (ص٥٣٢).

(٢) قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: «رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الإخلاص»، وابن جرير في «التهذيب»، والطَّبراني والحاكم وصحَّحه»، تيسير العزيز الحميد (ص٥٣٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أمَّا الشِّرك الأصغر فكيسير الرِّياء».

وقال العلَّامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فُسِّر الشِّرك الأصغر باليسير من الرِّياء، فدلَّ علىٰ أن كثيره أكبر».

وفي الأصول السِّتَّة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الأصل الأول: إخلاص الدِّين لله تعالىٰ وحده لا شريك له، وبيان ضدِّه الذي هو الشِّرك بالله.

وفي هذا المبحث شرح شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنواع الشِّرك لأنه هو موضوعه المناسب له، وهو الحديث عن أساس التَّوحيد وأصله؛ قال العلَّامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الشرك علىٰ نوعين:

النوع الأول: شرك أكبر مخرج عن الملة، وهو: كل شرك أطلقه الشارع، وهو منافٍ للتوحيد منافاة مطلقة؛ مثل أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله، بأن يصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو أن يدعو غير الله تعالىٰ؛ مثل أن يدعو صاحب قبر، أو يدعو غائبًا لإنقاذه من أمر لا يقدر عليه إلا الحاضر، وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم.

النوع الثاني: الشرك الأصغر، وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة؛ مثل الحلف بغير الله،

(**١، ٢**) تيسير العزيز الحميد (ص٥٣٣).

(**٣**) شرح الأصول السِّتَّة، مطبوع ضمن مجموع فتاوىٰ الشيخ (٧/ ١١٥، ١١٦).

فالحالف بغير الله الذي لا يعتقد أنَّ لغير الله تعالىٰ من العظمة ما يماثل عظمة الله مشركٌ شركًا أصغر، ومثل الرياء، وهو خطير، قال فيه النبيُّ ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**. فسئل عنه؛ فقال: **الرياء**»، وقد يصل الرياء إلىٰ الشرك الأكبر، وقد مثَّل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ للشرك الأصغر بيسير الرياء، وهذا يدل علىٰ أن كثير الرياء قد يصل إلىٰ الشرك الأكبر».

الشِّرك يرجع إلىٰ عبادة غير الله والاستعانة بغيره، فذلك الشِّرك الأكبر، وشرُّ النَّاس من كان مستعينًا بغير الله عابدًا غيره. وعامة الشِّرك في الأرض يرجع إلىٰ اتِّخاذ الأسباب الشركيَّة لعبادة الله، كالذين اتَّخذوا الأصنام وسائط في عبادة الله ليقرِّبوهم إلىٰ الله زلفىٰ، ومن نحا نحوهم ممَّن اتَّخذوا الموتىٰ وقبورهم وسائط في دعاء الله، ومنهم من يسألهم مباشرة جلب المنفعة ودفع المضرَّة، وهذا شرك أكبر في عبادة المخلوق والاستعانة به، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن أن يملكه لغيره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «عبادة القبور، والإشراك بالأموات، وهو شرك قوم نوح، وهو أوَّل الشِّركين - مع شرك التنجيم - طرَق العالم، وفتنته أعمُّ، وأهل الابتلاء به أكثر، وهم جمهور أهل الإشراك».

وصابئة حرَّان المشركون كانوا يعبدون الكواكب، وجعلوا لها تماثيل في الأرض، جعلوها بيوتًا للعبادة يسمُّونها الهياكل، فكانت عبادتهم للأصنام

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (٣/ ١٣٨٠، ١٣٨١).

وتعظيمهم لها تعظيمًا منهم للكواكب التي وضعوا الأصنام عليها.

وكان أولئك الصابئة يعتقدون أنَّ روحانيَّة الكوكب تتنزَّل عليهم في الهياكل، فتخاطبهم وتقضي حوائجهم، وتلك الشَّياطين تنزَّلتْ عليهم، وخاطبتهم، وقضت حوائجهم(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أقوىٰ السَّببين في الشِّرك الواقع في العالم، وهو الشِّرك بالنُّجوم وتعظيمها، واعتقاد أنَّها أحياء ناطقة، ولها روحانيَّات تتنزَّل علىٰ عابديها ومخاطبيها».

وإذا رأيت غالب شرك النَّاس اليوم وجدته يرجع في أكثره إلىٰ الأسباب الشِّركيَّة التي لا تنفع ولا تضرُّ؛ كتعليق التَّمائم، والتطيُّر، ولبس الخيط لدفع المرض أو لرفعه بعد وقوعه، والتبرُّك بالشَّجر والحجر، واتِّخاذ الشُّفعاء من الموتىٰ في دعاء الله، أو التشاؤم بمرئيٍّ أو مسموع، ونحو ذلك.

ومن أنواع الشِّرك في الأسباب والمؤثِّرات شركُ التَّنجيم من اعتقاد تأثير الأحوال العلويَّة علىٰ الحوادث الأرضيَّة، من ذلك اعتقاد أنَّ مواقع النُّجوم والكواكب ومنازلها سبب أو مؤثر في الخير والشَّرِّ الذي يصيب الأرض وسكانها، وهذا لا حقيقة له؛ فالله عَزَّوَجَلَّ وحده الذي يُقدِّر المقادير ويخلق الحوادث، لا أثر للنُّجوم والكواكب وهيئاتها ودورانها وحركاتها في ذلك.

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (٣/ ١٣٦٤، ١٣٦٥).

(٢) مفتاح دار السَّعادة (٣/ ١٣٨٠).

واعتقاد تأثير النُّجوم هو شرك الصَّابئة الذي أبطله سيِّد الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وصار شرك التَّنجيم سببًا لأنواع أخرىٰ من الشِّرك والكفر الأكبر؛ كالكهانة وادِّعاء علم الغيب، فجمعوا أنواعًا من الشِّرك والكفر الأكبر، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وكانت شرُّ الدُّول تعظيمًا وقيامًا بشرك الصَّابئة شرك التَّنجيم؛ الدَّولة العبيديَّة الرافضيَّة.

والنَّاس في الأخذ بالأسباب طرفان ووسط؛ طرف شركيّ اتَّخذ أسبابًا لم يجعلها الله سببًا شرعيًّا ولا كونيًّا لحصول المقاصد والرَّغبات، كالذين يعلِّقون التَّمائم لدفع الأسقام، والذين يستغيثون بالموتىٰ لقضاء حوائجهم، وصنف عطَّلوا الأسباب ولم يأخذوا بها؛ كالذين يسافرون للحجِّ بلا زاد، والوسط الذين أخذوا بالأسباب الشَّرعيَّة والقدريَّة التي جعلها الله أسبابًا مع تعلُّق قلوبهم بالله الذي جعل فيها أسباب وموجبات حصول الأشياء، ويوقنون أنَّ الله لو شاء لعطَّل سببيتها.

قال شيخنا العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أقسام التعلُّق بغير الله:

الأول: ما ينافي التوحيد من أصله، وهو أن يتعلَّق بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادًا معرضًا عن الله؛ مثل تعلُّق عُبَّاد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، ولهذا إذا مسَّتهم الضراء الشديدة يقولون: يا فلان! أنقذنا؛

(١) شرح كتاب التَّوحيد، المطبوع ضمن مجموع فتاوىٰ الشيخ (٩/ ١٧٣، ١٧٤).

فهذا لا شك أنه شرك أكبر مُخرج من الملَّة.

الثاني: ما ينافي كمال التوحيد، وهو أن يعتمد علىٰ سبب شرعي صحيح مع الغفلة عن المسبب، وهو الله - عَزَّوَجَلَّ -، وعدم صرف قلبه إليه؛ فهذا نوع من الشرك، ولا نقول: شرك أكبر؛ لأن هذا السبب جعله الله سببًا.

الثالث: أن يتعلَّق بالسبب تعلقًا مجردًا لكونه سببًا فقط، مع اعتماده الأصلي علىٰ الله؛ فيعتقد أن هذا السبب من الله، وأن الله لو شاء لأبطل أثره، ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب إلا بمشيئة الله - عَزَّوَجَلَّ -؛ فهذا لا ينافي التوحيد لا كمالًا ولا أصلًا، وعلىٰ هذا لا إثم فيه.

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يُعلِّق نفسه بالسبب، بل يعلِّقها بالله».

والله عَزَّوَجَلَّ هو خالق الأسباب، وهو مسببها، وأسباب الضرِّ والنَّفع إلىٰ الله، وهو الصمد الذي يصمد المخلوقون إليه لقضاء حوائجهم، فمن صمد لغير الله في رغباته وحاجاته؛ فقد أشرك الشِّرك الأكبر في ربوبيَّة الله حيث لم يوحِّده بأفعاله، وأشرك الشِّرك الأكبر في أسماء الله وصفاته حيث جعل لله ندًّا يصمد إليه، وأشرك شركًا أكبر في العبوديَّة حيث رغب إلىٰ غير الله وقصده بقلبه وجوارحه.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١، ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كما استحال أن يكون للخلق رب غيره، فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره؛ فهو الذي انتهت إليه الرَّغبات، وتوجَّهت نحوه الطَّلبات، ويستحيل أن يكون معه إله آخر، فإنَّ الإله علىٰ الحقيقة هو الغني الصَّمد الكامل في أسمائه وصفاته، الذي حاجة كل أحد إليه، ولا حاجة له إلىٰ أحد».

ومن علم أنَّ الله وحده هو الضَّار النَّافع، الذي ينصر ويرزق، وأنَّه هو الذي جعل في المخلوقات أسباب ذلك بخلقه وأمره؛ أوجب له ذلك توحيد الله رغبة ورهبة ورجاءً، وشهود هذا التَّوحيد سبب تنمية التَّوحيد وتجريد القلب والجوارح من شوائب الشِّرك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرٌّ، ولا عطاء ولا منع، ولا هدًىٰ ولا ضلال، ولا نصر ولا خذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عزٌّ ولا ذلٌّ، بل الله وحده هو الذي يملك له ذلك كله، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] وقال تعالىٰ عن صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن

(١) طريق الهجرتين، وباب السعادتين (ص١٣٩).

(٢) إغاثة اللَّهفان (١/ ٨٢).

دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [الملك: ٢٠، ٢١]، فجمع سبحانه بين النصر والرزق؛ فإن العبد مضطرٌّ إلىٰ من يدفع عنه عدوه وينصره، ويجلب له منافعه ويرزقه؛ فلا بد له من ناصر ورازق، والله وحده هو الذي ينصر ويرزق؛ فهو الرزاق ذو القوة المتين، ومن كمال فطنة العبد ومعرفته: أن يعلم أنه إذا مسَّه الله بسوء لم يرفعه عنه غيره، وإذا ناله بنعمة لم يرزقه إياها سواه».

وأصل الإسلام هو الخضوع لله وحده لا شريك له، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال شيخ الإسلام: دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله؛ هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه».

فما تراه أيُّها المسلم من خضوع بعض الضَّالِّين عند قبور الموتىٰ من المخلوقين؛ فهؤلاء قد أسلموا وجوههم لغير الله خضوعًا وذلًّا ورجاءً ورغبةً ومسألةً ودعاءً، فهذا شرُّ أنواع الشِّرك الأكبر.

---

(١) قرَّة عيون الموحِّدين (ص٥٣).

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لا ريب أنَّ الدعاء يجتمع فيه من أنواع العبادة ما لا يجتمع في غيره من أنواع العبادات، والنِّداء كذلك؛ كتوجُّه الوجه والقلب واللِّسان للمدعو، تذلُّلًا له، وخضوعًا واستكانة ورغبة، وهذا هو العبادة؛ لأنَّ أصل العبادة وأساسها أن يخضع غاية الخضوع والتذلُّل للمعبود، ولابد مع ذلك من المحبَّة، وأنت ترىٰ ما يفعله المشركون من إقبالهم علىٰ الأموات بسؤالهم ما لا قدرة لهم عليه، وتجد عندهم من الخضوع والتذلُّلِ وإسلام الوجه والقلب والجوارح لسؤال صاحب القبر ما لا يوجد مثله في المساجد، وهذا لا يخفىٰ علىٰ من عرف حال هؤلاء المشركين مع من كانوا يقصدون لإغاثة لهفاتهم وتفريج كرباتهم، فيقع منهم من الشِّرك بالله ما يجلّ عن الوصف، فعبدوا غير الله بالقول والاعتقاد، وأقبلوا عليه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم».

فمن خضع قلبه وجوارحه لله، وعبده بما شرع؛ فذلك الحنيف الموحِّد المسلم، ومن خضع قلبه وجوارحه لغير الله؛ فذلك المشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «القلب إن لم يكن حنيفًا مقبلًا علىٰ الله، معرضًا عمَّا سواه؛ كان مشركًا، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتَّلبيس علىٰ قلب داود بن جرجيس (ص٧٣).

(٢) العبوديَّة (ص١٠٤، ١٠٥).

يَعۡلَمُونَ ٣٠ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١﴾ [الروم: ٣٠، ٣١]».

والشِّرك يكون في الاعتقاد وفي القول وفي العمل، والشِّرك في الألفاظ إن جرىٰ علىٰ لسان المسلم من غير اعتقاد لحقيقته فهذا شرك أصغر؛ كالحلف بغير الله، كاعتياد بعض أو كثير من النَّاس الحلف بالنبيِّ ﷺ أو آبائهم.

عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:** «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»، رواه التِّرمذيُّ وحسَّنه وصحَّحه الحاكم.

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الشرك في الألفاظ؛ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ كـ: لولا الله وفلان، وهذا بالله وبك. وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله؛ كـ: لولا الحارس لأتانا اللصوص، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل. فكل هذا ينافي التوحيد، والواجب أن تُضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلىٰ إرادة الله، وإلىٰ الله ابتداءً، ويُذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: لولا الله ثم كذا؛ ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره.

فلا يتم توحيد العبد حتىٰ لا يجعل لله ندًّا في قلبه وقوله وفعله».

ومتىٰ كان الشِّرك اللَّفظي سببه اعتقاد قلبي بالتَّشريك كان شركًا أكبر.

والشِّرك في أصله يرجع إلىٰ طاعة الشَّيطان، قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٢٤).

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، فمن أطاع الشَّيطان في الشِّرك والكفر الأكبر؛ فقد خرج من عبوديَّة الله إلىٰ عبوديَّة الشَّيطان إلا أن يتوب، ومن أطاعه فيما دون ذلك من الشِّرك والكفر الأصغر والمعاصي؛ كان فيه من عبوديَّة الشَّيطان بحسبه.

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يس: ٦٠]، أي: لا تطيعوه.

وهذا التَّوبيخ يدخل فيه التَّوبيخ عن جميع أنواع الكفر والمعاصي؛ لأنَّها كلَّها طاعة للشَّيطان وعبادة له».

وحقيقة التَّوحيد والدِّين هو عبوديَّة الله وحده بما شرع، فمن تولَّىٰ عن طاعة الله وعبوديَّته، ولم يُقم أركان الإسلام؛ فهذا كافر لم يعبد الله، ومن صرف شيئًا من العبادات لغير الله فهو مشرك شركًا أكبر، ومن عبد الله بما لم يشرع كان مبتدعًا، والبدع أنواع فمنها ما هو من الشِّرك.

قال تعالىٰ عن دعوة رسوله نوح عليه السلام: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣]، قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «عبادته توحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، وطاعة رسوله ﷺ، هذا هو الدِّين: أن لا يُعبد إلا الله، وأن لا يُعبد إلَّا بما شرع فعلًا وتركًا، وأن يُقدِّم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٦٦٥).

(٢) قرَّة عيون الموحِّدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص٣٩).

طاعة رسوله ﷺ على ما يحبُّه ويهواه».

ومن التألُّه لغير الله اتِّباع الهوى، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

ومن تألَّه لهواه في أمره كله، وفيما يأتيه ويذره، فهو مشرك شركًا أكبر، ومن تألَّه لله وحده لا شريك له، وغلبه هواه في بعض ما يفعله؛ كان فيه شعبة من ذلك الهوى، زاد ما زاد.

والموحِّدون المخلصون يجاهدون أهواءهم عبوديَّة لله، فيدفع إخلاصهم واستعانتهم بالله غلبات الهوى والطَّبع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره، ويستعينوا به على كل ذلك، كما قال في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]».

ومتى قويت استعانة المخلوق بربِّه وعظم اعتصامه به، وأخلص إقباله على الله؛ لم يكن للشَّيطان عليه سبيل.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠].

---

(١) العبوديَّة (ص٣٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إذا كان الشَّيطان ليس له سلطان إلا علىٰ من أشرك به، فكل من أطاع الشَّيطان في معصية الله فقد تسلَّط الشَّيطان عليه، وصار فيه من الشِّرك بالشَّيطان بقدر ذلك».

والهوىٰ يُضعف الإخلاص، وواجب المسلم الاستعانة بالله في دفعه، وإذا بُلي بشيء منه استغفر وتاب وأناب إلىٰ الله، وسابق إلىٰ الطَّاعات صقلًا لقلبه وحفظًا لتوحيده، لا يتركه يستحكم به، فربَّما قطعه ذلك عن عبوديَّة الله والتألُّه له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ اتِّباع الهوىٰ يُضعف عبادة الله وحده».

فالاستعانة بالله في ملازمة أمره وترك نهيه؛ هو من أسباب الإخلاص لله في طاعته وعبوديَّته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، والنُّفوس إنَّما تزكو بطاعة الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

والله سبحانه يُحَبُّ تألُّهًا له وحده لا شريك له، فلا أحد يُحب لذاته إلا الله؛ لكمال أسمائه وصفاته ونعوته، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وحقيقة محبة الله وتوحيده اتِّباع صراطه المستقيم

(١) تفسير شيخ الإسلام (٤/ ١٣١، ١٣٢).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٤/ ٣٧٩).

الذي بعث رسوله محمدًا ﷺ ببيانه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الذي يُحَبُّ لذاته، وليس ذلك إلا الله، الذي لا إله إلا هو، وكلُّ ما سواه فإنما يُحَبُّ تبعًا لمحبته؛ فيُحَبُّ لأجله، ولا يُحَبُّ معه؛ فإنَّ الحب معه شرك، والحب لأجله توحيد. فالمشرك يتخذ من دون الله أندادًا يحبهم كحب الله، والمُوحِّد إنما يحبُّ من يحبه لله، ويبغض من يبغضه في الله، ويفعل ما يفعله لله، ويترك ما يتركه لله. ومدار الدين علىٰ هذه القواعد الأربع، وهي: الحب والبغض - ويترتب عليهما الفعل والترك -، والعطاء والمنع».

وواجب المسلم التألُّه لله وحده محبَّة وتعظيمًا وإجلالًا ورغبة ورهبة، ومن وافق ربَّهُ فيما يُحبُّهُ وما يكرهه؛ كان الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ أحبَّ إليه ممَّا سواهما[٢]، والله يحبُّ الإيمان والتَّقوىٰ، ويُبْغض الكُفْر والفسوق والعصيان.

والتَّوحيد أصله وأساسه إثبات الألوهيَّة لربِّ العالمين، ونفي ألوهيَّة ما سوىٰ الله، فإذا كانت عبادات المسلم وحال قلبه وجوارحه وإراداته ومحبَّته وموالاته وأعماله في تحقيق ذلك؛ كان من الموحِّدين، ولا يتحقَّق ذلك إلا باجتماع القلب علىٰ الله ومفارقة ما سواه، فيتجرَّد القلب لتوحيد الله والجوارح تتبعه في ذلك[٣].

---

(١) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص٣٦).

(٢) العبوديَّة (ص٧٣).

(٣) العبودية (ص١١٥).

وحريٌّ بالمسلم تنمية إيمانه، وتحقيق توحيده وتكميله، وزيادة يقينه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «طمع العبد في ربِّه، ورجاؤه له؛ يوجب عبوديَّته له، وإعراض قلبه عن الطَّلب من الله، والرَّجاء له؛ يوجب انصراف قلبه عن العبوديَّة لله، لا سيَّما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق».

وقال العلامة عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّه متىٰ تيقن العبد أن الله هو النافع الضار، المعطي المانع، وأنَّ من اعتزَّ به فهو عزيز، ومن التجأ لغيره فهو الذَّليل، وأنَّ الخلق كلَّهم فقراء إلىٰ الله، لا ينفعون ولا يضرُّون؛ أوجب له ذلك القوَّة بالله، والالتجاء إليه، وأن لا يخاف ولا يرجو أحدًا غير الله، ولا يطمع إلَّا في فضله.

وبهذا يتمُّ له التحرُّر من رقِّ المخلوقين، وأن لا يُعلِّق قلبه بأحد منهم في نفع ولا دفع ضرٍّ، بل يكون الله وحده مولاه وناصره، يتولاه في طلب المنافع، ويستنصره في دفع المضارِّ؛ فيتم له من كفاية المولىٰ وتيسيره ما لا يتم لمن لم يكن معه هذا الإيمان، ويحصل له من قوَّة القلب وشجاعته ما لا يصل إليه من لم يبلغ درجته، وهذا كله من ثمرات الإيمان الصَّحيح».

وزكاء النُّفوس بتوحيد الله وعبوديَّته وطاعته، وإقامة حقوق التَّوحيد خصوصًا الصَّلاة تدفع الشِّرك والذُّنوب وأنواع المعاصي، ويؤثر المسلم بذلك

---

(١) العبودية (ص٦٦، ٦٧).

(٢) الرِّياض الناضرة (ص١٢).

محابّ الله ومراضيه علىٰ هوىٰ النَّفس والشَّيطان، فيكون الله أحبّ إليه ممَّا سواه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن القلب إذا ذاق طَعْمَ عبادة الله والإخلاص له؛ لم يكن عنده شيء قط أحلىٰ من ذلك، ولا أَلَذَّ، ولا أَطْيَبَ.

والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوب آخر، يكونُ أحبَّ إليه منه، أو خوفًا من مكروه. فالحبُّ الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحبِّ الصالح، أو بالخوف من الضَّرر؛ قال تعالىٰ في حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فالله يصرف عن عبده ما يسوءُه من الميل إلىٰ الصُّور، والتعلُّق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله. ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبوديَّة لله، والإخلاص له تغلبه نفسه علىٰ اتِّباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه؛ انقهر له هواه بلا علاج، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ فإن الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله. وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإن ذكر الله عبادة لله، وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره علىٰ سبيل التَّبَع.

والقلب خُلق يحبُّ الحقَّ ويريده ويطلبه، فلما عَرَضَتْ له إرادة الشر طلب دفع ذلك؛ فإنها تُفسد القلبَ كما يَفْسَد الزرعُ بما ينبت فيه من الدَّغْل، ولهذا قال

---

(١) العبودية (ص٦٩-٧١).

تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ: ١٤، ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ [النور: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. فجَعَل سبحانه غضَّ البصر وحِفْظ الفرج هو أزكىٰ للنَّفْس، وبَيَّن أنَّ ترك الفواحش من زكاة النُّفوس، وزكاة النُّفُوس تتضمَّن زوال جميع الشُّرور من: الفواحش، والظُّلم، والشِّرك، والكذب، وغير ذلك».

والتَّوحيد حقيقته وأصله يرجع إلىٰ إفراد الله بأفعاله، وإفراده بأحكامه، وإفراده بعبوديَّته؛ قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فالحنيف المسلم يتألَّه لله بما شرع، لا يخرج عن شرع الله، فضلًا عن أن يضادَّ الله في حكمه فيشرع شرعًا يضاهي شرع الله وحكمه؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورىٰ: ٢١]، وهذا من أغلظ أنواع شرك اليهود والنَّصارىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كانت تلك الطَّاعة عبادة لهم وشركًا بالله».

---

(١) الأخنائية (ص٣٨١).

والمسلم هو الذي أسلم لحكم الله وانقاد له، وهذا باعثه الإخلاص لله ربِّ العالمين، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «القلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالىٰ: إرادة ومحبة وتوكلًا وإنابة وإخباتًا وخشية ورجاءً، وخلَص عمله لله؛ فإنْ أحبَّ أحبَّ في الله، وإنْ أبغض أبغض في الله، وإن أعطىٰ أعطىٰ لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتىٰ يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا علىٰ الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد، في الأقوال والأعمال؛ من أقوال القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمال الجوارح؛ فيكون الحاكم عليه في ذلك كله - دِقّه وجلّه - هو ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، أي: لا تقولوا حتىٰ يقول، ولا تفعلوا حتىٰ يأمر».

وهذا هو حقيقة الدِّين كلِّه، وهو الإخلاص لله بعبوديَّته والانقياد لحكمه وأمره، وهو حقيقة الحنيفية؛ ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كل عمل أُريد به غيرُ الله لم يكن

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ٤١، ٤٢).

(٢) العبودية (ص١٠٠).

لله، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله».

وأما تنصيص شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ شرك الذَّبح لغير الله؛ فهو تعليم وتبيين لأنواع الشِّرك المخرج من الملَّة بذكر أحد أنواعه، ولأنَّ الذَّبح من أعظم وأفضل العبادات التي يجب إخلاصها لله عَزَّوَجَلَّ وحده، وقد وقع فيه الشِّرك من النَّاس، فوجب تحذيرهم منه.

وقد ذكر الله من جملة ما حرَّم علينا في أوَّل سورة «المائدة»: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]، وهو رفع الصوت بغير الله عند الذَّبح؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ هذه الآية تعمُّ ما نطق به لغير الله، ويُقال: أهللت بكذا إذا تكلمت به، وإن كان أصله الكلام الرَّفيع، فإن الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه، وإنَّما لما كانت عادتهم رفع الصوت في الأصل؛ خرج الكلام علىٰ ذلك، فيكون المعنىٰ: وما تكلم به لغير الله، وما نطق به لغير الله.

ومعلوم أنَّ ما حرم: أن يجعل غير الله مسمًّىٰ، فكذلك مَنْويًّا؛ إذ هذا مثل النيَّات في العبادات، فإنَّ اللَّفظ بها وإن كان أبلغ، لكن الأصل القصد».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا أنواع ما أُهل لغير الله به[٢]: «الكافرون يصنعون بآلهتهم كذلك، فتارة يسمُّون آلهتهم علىٰ الذَّبائح، وتارة يذبحونها قربانًا إليهم، وتارة يجمعون بينهما، وكل ذلك - والله أعلم - يدخل فيما أُهلَّ لغير الله به؛ فإنَّ من سمَّىٰ غير الله فقد أهلَّ به لغير الله؛ فقوله: «باسم

(١، ٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٦٥).

كذا»، استعانة به، وقوله: «لكذا» عبادة له، ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]».

فمن قصد الذَّبح لغير الله فقد أشرك وإن لم يتكلَّم به، فإذا سمَّىٰ غير الله مع نيَّته له؛ كان ذلك أغلظ شركًا، ومن استعان بغير الله في ذبحه وقصد به التقرُّب لغير الله؛ كان مشركًا بالاستعانة بغير الله وأداء العبادة لغيره.

ومن الشِّرك الأكبر الذَّبح علىٰ نصب الأصنام والأوثان، قال تعالىٰ فيما حرم علينا أكله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ حكم ذلك لا يختلف بحضور الوثن وغيبته، فإنَّما حرم لأنَّه قصد بذبحه عبادة الوثن وتعظيمه».

وكان شرك الجاهليين في الذبح من شرٍّ وأغلظ وأشنع الشِّرك، يذبحون لغير الله، ويستحلُّون الميتة، ويردون علىٰ الله حكمه في إباحة المذكَّاة، قال تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١١٨-١٢١].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٦٧).

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يدخل تحت هذا المنهي عنه ما ذُكر عليه اسم غير الله، كالذي يذبح للأصنام، وآلهتهم؛ فإن هذا مما أُهلَّ لغير الله به، المحرَّم بالنص عليه خصوصًا.

ويدخل في ذلك متروك التسمية مما ذبح لله؛ كالضحايا، والهدايا، أو للحم والأكل».

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن المشركين حين سمعوا تحريم الله - عَزَّوَجَلَّ - ورسوله - ﷺ - الميتةَ، وتحليله للمذكاة، وكانوا يستحلون أكل الميتة؛ قالوا - معاندة لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ومجادلة بغير حجة ولا برهان -: أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟! يعنون بذلك: الميتة.

وهذا رأي فاسد، لا يستند علىٰ حجَّة ولا دليل، بل يستند إلىٰ آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعًا لها لفسدت السموات والأرض، ومن فيهن.

فتبًّا لمن قدَّم هذه العقول علىٰ شرع الله وأحكامه، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصة.

ولا يُستغرب هذا منهم؛ فإنَّ هذه الآراء وأشباهها صادرة عن وحي أوليائهم من الشياطين، الذين يريدون أن يضلوا الخلق عن دينهم، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير».

وقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [**ومنه - الشِّرك - الذَّبح**

(١، ٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٢٧٥).

لغير الله، كمن يذبح للجنِّ]، وهذا يفعله من يستخدم الجنَّ للإخبار ببعض المغيّبات، فتأمرهم الجنُّ بالشِّرك بالذَّبح لها؛ لتعينهم علىٰ أغراضهم التي يريدونها من الجنِّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «استمتاع الإنس بالجن: أنهم أعانوهم علىٰ معصية الله تعالىٰ والشرك به بكل ما يقدرون عليه: من التحسين والتزيين والدعاء، وقضاء كثير من حوائجهم، واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها؛ فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم: من الشرك والفواحش والفجور، وأطاعتهم الجن فيما يرضيهم: من التأثيرات والإخبار ببعض المغيبات؛ فتمتَّع كلٌّ من الفريقين بالآخر».

وقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ [ومنه - الشِّرك - الذَّبح لغير الله كمن يذبح للقبر]؛ فيه تحذير من شرك الجاهليَّة بالذَّبح علىٰ النُّصُب وعند القبور.

والذَّبح عند القبور هو من مضاهاة القبر بمشاعر الحرم الذي شرع الله للخليل والمسلمين جميعًا اتِّخاذه منحرًا، والذَّبح عند القبر هو من قصد غير الله

---

(١) بدائع التَّفسير (٢/ ١٨٢).

بالذَّبح؛ فيكون ذلك ممَّا ذُبح علىٰ النُّصب، فكل ما قُصد بالذَّبح سوىٰ الله فهو من النُّصب، سواء كان حجارة أو قبر ميت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أحق البقاع بدعاء الله تعالىٰ فيها المساجد التي يُصلىٰ فيها، والمشاعر التي شرع الله تعالىٰ فيها الدعاء والذكر، وأمر أن يكون الدين خالصًا له، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦١، ١٦٢].

فإذا كانت الصلاة والذكر لله وحده؛ لم يكن ذلك مشروعًا عند قبر، كما لا يذبح للميت ولا عند قبره، بل نهىٰ النبيُّ ﷺ عن العقر عند القبر، وكره - تحريمًا - العلماء الأكل من تلك الذبيحة؛ فإنها شِبْه ما ذُبح لغير الله».

وكان المشركون في جاهليَّتهم يذبحون عند القبر تعظيمًا للميِّت، والميِّت يعظِّمه ما كان من عمله، والقبور ليست محلًّا للنَّحر ولا للذَّبح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لا يُذبح عند القبر أضحية ولا غيرها؛ فإنَّ في «سنن أبي داود» عن النبي ﷺ: أنَّه نهىٰ عن العقر عند القبر. حتىٰ كره أحمد الأكل ممَّا يُذبح عند القبر؛ لأنه يُشبه ما يُذبح علىٰ النُّصب».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «كان المشركون يذبحون للقبور،

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٢، ٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٦/ ٣٦).

ويقرِّبون لها القرابين، وكانوا في الجاهلية إذا مات لهم عظيم ذبحوا عند قبره الخيل والإبل، وغير ذلك، تعظيمًا للميِّت، فنهىٰ النبيُّ ﷺ عن ذلك كله».

والذَّبح يكون طاعة وتوحيدًا بقصد الله والاستعانة به وعبوديَّته في ذلك، ويكون في مكان يذبح فيه لله وحده لا شريك له، فيجتنب المسلم منحر الشِّرك والأماكن التي فيها أوثان وأعياد الجاهليَّة.

قال تعالىٰ في مسجد الضِّرار: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّه لما كان مسجد الضرار مما اتُّخذ للمعاصي ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين؛ نهىٰ الله - عَزَّوَجَلَّ - ورسوله - ﷺ - أن يقوم فيه، مع أن صلاته فيه لله؛ فدلَّ علىٰ أن كلَّ مكان يُعصىٰ الله فيه أنه لا يُقام فيه، فهذا المسجد متَّخذ للصلاة، لكنَّه محل معصية؛ فلا تُقام فيه الصلاة.

وكذا لو أراد إنسان أن يذبح في مكان يُذبح فيه لغير الله، كان حرامًا؛ لأنه يشبه الصلاة في مسجد الضرار.

وقريب من ذلك النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لأنهما وقتان يسجد فيهما الكفار للشمس».

وعن ثابت بن الضحَّاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** «نذر رجلٌ أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبيَّ ﷺ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهليَّة يُعْبَد؟**» قالوا: لا؛ قال:

---

(١) شرح كتاب التَّوحيد (ص٢٢٨، ٢٢٩)، المطبوع ضمن مجموع الفتاوىٰ، المجلد التاسع.

«**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا؛ فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك؛ فإنَّه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»، رواه أحمد وأبو داود، وإسناده علىٰ شرط الصحيحين.

قال العلامة عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقرُّبًا إليها وشركًا بالله؛ قد صار مشعرًا من مشاعر الشِّرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله؛ فقد تشبَّه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلىٰ الموافقة الباطنة والميل إليهم».

فالحاصل أنَّ الذَّبح عبادة، والعبادة لابد أن تكون خالصة لوجه الله، والذَّبح لغير الله شرك أكبر، وهو أنواع:

١- أن يذكر اسم غير الله عند الذَّبح.

٢- أن يقصد غير الله بالذَّبح وإن لم يذكر اسمه.

٣- أن يستعين بغير الله بالذَّبح.

٤- أن يذبح عند استقبال السُّلطان تقرُّبًا إليه؛ فهذا شرك.

أما إن كان الذَّبح لله إكرامًا للضَّيف، وقُصد به وجه الله مما أمر به من إكرام الضَّيف، وذُكر اسم الله عليه؛ فهذا مشروع.

وذبح بهيمة الأنعام وما أحلَّه الله من الحيوان باسم الله وبالاستعانة به، وقصده بالذَّبح؛ هو من شكر الله علىٰ هذه الأنعام، وهذا ما تحقَّق به الحنفاء؛

---

(١) القول السديد شرح كتاب التَّوحيد (ص٤٨).

كزيد بن عمرو بن نفيل العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إنكاره على من اجتالتهم الشياطين من مشركي الجاهلية.

قال زيد بن عمرو بن نفيل العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السَّماء ماءً، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟!!».

والذَّبح لله مقصوده تحقيق التَّقوى بتوحيد الله بعبوديَّته في ذلك، قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أخبر أنه إنما سخرها لمن يذكر اسم الله عليها، وأنه إنما يناله التقوى، وهو التقرُّب إليه بها، وذكر اسمه عليها، فإذا لم يذكر اسمه عليها كان ممنوعًا من أكلها، وكانت مكروهة لله فأكسبتها كراهيته لها حيث لم يذكر عليها اسمه، أو ذُكر عليها اسم غيره وصفَ الخبث؛ فكانت بمنزلة الميتة. وإذا كان هذا في متروك التسمية، وما ذُكر عليه اسم غير الله، فما ذبحه عدوه المشرك به الذي هو أخبث البرية أولى بالتحريم، فإن فعل الذابح وقصده وخبثه لا ينكر أن يؤثر في المذبوح».

والذبح لله من أجلِّ العبادات وأفضلها، فهو عبوديَّة خالصة لله، وهو عبوديَّة

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل. (ص٦٤٢ – رقم ٣٨٢٦).

(٢) بدائع التَّفسير (٣/ ٢١٠).

لازمة لربوبيَّة المنعم بالنُّسك الذي تفضَّل بالإنعام به، فيُجرَّد الذَّبح له وحده، وبه يحصل ما أمر الله به من تحقيق التَّوحيد بالنُّسك له.

ولا ريب أنَّ الذَّبح لله من أجلِّ العبادات، فأمر الله بإقامته له وحده، كما أمر بالصَّلاة له وحده لا شريك له، فهما من أعظم شعائر الملَّة، وعبادات الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة، والنسك الدالتان علىٰ القرب والتواضع والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلىٰ الله وإلىٰ عدته، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنىٰ عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلىٰ ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] الآية، والنُّسك: الذَّبيحة لله تعالىٰ ابتغاء وجهه؛ فإنَّها أجلُّ ما يُتقرَّب به إلىٰ الله؛ فإنَّه أتىٰ فيهما بالفاء الدالَّة علىٰ السَّبب؛ لأنَّ فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر، وأجل العبادات البدنية الصَّلاة، وأجلُّ العبادات المالية النَّحر.

وما يجتمع للعبد في الصَّلاة لا يجتمع له في غيرها، كما عرفه أرباب القلوب الحيَّة.

وما يجتمع له في النَّحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوَّة اليقين وحسن الظَّن أمر عجيب، وكان النبيُّ ﷺ كثير الصَّلاة كثير النَّحر».

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد (ص١٨٨).

وأصل تشريع التعبُّد لله بنحر الأضاحي وذبح بهيمة الأنعام طاعة لله؛ هو أنَّ الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أُري في المنام أنَّه يذبح ابنه إسماعيل، فأخبر ابنه بذلك، وانقادًا لأمر الله؛ لأنَّ رؤيا الأنبياء وحي من الله، وفدىٰ الله إسماعيل بذبح عظيم، فكان عظيمًا في تشريعه للأمَّة كلِّها بنحر الأضاحي وفداء أنفس المؤمنين بذبح بهيمة الأنعام.

وانتظم الإسلام مقاصد الذَّبح الذي كلَّف الله بها إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - علىٰ أحسن ما يكون، فشرع الله الجهاد، فيُقتل المجاهد المسلم في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا بيد المشرك لا بيد نفسه، وربَّما سلم المجاهد وكتب الله له النَّصر، وشرع الله فداء الأنفس من حين ولادتها، فيعقّ الأب عن أولاده، ويضحِّي المسلم في كل عام في يوم الحجِّ الأكبر يوم النَّحر العاشر من ذي الحجَّة، ويمتدُّ وقت الأضحية إلىٰ آخر أيَّام التَّشريق.

والأضحية من شعائر حنيفيَّة الإسلام العظيمة، وهي من العبادات التي شرعها الله في كل الملل كالصَّلاة؛ لأهميَّتها وما فيها من تحقيق العبوديَّة لله والإحسان إلىٰ المخلوقين بالصَّدقة منها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الحج: ٣٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يُخبر تعالىٰ أنَّه لم يزل ذبح المناسك

(١) تفسير القرآن العظيم (ص٩١٧).

وإراقة الدِّماء علىٰ اسم الله مشروعًا في جميع الملل».

وقال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذه الآية تدلُّ علىٰ أنَّ الذَّبح تقرُّبًا إلىٰ الله تعالىٰ مشروع في كلِّ ملَّة لكلِّ أمَّة، وهو برهان بيِّن علىٰ أنَّه عبادة ومصلحة في كلِّ زمان ومكان وأمَّة».

فالتقرُّب إلىٰ الله بذبح الأنعام من أعظم العبادات تحقيقًا للعبوديَّة، فقصد الله بالنُّسك من أعظم عبوديَّة القلب، وبذل المال للأضحية بأنفس الأضاحي من أعظم أنواع العبوديَّة تزكية للنُّفوس ببذل المال لله، ومن أفضل الطَّاعات تطهيرًا للنُّفوس من الشُّحِّ، ومن أعظم القربات بالإحسان إلىٰ الخلق ببذل أطيب الطَّعام لهم، ومن أحسن ما يكون من الاستمتاع بالطيِّب من الغذاء الذي به قوام البدن للقيام بالوظائف الدينيَّة والدنيويَّة.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هذا عموم، ثم خصَّص من ذلك أشرف العبادات فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما علىٰ محبة الله تعالىٰ،

(١) أحكام الأضحية (ص٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٨٧).

وإخلاص الدِّين له، والتقرُّب إليه بالقلب واللسان والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبُّه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالىٰ.

ومن أخلص في صلاته ونسكه؛ استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله».

وذبح البهائم لا يجوز عبثًا، فقد نهىٰ النبيُّ ﷺ عن صبر البهائم، رواه البخاري؛ فالبهائم مخلوقات تُسبِّح الله، أباحها الله لنا غذاءً للاستعانة بها علىٰ طاعته ومحامده وشكره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الذَّبح إنَّما أباحه الشَّارع لمقصود حلّ اللَّحم».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن هذه البهائم مطيعة لله، لا تعصيه، وهي مسبِّحةٌ لله قانتة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وإنها تسجد له كما أخبر بذلك في سورة النحل وسورة الحجِّ، وربما كانت أكثر ذكرًا لله من بعض بني آدم.

وفي «المسند» مرفوعًا: «**رب بهيمةٍ خير من راكبها، وأكثر لله منه ذكرًا**»، وقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه أن كثيرًا من الجن والإنس كالأنعام، بل هم أضلُّ، فأباح الله عَزَّوَجَلَّ ذبح هذه البهائم - المطيعة الذاكرة له - لعباده المؤمنين حتىٰ تتقوىٰ بها أبدانهم، وتكمُل لذاتهم في أكل اللحوم؛ فإنها من أجلِّ الأغذية وألذِّها،

---

(١) إقامة الدَّليل علىٰ بطلان التحليل (ص٤٢٢).

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ١٦٣، ١٦٤).

مع أنَّ الأبدان تقوم بغير اللحم من النباتات وغيرها، لكن لا تكمل القوة والعقل واللذة إلا باللحم، فأباح للمؤمن قتل هذه البهائم والأكل من لحومها؛ ليكمِّل بذلك قوَّة عباده وعقولهم؛ فيكون ذلك عونًا لهم علىٰ علومٍ نافعة، وأعمالٍ صالحة يمتاز بها بنو آدم علىٰ البهائم، ويتقوون بها علىٰ ذِكْر الله عَزَّوَجَلَّ وهو أكثر من ذكر البهائم فلا يليق بالمؤمن مع هذا إلا مقابلة هذه النعم بالشكر عليها، والاستعانة بها علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وذكره، حيث فضَّلَ الله ابن آدم علىٰ كثير من المخلوقات، وسخَّر له هذه الحيوانات، قال تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦] فأمَّا من قتل هذه البهائم المطيعة الذاكرة لله عَزَّوَجَلَّ، ثم استعان بأكل لحومها علىٰ معاصي الله عَزَّوَجَلَّ، ونسي ذكر الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقد قلب الأمر وكفر النِّعمة. فلا كان من كانت البهائم خيرًا منه وأطوع».

❁ ❁ ❁

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

«الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا».

الشَّرح:

هذا الناقض من أنواع الناقض الأول وهو الشِّرك، وخصَّه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالذِّكر؛ لأنَّه شرك المعاصرين، فشرك الاستغاثة بالموتىٰ هو أغلب شرك النَّاس اليوم، وخصَّه شيخ الإسلام بالذكر لجهل كثير من النَّاس بحكمه، ولتعالم المضللين الذين يجادلون بالباطل وبغير علم عن هذا النوع من الشِّرك.

ومن جرَّد التوحيد لله؛ دعا الله وحده، ولم يجعل بينه وبين الله واسطة في دعائه؛ فإنَّه من الشِّرك الذي أنكره الله، قال تعالىٰ: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر: ٦٥]، وكان النبيُّ ﷺ والصَّحابة يجرِّدون الدعاء لله وحده، يطلبون من الله حاجاتهم، لا يتَّخذون أحدًا شفيعًا في دعاء الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ليس من دين المسلمين، ولا دين أحد من الرسل، لم يسنَّ أحد من الأنبياء للخلق أن يطلبوا من الصالحين الموتىٰ، والغائبين، والملائكة دعاءً، ولا شفاعة، بل هذا أصل الشرك؛ فإن

(١) نواقض الإسلام (ص٢٣).

(٢) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص١٢١).

المشركين إنما اتخذوهم شفعاء، قال تعالىٰ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨]».

والله عَزَّوَجَلَّ وحده الذي بيده النفع والضرُّ، وهو وحده الذي يكشف الضرَّ ويقضي الحاجات، وكل المسلمين الموحِّدين موقنون بهذا الاعتقاد؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأنعام: ١٧]، وكان النبيُّ ﷺ يُعلِّم هذه الجمل من الاعتقاد للصبيان والغلمان تأسيسًا لعقائدهم علىٰ الدِّين الخالص لله، فقال لابن عمِّه ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وهو غلام: «**إنِّي مُعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأنَّ الأمة لو اجتمعت علىٰ أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»، رواه أحمد والترِّمذي.

وهذا الاعتقاد يوجب للمخلوق دعاء الله وحده، والرغبة والرَّهبة إليه وحده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه -

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٢٧٩، ٢٨٠).

وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ كلامه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وأنبائه التي أنبأ بها عن أسمائه وصفاته، وملائكته وعرشه، وما كان وما يكون، ليسوا وسائط في خلقه لعباده، ولا في رزقهم وإحيائهم وإماتتهم، ولا جزائهم بالأعمال وثوابهم وعقابهم، ولا في إجابة دعواتهم وإعطاء سؤالهم، بل هو وحده خالق كل شيء وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو الذي يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: ٥١]».

ولا ريب أنَّ دعاء غير الله شرك، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٦].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ما أوضحها من آية في بيان أنَّ جُلَّ شرك المشركين إنَّما هو بدعاء من أشركوا مع الله في العبادة».

والدُّعاء من أخصِّ أنواع العبوديَّة لله، حيث يتوجَّه قلب الدَّاعي إلىٰ الله قصدًا ورغبةً ورهبة، متضرِّعًا إليه، خاشعًا له وحده لا شريك له؛ فهذه العبادة العظيمة من أخصِّ مقامات العبودية لله، فلا بُدَّ من تجريدها لله وحده لا شريك له.

وتحقيق العبوديَّة لله، وتجريد التَّوحيد له وإخلاص الدُّعاء له؛ هو من أسباب استجابة الدُّعاء.

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس علىٰ قلب داود بن جرجيس (ص١٤٧).

فمتىٰ استجاب العبد لله؛ استجاب الله دعاءه، قال بعض التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لو أطعتم الله ما عصاكم».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «يعني: ما منعكم شيئًا تطلبونه منه».

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فاستجابة الدُّعاء تكون عن صحَّة الاعتقاد ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾، والاستجابة لله بالطَّاعة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «ولهذا قيل: إجابة الدُّعَاء تكون عن صحة الاعتقاد، وعن كمال الطاعة؛ لأنَّه عَقَّبَ آية الدُّعَاء بقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [البقرة: ١٨٦]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «أخبر سبحانه أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ثم أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به، كما قال بعضهم: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ إذا دعوتهم ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ أني أجيب دعوتهم.

قالوا: وبهذين السببين تحصل إجابة الدعوة: بكمال الطاعة لألوهيته، وبصحة الإيمان بربوبيته، فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه؛ حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه، كما قال تعالىٰ ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

(١، ٢) فتح الباري (١/ ٢١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٣٣).

(٤) اقتضاء الصِّراط المستقيم (ص٥٢١).

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦]؛ أي: يستجيب لهم، يقال: استجابه واستجاب له».

فالموحِّدون يجردون الدُّعاء لله وحده، والمشركون يتخذون الوسائط من المخلوقين في دعاء الله.

فاتِّخاذ الشفعاء في دعاء الله شرك، وهو الذي أنكره الله علىٰ كفَّار قريش، فعاد المعاصرون إلىٰ شرك أولئك، بل إلىٰ شرٍّ من ذلك؛ فإنَّ المشركين الأوَّلين كان شركهم في دعاء الله باتِّخاذ الشَّفاعة الشِّركيَّة في السرَّاء، وفي الضرَّاء يدعون الله وحده من غير الوسائط الشركية، والمعاصرون المشركون باتِّخاذ الوسائط في دعاء الله؛ شركهم في السراء والضراء.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قد أخبر تعالىٰ أن اتخاذ الشفعاء هو دين أهل الشرك بالله من عبدة الأوثان، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، إلىٰ قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]، فأخبر أنَّه شرك ونزَّه نفسه عنه، وأخبر أن قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يمنع حصول الشفاعة لهم بطلبها من غير من يملكها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فأخبر تعالىٰ أنهم تولَّوهم من دون الله بالعبادة، وأنَّهم إنَّما أرادوا بذلك أن يقرِّبوهم إلىٰ الله بشفاعتهم لهم؛ فأخبر تعالىٰ أنَّ هذا هو الكفر

---

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس علىٰ قلب داود بن جرجيس (ص١٥).

بالله، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، و﴿كَفَّارٌ﴾ صيغة مبالغة أبلغ من كافر».

فالمسلم الموحِّد يلجأ إلىٰ ربه دائمًا في أحواله كلِّها، في السرَّاء والضرَّاء؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النمل: ٦٢].

والمشركون يلجئون إلىٰ القبور ويدعون المخلوقين الموتىٰ، ويستغيثون بهم، ويسألونهم والغائبين من الأحياء ما لا يقدر عليه إلَّا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أين التوحيد للخالق بالرغبة والرهبة إليه، والرجاء له والتوكل عليه، والحب له؛ من الإشراك به بالرغبة إلىٰ المخلوق والرجاء له والتوكُّل عليه، وأن يُحب كما يُحب الله؟! وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار إليه من فساده في عبودية المخلوق، والذل له، والافتقار إليه؟!».

والنَّاس في بعض النَّواحي أو كثير منها انصرفت قلوبهم وألسنتهم عن الاستغاثة بالله وسؤاله، إلىٰ دعاء غير الله خصوصًا الموتىٰ، فصار يقصد قبور الموتىٰ من يستغيث بهم من دون الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «القبور قد اتخذت أوثانًا، وأصل

(١) التوسل والوسيلة (ص١٢١).

(٢) الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص١٠٢، ١٠٣).

الشرك هو من تعظيم القبور، وقد قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**».

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «بُنيت المساجد والمشاهد علىٰ القبور، وصُرفت لها العبادات بأنواعها، واتّخذ ذلك دينًا، وهي أوثان وأصنام؛ كأصنام قوم نوح، واللَّات والعزَّىٰ ومناة وأصنام العرب وغيرهم».

وقال العلامة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن الإسلام قد اشتدت غربته، حتىٰ صار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا؛ وأنَّ هذه المشاهد والأبنية التي علىٰ القبور قد كثرت، وكثر الشرك عندها، وبها، حتىٰ صار كثير منها بمنزلة اللات والعزىٰ، ومناة الثالثة الأخرىٰ، بل أعظم شركًا عندها وبها».

والنبيُّ ﷺ نهىٰ عن البناء علىٰ القبور، ولم يكن في عهده ﷺ قبرٌ يُقصد ويُدعىٰ ويُعبد.

والواجب علىٰ المسلم أن يلجأ إلىٰ مجيب الدُّعاء، الذي أَزِمَّةُ الأمور ومقاليدها بيده وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**».

---

(١) قرَّة عيون الموحدين (ص٤٤).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٠٣).

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة، ووعده الحقّ، وما يبدّل القول لديه، ولا يخلف الميعاد».

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾[الزمر: ٦٣].

قال شيخنا العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الإنسان لا يستعين إلَّا بالله، ولا يسأل إلا الله، ولا يتوكل إلَّا علىٰ الله، الذي له مقاليد السموات والأرض».

فالمسلم إذا أراد أن يجيب الله دعاءه؛ فليتخذ أسباب ذلك، بالتقرُّب إليه بطاعته وعبوديَّته الذي أساسه توحيد الله، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وأعظمه الشِّرك.

قال تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما

---

(١) فتح القدير (٤/ ٤٩٨).

(٢) تفسير سورة الزمر (ص٤٣٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٢).

يتوسل به، أي: يتوصل به ويتقرب به إليه سبحانه، سواء كان علىٰ وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر، أو كان علىٰ وجه السؤال له والاستعاذة به؛ رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار».

وقال العلامة بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أعظم الوسائل إلىٰ الله تعالىٰ التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله - عليهم الصلاة والسلام -، وخلق الخلق لأجله».

ومن أعظم تلبيس المشركين استدلالهم بهذه الآية علىٰ جواز اتخاذ الوسائط في دعاء الله، وهذا من أعظم ما يكون من تحريف معاني القرآن حيث جعلوا الآية بضد معناها.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «انظر هذه الآية الكريمة، وما دلت عليه، وما سيقت له، وانظر حقيقة دعوىٰ داود بن جرجيس، وما يفعله الغلاة في الأولياء والصَّالحين؛ تعرف أنَّه استدلَّ بالآية الكريمة التي هي نصٌّ علىٰ إبطال دعاء الصَّالحين ومسألتهم وتعظيمهم بشيء من العبادات كالذَّبح والنذر لهم، علىٰ إبطال دعواه أيضًا في التوسل الشركي بالصَّالحين، ودعائهم ومسألتهم. وبهذا تعرف أنَّه مشاق لله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله ﷺ، ويستدلُّ بالآية الكريمة علىٰ نقيض ما دلَّت عليه، ويفهم منها عكس ما

(١) قُرَّة عيون الموحدين (ص٥٦).

(٢) منهاج التأسيس (ص٣٥١).

دعت إليه، وهكذا حال القلوب المنكوسة تتصور الأشياء علىٰ خلاف ما هي عليه».

ومن اتَّخذ الأولياء وسائط في دعاء الله، يزعم أنَّه فعل ذلك لأنَّ له ذنوبًا قد لا يستجاب دعاؤه بسببها، والأولياء جاههم عند الله عظيم!!

هذا من أعظم الجهل؛ فإنَّ اتِّخاذ الوسائط في دعاء الله شرك، وهو أعظم أسباب سخط الله، وهو أعظم الذنوب.

والمسلم لا يخلو من تقصير أو تفريط، ويبادر إلىٰ الإتيان بأسباب رضىٰ الله الموجبة لإجابة الدُّعاء، فالتَّوحيد مقتضٍ لإجابة الدُّعاء، والاستغفار رافع لموانع إجابة الدُّعاء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الدواء هو التوحيد والاستغفار، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، وفي الحديث: «**إن الشيطان يقول: أُهلك بني آدم بالذنوب، وأَهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء**»، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، ولذلك كان الدعاء المفرِّج للكرب محض التوحيد، وهو «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا هو رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**».

وفي الترمذي وغيره عن النبيِّ ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون ما دعاها مكروب إلا فرَّج الله كربه** ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]»،

---

(١) شفاء العليل (ص٤٥٤).

فالتوحيد يُدخل العبد علىٰ الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه».

والشَّفاعة في الدَّار الآخرة ينالها الموحدون، الذين أخلصوا دينهم لله، وعبدوه وحده، وجرَّدوا المتابعة للرَّسول ﷺ، ولم يشركوا بالله شيئًا، ولم يبتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنَّه قال:** قلت: يا رسول الله**!** من أسعد النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولىٰ منك، لما رأيت من حرصك علىٰ الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»، رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أهل التوحيد المخلصون لله هم أحق الناس بشفاعته ﷺ، فمن كان لا يدعو إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتوكَّل إلا علىٰ الله، ولا يدعو مخلوقًا، لا ملكًا، ولا بشرًا، لا نبيًّا، ولا صالحًا، ولا غيرهم؛ كان أحق بشفاعته ممن يدعوه، أو يدعو غيره من المخلوقين؛ فإن هؤلاء مشركون، والشفاعة إنما هي لأهل التوحيد.

وإذا كان كذلك فالذين يدعون المخلوقين، ويطلبون من الموتىٰ، والغائبين، من الملائكة والبشر: الدعاءَ، والشفاعةَ؛ هم أبعدُ عن الشفاعة فيهم،

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص١٢٨).

والذين لا يدعون إلا الله هم أحق بالشفاعة لهم».

وكان في عهد الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من يغالط في شرك الاستغاثة بالموتىٰ، ويكذب علىٰ علماء المسلمين كابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاعمًا أنَّه من الشِّرك الأصغر؛ فردَّ عليه شيخ الإسلام، وأبطل تحريفه لكلام ابن القيم.

قال شيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ بعض الملحدين نسب إلىٰ الشيخ ابن القيم أنَّ هذا – الاستغاثة بالموتىٰ – شرك أصغر، وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر. وأنت – رحمك الله – تجد الكلام من أوله إلىٰ آخره في الفصل الأول والثاني صريحًا لا يحتمل التأويل، من وجوه كثيرة، منها:

أن دعاء الموتىٰ والنذر لهم ليشفعوا له عند الله؛ هو الشرك الأكبر، الذي بعث الله النبيَّ ﷺ بالنهي عنه، فكفَّر من لم يتب منه وقاتله وعاداه، وآخر ما صرَّح به قوله آنفًا: «وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر» إلىٰ آخره. فهل بعد هذا البيان بيان إلا العناد بل الإلحاد؟َ

ولكن تأمل قوله – أرشدك الله –: «وما نجا من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من عادىٰ المشركين» إلىٰ آخره. وتأمل أنَّ الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك الأكبر، وإن لم يعاديهم فهو منهم وإن لم يفعله».

علىٰ كل حال كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ صريح في أن الاستغاثة بالموتىٰ شركٌ

(١) مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (٦/ ٢٠٧، ٢٠٨).

أكبر، لا يجادل في مقصود كلامه إلَّا من يُحرِّف الكلم عن مواضعه وسياقه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ طلب الحوائج من الموتىٰ هو أصل شرك العالم».

فاتِّخاذ الوسائط في دعاء الله من الشِّرك الأكبر الذي يجب تحذير المسلمين منه؛ لأنه الذنب الذي لا يغفره الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فتبرير هذا النوع من الشِّرك للمسلمين هو تغرير بهم إلىٰ ما يبطل إسلامهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «المشركون الذين كفَّرهم رسولُ الله ﷺ، وقاتَلَهم واستباحَ دماءَهم وأموالَهم من العرب؛ لم يكونوا يقولون: إنَّ آلهتَهم شاركتِ اللهَ في خلق السموات والأرض والعالم، بل كانوا يُقِرُّون بأن الله وحدَه خلق السموات والأرض والعالم، كما قال الله تعالىٰ ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ الآيات، إلىٰ قوله: ﴿تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال طائفة من السلف: يسألهم: مَن خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله. وهم يعبدون غيره. وإنما كانت عبادتهم إيَّاهم أنَّهم يدعونهم ويتخذونهم وسائطَ

(١) بواسطة مصباح الظَّلام (ص٣٣٤).

(٢) جامع المسائل، المجموع الثالثة (ص١٥٠، ١٥١).

ووسائلَ وشُفعاءَ لهم؛ فمن سلكَ هذا السبيلَ فهو مشرك بحسب ما فيه من الشرك.

وهذا الشركُ إذا قامت علىٰ الإنسان الحجَّةُ فيه ولم يَنتهِ؛ وَجَبَ قتلُه(١) وأمَّا إذا كان جاهلًا لم يَبلُغْه العلمُ، ولم يَعرِف حقيقةَ الشرك الذي قاتلَ عليه النبيُّ ﷺ المشركين؛ فإنه لا يُحكَم بكُفْرِه، ولا سِيَّما وقد كَثُر هذا الشركُ في المنتسبين للإسلام، ومن اعتقدَ مثلَ هذا قُربةً وطاعةً؛ فإنه ضَالٌّ باتفاقِ المسلمين، وهو بعد قيامِ الحجَّة كافر.

والواجبُ علىٰ المسلمين عمومًا، وعلىٰ وُلاةِ الأمور خصوصًا النهيُ عن هذه الأمور، والزَّجْرُ عنها بكلِّ طريق، وعقوبةُ مَن لم ينتهِ عن ذلك العقوبةَ الشرعيَّةَ».

وقال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ؛ فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله».

فالدُّعاء عبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فسمَّىٰ الله الدُّعاء عبادة، وكذلك قال النبيُّ ﷺ: «**الدُّعاء هو العبادة**»، رواه أحمد وأبو داود والتِّرمذي من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فمن دعا غير الله أو أشركه في دعاء الله؛ فقد أتىٰ بالشِّرك الأكبر.

---

(١) الحدود والتعزيرات يقيمها ولي الأمر.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (١/ ٤٧٩).

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ٥٦]. ما أوضحها من آية في بيان أنَّ جُلَّ شرك المشركين إنَّما هو بدعاء من أشركوا مع الله في العبادة».

وبيَّن العلامة عبد اللَّطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما في دعاء غير الله من معاني الشِّرك، فقال[٢]: «حُرِّم لتضمُّنه التَّسوية بين الله وبين غيره في القصد والرَّجاء، والذلِّ والمحبَّة».

وفي دعاء غير الله من الأموات والأحياء الغائبين شركٌ في الرُّبوبيَّة في سؤال المخلوقين ما لا يقدر عليه إلَّا الله.

قال العلامة عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «لا ريب أن هذا الدعاء يقتضي إثبات قدرة عامة وعلم عام، وسمع محيط، لا سيَّما إن كان من يدعو الصالحين ويسألهم، جعل ذلك دَيدنَه في كل مكان، وإن بعدت الديار وتناءت الأقطار. وإن زعم أنه لم يثبت قدرة ولا علمًا ولا سمعًا عامًّا محيطًا لا يليق بالمخلوق؛ فهو مكابر ملبوس عليه، ثم في ذلك من الخضوع والذلِّ والمحبة والإنابة ما هو من خالص العبادة ولبها، فكيف جاز صرفه لغير الله؟!».

والمستغيث بمن لا يغيث، والدَّاعي لمن لا يستجيب مضارّ بنفسه مضارّ

(١) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس علىٰ قلب داود بن جرجيس (ص٩).
(٢) مصباح الظلام في الردِّ علىٰ من كذب علىٰ الشيخ الإمام (ص٣١٢).
(٣) مصباح الظلام في الردِّ علىٰ من كذب علىٰ الشيخ الإمام (ص٣١٥).

بدينه؛ حيث أوقعها في الشِّرك، وضال في عقله؛ حيث دعا من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

قال العلامة عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «الاستغاثة به سبحانه في كل شدَّة ومشقَّة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة؛ أن الدعاء عامٌّ في كل الأحوال، والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم، أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدِّين فقد تجرَّد أيضًا من العقل، فإن أحدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلىٰ الله في كل شؤونهم».

وقال العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «أما الأموات من المسلمين تدعو لهم، اللَّهُمَّ اغفر لهم، اللَّهُمَّ ارحمهم، تسأل لهم، هم في حاجة إلىٰ دعائك، تدعو لهم، أما أن تدعوهم من دون الله، تدعو أصحاب القبور،

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٥٣).

(٢) حديث الصَّباح (ص٢٧٢).

أو تدعو النبيَّ ﷺ، أو عيسىٰ، أو موسىٰ، أو الأولياء، أو الجن؛ هذا الشِّرك الأكبر، هذا الشِّرك الذي حرَّمه الله، وقال فيه ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. فأنت تسأل ربك حاجاتك كلها».

وقال العلَّامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «العبادة حق الله وحده، وهو الذي يدعىٰ ويُرجىٰ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فسماهم كفرة بدعوتهم غير الله من الجن والملائكة وأصحاب القبور والكواكب أو الأصنام، كل هؤلاء دعوتهم مع الله شرك أكبر، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦]، يعني: المشركين».

اتخاذ الوسائط في دعاء الله أغلظ الشِّرك

اتِّخاذ الوسائط في دعاء الله من أغلظ أنواع الشِّرك، والجُهَّال والمغرَّر بهم من المتعالمين أو المصرِّين علىٰ نصرة الشِّرك كذبوا مدَّعين أنَّه ليس بشرك.

وهو من أغلظ الشِّرك؛ لتشبيه الله الخالق بالمخلوق باتِّخاذ الوسائط؛ ليسترحمون الله ويستعطفونه بالشَّفاعة بالمخلوقين[(٢)]، والله أرحم بعباده من كل

---

(١) الفتاوىٰ البازية (٦/ ٤١٨).

(٢) الجواب الكافي (ص١٠٢-١٠٥)، باختصار، ط: دار القلم.

مخلوق، ورحمته لا تُنال بالشِّرك وبأعظم ما يسخطه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إدخال الوسائط بينه وبين خلقه نقصٌ بحقِّ ربوبيَّته وإلهيَّته وتوحيده».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرك وسائط دعاء الله وسؤاله**[٢]: «واسطة في رزق العباد، ونصرهم، وهداهم، يسألونه ذلك، ويرجون إليه فيه؛ فهذا من أعظم الشِّرك الذي كفَّر الله به المشركين».

وإدخال الوسائط بين الله وعباده في الدُّعاء – وهو عبادة – تنديد فيما هو حقٌّ لله منفرد به وهو الإلهيَّة، وهذا من أغلظ الشِّرك، والإله الحقُّ سبحانه؛ هو الله وحده الذي تألهه القلوب محبَّة وتعظيمًا وإجلالًا ورغبة ورهبة.

ودعاء الله بواسطة المخلوق من أغلظ الشِّرك؛ إذ فيه اتِّخاذ سبب لم يجعله الله سببًا في إجابة الدُّعاء، والله أراد أن تتألَّه القلوب له وحده، فالمشركون صرفوها عنه باتِّخاذ الوسائط.

والمسلمون الموحِّدون شهدوا كمال أسماء الله وصفاته، وتفرُّده بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة، وعلموا ربَّهم يجيب المضطر إذا دعاه بلا واسطة، وشهدوا إحسانه بإجابة أدعيتهم في السرَّاء والضرَّاء بلا واسطة، ومشركو الوسائط ضلُّوا عن ذلك فالتمسوا مخلوقًا مثلهم، يجعلونه واسطة بينهم وبين ربِّهم في دعائه وعبادته، فما

---

(١) الجواب الكافي (ص١٠٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٢٣).

أقبح ضلال المشركين.

وأمَّا الشَّفاعة العظمىٰ في الموقف؛ فإنَّه مأذون فيها، لا تُقاس بها الشَّفاعة الشِّركيَّة، والرَّسول محمَّد ﷺ المبعوث بالتَّوحيد يدعو الله مباشرة، لا يتَّخذ مخلوقًا واسطة في دعاء الله، حاشاه من الشِّرك.

وبيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب تغلُّظ شرك اتِّخاذ الوسائط في دعاء الله، فقال[1]: «إن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه – كالحجاب الذين بين الملك ورعيته – بحيث يكونون هم يرفعون إلىٰ الله حوائج خلقه، فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم، فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلىٰ الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط علىٰ هذا الوجه؛ فهو كافر مشرك يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل[2] وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوا لله أندادًا، وفي القرآن من الردِّ علىٰ هؤلاء ما لم تتسع له هذه الفتوىٰ.

فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون علىٰ أحد وجوه ثلاثة:

- إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه، ومن قال: إن الله لا يعلم

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٢٦-١٢٨).

(٢) الحدود والتعزيرات يقيمها ولي الأمر.

أحوال عباده حتىٰ يخبره بتلك بعضُ الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم؛ فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السرَّ وأخفىٰ، لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات علىٰ تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

- **الوجه الثاني**: أن يكون الملك عاجزًا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه، إلا بأعوان يعينونه، فلا بد له من أنصار وأعوان؛ لذلّه وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سبأ: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربُّه ومليكه؛ فهو الغني عن كلِّ ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، بخلاف الملوك المحتاجين إلىٰ ظهرائهم، وهم - في الحقيقة - شركاؤهم في الملك.

والله تعالىٰ ليس له شريك في الملك، بل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير.

- **والوجه الثالث**: أن يكون الملك ليس مريدًا لنفع رعيته والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج، فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظمه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه؛ تحركت إرادة الملك وهمَّته في

قضاء حوائج رعيته؛ إما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه.

والله تعالىٰ هو ربُّ كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو - سبحانه - إذا أجرىٰ نفع العباد بعضهم علىٰ بعض، فجعل هذا يحسن إلىٰ هذا ويدعو له ويشفع فيه، ونحو ذلك؛ فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يُكرهه علىٰ خلاف مراده، أو يعلِّمه ما لم يكن يعلم، أو من يرجوه الرب ويخافه».

❁ ❁ ❁

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ المُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ؛ كَفَرَ.

الشَّرح:

لا ريب أن التَّوحيد هو الإيمان بالله والكفر بما يُعبد من دونه، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «العروة الوثقىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمِّنة للنَّفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالىٰ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له».

وبيَّن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الكفر بما يُعبد من دون الله، وعبادة الله وحده؛ هو حقيقة الدِّين وأصله حيث قال[(٢)]: «دين الإسلام وأصله وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتَّحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

والإنذار عن الشِّرك في عبادة الله والتَّغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير

(١) معنىٰ الطَّاغوت، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ (٦/ ٢٥٣).

(٢) تلقين أصول العقيدة للعامة، ضمن مؤلفات الشيخ (٦/ ٢٤٩).

من فعله».

فالكفر بما يُعبد من دون الله وبالكافرين قاعدة الدِّين الذي تتأسس عليه عقيدة التَّوحيد، وبه تُقام أعظم فروض الإسلام من الجهاد والدَّعوة لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هل يتمُّ الدِّينُ أو يُقام عَلَمُ الجهاد، أو عَلَمُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحبِّ في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاة في الله. ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء؛ لم يكن فرقانًا بين الحقِّ والباطل، ولا بين المؤمنين والكفَّار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]؛ بيان لأصل الدعوة إلى الله وحقيقتها ومقصودها».

والكفر بما يُعبد من دون الله، وتكفير المشركين والكافرين؛ هو من حنيفية التَّوحيد، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) أوثق عرى الإيمان (ص١١١، ١١٢).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٧/ ٢٠٢).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أما صفة الكفر بالطاغوت؛ فهو أَنْ تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتُكفِّر أهلها، وتعاديهم. وأما معنىٰ الإيمان بالله: فهو أن تعتقد أن الله هو الإلَه المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم. وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها».

وكان النبيُّ ﷺ يحقِّق هذا التَّوحيد بالبراءة من المشركين من قومه، وكان يقول: «**إنَّ آل بني فلان ليسوا لي بأولياء**».

والكفر بما يُعبد من دون الله وبالكافرين، وبغضهم وبغض كفرهم وشركهم، ومعاداتهم من أجل ذلك؛ هو أوثق عرىٰ الإيمان، قال النبيُّ ﷺ: «**أوثق عرىٰ الإيمان: الحب في الله والبغض في الله**».

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «حبُّ أهل التَّوحيد وبغض أهل الشِّرك هي أوثق عرىٰ الإيمان، وأعظم ما يَعْبُد به العبد ربَّه».

والكفر بالشرك وبما يُعبد من دون الله والمشركين؛ هو من التَّوحيد العلمي العملي، الذي لا بد أن يحقِّقه كل مسلم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ

---

(١) معنىٰ الطاغوت، مطبوع ضمن مجموع مؤلفات الشيخ (٦/ ٢٥٢).

(٢) بعض فوائد سورة الفاتحة، مؤلفات الشيخ (٦/ ٢٥٦).

عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذه السورة العظيمة، فإنها سورة البراءة من الشرك، كما جاء في وصفها: أَنَّها براءة من الشرك، فمقصودها الأعظم: هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين، ولهذا أتىٰ بالنفي في الجانبين؛ تحقيقًا للبراءة المطلوبة، هذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحًا، فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] براءة محضة ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾﴾ [الكافرون: ٣] إثبات أنَّ له معبودًا يعبده وأنتم بريئون من عبادته؛ فتضمنت النفي والإثبات، وطابقت قول إبراهيم إمام الحنفاء ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وطابقت قول فئة الموحدين: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] ، فانتظمت حقيقة «لا إله إلا الله»، ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] في سنة الفجر وسنة المغرب.

فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا علىٰ نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمِّن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر».

فالتَّوحيد براءة من الكافرين الذين كفروا بالله ولم يعبدوه، وبراءة من المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، وجعلوا له أندادًا وأشركوا به؛ فهؤلاء ما عبدوا الله حقًّا، وما أخلصوا له العبادة، بل كانت عبادتهم شركيَّة؛ فهي هباء لا

---

(١) بدائع التَّفسير (٥/ ٥٣١).

يقبلها الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾ [الكافرون: ٣] يتناول شركهم، فإنه ليس بعبادة لله؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، فإذا أشركوا به لم يكونوا عابدين له، وإن دعوه وصلَّوا له».

والبراءة تكون من المعبود وعبادته، وهذا حقيقة الدين كله؛ أن لا يُعبد إلا الله، ولا يُعبد إلا بما شرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كل من عبد الله مخلصًا له الدين فهو مسلم في كل وقت، ولكن عبادته لا تكون إلا بما شرعه، فلو قال: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي؛ فقد يظن أنه تدخل فيه البراءة من كل عبادة تخالف صورتها صورة عبادته، وإنما البراءة من المعبود وعبادته».

وهكذا انعقد إجماع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ علىٰ كفر مانعي الزَّكاة، وعاملوهم بما تقتضيه أحكام المرتدين.

وكان المرتدون علىٰ عهد أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنواعًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قاتل المرتدين الذين ارتدوا عما كانوا فيه علىٰ عهد الرسول ﷺ من دينه، وهم أنواع: منهم من آمن بمتنبئ كذاب، ومنهم من لم يقرَّ ببعض فرائض الاسلام التي أقر بها مع الرسول ﷺ،

(١، ٢) تفسير شيخ الإسلام (٧/ ٢٢٢).

(٣) النبوَّات (١/ ٥٧٠).

ومنهم من ترك الإسلام بالكليَّة».

والبراءة من الشِّرك والمشركين لا تختصُّ بشرك الجاهلية الأولىٰ، بل هي براءة من كل شرك وإن اختلفت الأنداد، فهذه حقيقة التَّوحيد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ترىٰ أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه، ومعبوده من دون الله، علىٰ لسانه؛ إن قام، وإن قعد، وإن عثر، وإن مرض، وإن استوحش، وهو لا يذكر إلَّا ذاك، ويزعم أنه باب حاجته إلىٰ الله، وشفيعه عنده؛ وهكذا كان عباد الأصنام، سواء.

وهذا القَدْر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون، بحسب آلهتهم؛ فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذها من البشر، قال تعالىٰ عن أسلاف هؤلاء: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] الآية. فهذه حال من اتخذ دون الله وليًّا، يزعم أنه يقربه إلىٰ الله. وما أعز من تخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره».

والإله الذي يعبده أهل الكتاب ليس هو الله الذي لا شريك له، فهو ليس معه إله، لم يلد ولم يولد، ولا هو ثالث ثلاثة، بل هو إله واحد، سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عما يُشركون.

فتألُّه المشركين من أهل الكتاب لمعبودهم، نعوته ليست هي نعوت الإله

---

(١) مدارج السَّالكين، بواسطة الدّرر السنية (١/ ٤٢٩) رسالة الشيخ عبد اللَّطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ عن دعوة جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

الأحد الصمد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن قوله: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] يتناول صفات المعبود، والإله الذي يعبده المؤمنون هو الإله الذي أنزل التوراة والإنجيل والقرآن، وأرسل موسىٰ وعيسىٰ ومحمدًا، صلوات الله عليهم وسلامه.

والإله المتصف بهذه الصفات لا يعبده اليهود والنصارىٰ، وهذا كقوله: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

فهذا الإله الذي يعبده محمد ﷺ وأمته، ليس هو إله المشركين الذي يعبدونه، وإن كان هو المستحق لأن يعبدوه؛ فإنهم يُشركون بعبادته ويصفونه بما هو بريء منه، فلا يخلصون له الدين، فيعبدوا معه آلهة أخرىٰ إن لم يستكبروا عن عبادته».

ودين أهل الكتاب الذي صاروا به مشركين اتِّخاذُهم أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا من دون الله، فأطاعوهم في تحريم ما أحلَّ الله وتحليل ما حرَّم الله، وهذا شرك كفار قريش الذين كانوا يُحرِّمون ما أحلَّ الله.

قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة: ٣١]، وعندما تلا النبي ﷺ هذه الآية قال عديٌّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وكان أبوه نصرانيًّا: ما عبدناهم! فقال له النبيُّ ﷺ: «**ألم يحلوا**

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٢٠٧).

لكم الحرام فأحللتموه، ويحرموا عليكم الحرام فحرَّمتموه؟» قال عدي: بلىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «**فتلك عبادتهم**». رواه أحمد والتِّرمذي وصحَّحه، وصحَّحه أيضًا أبو المظفَّر السمعاني وشيخ الإسلام ابن تيمية.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وقد ذكر الله السَّبب الموجب لبغض الكافرين ومعاداتهم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

وموالاة الله موجبة للكفر بما يُعبد من دونه وبالمشركين والكافرين، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يعني: أنَّ لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار، فلا تؤثروهم عليهم. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]؛ أي: ومن يتولَّ الكفرة؛ فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني: أنه منسلخ من ولاية الله رأسًا».

وإذا كان الإنسان في بلاد الكفر، أو في ناحية ظهور كفرهم وغلبتهم؛ فإنَّه

---

(١) أوثق عرىٰ الإيمان (ص١٠٢).

يدعو إلىٰ التَّوحيد وينهىٰ عن الشِّرك بألطف عبارة، بما يكون سببًا في هداية الكافرين وسلامته من أذاهم، كما فعل نبيُّ الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف: ٣٧-٤٠].

وهكذا أمر الله الفتية المؤمنة من أصحاب الكهف أن يبذلوا الأسباب التي تمنع الكافرين من أذيَّتهم أو إيقاعهم في ملَّة الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦﴾ [الكهف: ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «رخَّص لهم في موالاتهم إذا خافوا، ولم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك، وكانوا معهم مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة والبغضاء لهم؛ فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهرًا، والقلب مطمئن

---

(١) أوثق عرىٰ الإيمان (ص١٠٢، ١٠٣).

بالعداوة والبغضاء حتىٰ يزول المانع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]».

والمسلم إذا كان في بلاد الكفر ينكر الشِّرك بالطَّريقة التي يحصل بها تحقيق التَّوحيد، من غير أن يجعل للكافرين سبيلًا للعدوان علىٰ الإسلام والمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ليس بواجب عليهم أن يسبوا آلهة الكفار، ولا أن يُظهروا لهم المخالفة؛ لأنَّهم سيخرجونهم وسيؤذونهم، والكافر يُقَرَّ علىٰ دينه عند عدم الاستطاعة».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ومعلوم أن التقاة ليست بموالاة، ولكن لمَّا نهاهم عن موالاة الكفار، اقتضىٰ ذلك معاداتهم والبراءة منهم، ومجاهرتهم بالعداوة في كل حال، إلا إذا خافوا من شرِّهم؛ فأباح لهم التقية، وليست التقية موالاة لهم».

وكلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا النَّاقض؛ هذا في الكافر المقطوع بكفره، والتَّكفير يكون بعد إقامة الحجَّة، فالتَّكفير لابُدَّ من استيفاء شروطه وانتفاء موانعه.

---

(١) تفسير سورة العنكبوت (ص٣٣٣).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٥٩).

وقد أبان العلَّامة المجدِّد عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مقصود شيخ الإسلام وشرح عبارته، فقال[١]: «إنَّه لا يُكفر إلا بما أجمع المسلمون علىٰ تكفير فاعله؛ من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر؛ كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله، وجعلهم أندادًا له فيما يستحقه علىٰ خلقه، من العبادات والإلهية، وهذا مجمع عليه أهل العلم والإيمان».

وأحكام التَّكفير مغلَّظة عظيمة، لا يتهاون في المسارعة إليها إلَّا متعالم أو مجازف لم يزجره دينه عن ذلك، وأمَّا العلماء فهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من ممادح أهل العلم أنَّهم يُخطئون ولا يُكفرون».

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال: «أيُّما رجل قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما»**، متَّفق عليه.

وأعجب ما يكون من غلو الخوارج تكفير الشُّعوب المسلمة بالجملة، فقد قرأنا من ضلال هؤلاء وغلوِّهم زعمهم أنَّ الشعوب المسلمة في «ردَّة جماعية».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الخوارج وأهل البدع إنهم يكفِّرون بالذنوب والسيئات، ويترتب علىٰ تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين

(١) الدُّرر السنية (١/ ٤٦٧، ٤٦٨).

(٢) منهاج السنة (٥/ ٢٥١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٧٣).

وأموالهم، وأنَّ دار الاسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإسلام».

وقد نهانا الله عن المجازفة في تكفير المسلمين، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء: ٩٤]

فقد مرَّ راعي غنم بنفر من المسلمين، فألقىٰ إليهم السلام، فظنوا أنه سلَّم تعوُّذًا، وطمعوا في غنمه، فقتلوه وأخذوا غنمه.

عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** لقي ناس من المسلمين رجلًا في غُنَيْمة له، فقال: السلام عليكم؛ فأخذوه فقتلوه، وأخذوا تلك الغنيمات، فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

وهذه الحادثة تدلُّ علىٰ أنَّ البعض قد يجنح به طمعه في أموال المسلمين إلىٰ قتلهم واستباحة أموالهم بدعوىٰ كفرهم.

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ العبد ينبغي له إذا رأىٰ دواعي نفسه مائلة إلىٰ حالة له فيها هوًىٰ، وهي مضرَّة له؛ أن يُذكِّرها ما أعدَّ الله لمن نهىٰ نفسه عن هواها، وقدَّم مرضاة الله علىٰ رضا نفسه؛ فإنَّ في ذلك ترغيبًا للنفس في امتثال أمر الله، وإن شقَّ ذلك عليها».

❁ ❁ ❁

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص١٩٢).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، كَالَّذِينَ يُفَضِّلُون حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

الشَّرْح:

حقيقة التَّوحيد الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والكفر بالطَّاغوت، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «افترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله».

ومن جملة الطواغيت التي حذّر منها شيخ الإسلام[(٢)]: «من حكم بغير ما أنزل الله».

فمن رضي بالله ربا لزمه أن يتخذه حكمًا،

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الرضا بالله ربًّا أن لا يتخذ رَبًّا غير الله تعالىٰ يسكن إلىٰ تدبيره، ويُنزل به حوائجه، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «سيدًا وإلهًا»؛ يعني: فكيف أطلب ربًّا غيره، وهو ربّ كل شيء؟ وقال في أول السورة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]؛ يعني: معبودًا وناصرًا ومعينًا وملجأً، وهو من

(١) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص٣٢).

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص٣٣).

(٣) مدارج السالكين (ص٤٤٢، ٤٤٣).

الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة، وقال في وسطها: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]؛ أي: أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه؟! وهذا كتابه سيد الحكام، فكيف نتحاكم إلىٰ غير كتابه، وقد أنزله مفصَّلًا، مبينًا كافيًا شافيًا؟!

وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل، رأيتها هي نفس الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، ورأيت الحديث يترجم عنها، ومشتق منها، فكثير من الناس يرضىٰ بالله ربًّا، ولا يبغي ربًّا سواه، لكنه لا يرضىٰ به وحده وليًّا وناصرًا، بل يوالي من دونه أولياء؛ ظنًّا منه أنهم يقربونه إلىٰ الله، وأن موالاتهم كموالاة خواص الملك، وهذا عين الشرك، بل التوحيد: أن لا يتخذ من دونه أولياء، والقرآن مملوء من وصف المشركين بأنهم اتخذوا من دونه أولياء.

وهذا غير موالاة أنبيائه ورسله، وعباده المؤمنين فيه؛ فإن هذا من تمام الإيمان وتمام موالاته؛ فموالاة أوليائه لون واتخاذ الولي من دونه لون، **ومن لم يفهم الفرقان بينهما فليطلب التوحيد من أساسه**؛ فإن هذه المسألة أصل التوحيد وأساسه.

وكثير من الناس يبتغي غيره حكمًا، يتحاكم إليه، ويُخاصم إليه، ويَرْضىٰ بحُكْمه، وهذه المقامات الثلاثة هي أركان التوحيد: أن لا يتخذ سواه ربًّا، ولا إلهًا، ولا غيره حكمًا.

وتفسير الرضا بالله ربًّا أن يسخط عبادة ما دونه، وهذا هو الرضا بالله إلهًا،

وهو من تمام الرضا بالله ربًّا؛ فمن أعطىٰ الرضا به ربًّا حقه، سخط عبادة ما دونه قطعًا؛ لأن الرضا بتجريد ربوبيته يستلزم تجريد عبادته، كما أن العلم بتوحيد الربوبية يستلزم العلم بتوحيد الإلهية».

ولا يجوز لأحد قصر وعيد الحكم بغير ما أنزل الله في اليهود والنصارىٰ، صحيح أن سياق الآيات فيهم إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٤-٤٦].

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ذكروا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قال رجل من القوم: هذا في بني إسرائيل!

قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نعم الإخوة لكم إن كان لكم الحلو، والمُرُّ لهم، كلا والذي نفسي بيده حذو السِّية بالسِّية[(١)].

(١) أخبار القضاة (١/ ٤٠).

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لمّا أنبأكم الله بصنيع أهل الكتاب قبلكم، بأعمالهم أعمال السوء، وبحكمهم بغير ما أنزل الله ـ وعظ الله نبيه ﷺ والمؤمنين موعظة بليغة شافية، فليعلم من ولي شيئًا من هذا الحكم أنه ليس شيء بين العباد وبين الله يعطيهم به خيرًا، ولا يدفع عنهم به سوءًا إلا بطاعته، والعمل بما يرضاه، فلما بيَّن الله للنبي ﷺ وللمؤمنين صُنع أهل الكتاب وجورهم؛ قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ يقول: الكتب التي قد خلت قبله ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، وقال: شاهدًا على الكتب التي قد خلت قبله».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المقصود هنا الاعتبار، فإن بني إسرائيل قد ذهبوا أو كفروا، وإنما ذُكرت قصصهم عبرة لنا، وكان بعض السلف يقول: «إن بني إسرائيل ذهبوا، وإنما يعني أنتم». ومن الأمثال السائرة: «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فكان فيما خاطب الله به بني إسرائيل عبرة لنا».

والحكم بغير ما أنزل الله مضادة لله في أمره وحكمه؛ فالله أرسل الرسل وأنزل الكتب؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) أخبار القضاة (١/ ٤٣، ٤٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٠).

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

والله خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ لتجري أمور الخلق على الصلاح والعدل، ومضادة الله في شرعه وأمره إفساد للخلق والخليقة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الحكم بما أنزل الله فيه صلاح الدنيا والآخرة، والحكم بغير ما أنزل الله فيه فساد الدنيا والآخرة».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «من تمسك بهذا القرآن العظيم فله المجد والعزة والكرامة والرفعة، ولهذا ننصح أمتنا الإسلامية بادئين بأفراد شعوبها أن يتمسكوا بالقرآن العظيم، ونوجِّه الدعوة على وجهٍ أوكد إلى ولاة أمورها أن يتمسكوا بالقرآن العظيم، وألا يغرهم البهرج المزخرف الذي يَرِدُ من الأمم الكافرة التي تضع القوانين المخالفة للشريعة، المخالفة للعدل، المخالفة لإصلاح الخلق، أن يضعوها موضع التنفيذ، ثم ينبذوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهورهم؛ فإن هذا - والله - سبب التأخر، ولا أظن أحدًا يتصور الآن أن أمة بهذا العدد الهائل تكون متأخرة هذا التأخر؛ وكأنها إمارة في قرية بالنسبة للدول الكافرة؛ لكن سبب ذلك - لا شك - معلوم، هو أننا تركنا ما به عزتنا وكرامتنا، وهو التمسك بهذا القرآن العظيم، وذهبنا نلهث وراء أنظمة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٠٢).

(٢) تفسير جزء عم (ص١٤٤، ١٤٥).

بائدة فاسدة، مخالفة للعدل، مبنية علىٰ الظلم والجور».

وكيف تطيب نفس مسلم بتعطيل شرع الله وحكمه، وكلٌّ موقن أنه لا أحد أعلم ولا أحكم من الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وهذا يشمل جميع ما حكم به، وأنه أحسن الأحكام وأكملها وأصلحها للعباد، وأسلمها من الخلل والتناقض، ومن الشر والفساد، إلىٰ غير ذلك من الآيات البيّنات العامة والخاصة.

أما عقائد هذا الدين وأخلاقه وآدابه ومعاملاته، فقد بلغت من الكمال والحسن والنفع والصلاح - الذي لا سبيل إلىٰ الصلاح بغيره - مبلغًا لا يتمكن عاقل من الريب فيه، ومن قال سوىٰ ذلك فقد قدح بعقله، وبيّن سفهه ومكابرته للضرورات.

وكذلك أحكامه السياسية ونظمه الحكمية والمالية مع أهله ومع غيرهم؛ فإنها نهاية الكمال والإحكام والسير في صلاح البشر كلهم، بحيث يجزم كل عارف منصف أنه لا وسيلة لإنقاذ البشر من الشرور الواقعة والتي ستقع إلا باللجوء إليه والاستظلال بظله الظليل، المحتوي علىٰ العدل والرحمة والخير المتنوع للبشر، المانع من الشر، وليس مستمدًّا من نظم الخلق وقوانينهم الناقصة الضئيلة، ولا حاجة به إلىٰ موافقة شيء منها، بل هي في أشد الضرورات إلىٰ الاستمداد منه؛ فإنه تنزيل الحكيم العليم بأحوال العباد ظاهرها وباطنها،

(١) مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي (٢٢/ ١٩٨، ١٩٩).

وما يُصلحها وينفعها، وما يُفسدها ويضرها، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وأعلم بأمورهم.

فشرع لهم شرعًا كاملًا مستقلًّا في أصوله وفروعه، فإذا عرفوه وفهموه وطبقوا أحكامه علىٰ الواقع صلحت أمورهم؛ فإنه كفيل بكل خير.

ومتىٰ أردت معرفة ذلك فانظر إلىٰ أحكامه حكمًا حكمًا، في سياسة الحكم والمال والحقوق والدماء والحدود، وجميع الروابط بين الخلق - تجدها الغاية التي لو اجتمعت عقول الخلق علىٰ أن يقترحوا أحسن منها أو مثلها تعذر عليهم واستحال».

وتعطيل آحاد أحكام الشريعة ذريعة لتعطيلها كلها، ناهيك أن تعطيل حكم شرعي هوًىٰ من أسباب الزيغ الذي قد يقع معه بعد ذلك مسح تعظيم الشريعة من الأفئدة والركون إلىٰ القانون الوضعي وانشراح الصدر به؛ فإن الأمور تبدأ صغارًا ثم تعود كبارًا، ولذلك قال أبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إني أخشىٰ إن تركت شيئًا من أمر رسول الله ﷺ أن أزيغ». رواه البخاري ومسلم.

ولا يفهم أحد من تشنيع العلماء علىٰ استبدال الشريعة كلها إلا في الأحوال الشخصية بقانون وضعي من صناعة البشر كما وقع من العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تهوين تعطيل الشريعة في آحاد مسائلها، فهذا لم يرده الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إطلاقًا، وإنما بيّن أن تعطيل الشرع في كل أحكامه إلا ما ندر، أغلظ، وأحوال العلامة ابن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حراسة الثغر السعودي من تبديل آحاد أحكامه الشرعية معلومة، ولعلي أذكر هنا نموذجًا من نصيحته لولاتنا في ذلك:

(من محمد بن إبراهيم إلىٰ حضرة صاحب السمو الملكي أمير الرياض سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد[١]:

فبالإشارة إلىٰ خطابكم (رقم ٤٩٢٨، وتاريخ ١١/ ٤/ ١٣٧٥) المرفق به الأوراق الخاصة بموضوع تأسيس غرفة تجارية بالرياض، نفيدكم:

إنه جرىٰ درس النظام المرفق، ولاحظنا عليه ملاحظات أهمها الفقرة (د) من المادة (٣) التي نصّها : أن تكون الغرفة مرجعًا لحل الخلافات التجارية بين المتنازعين من التجار، سواء كان المدعىٰ عليه مسجلًا أو غير مسجل.

وقد انتهىٰ إلينا نسخة عنوانها «نظام المحكمة التجارية للمملكة العربية السعودية» المطبوع بمطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٦٩، للمرة الثانية، ودرسنا تقريبًا نصفها فوجدنا ما فيها نظمًا وضعية قانونية لا شرعية، فتحققنا بذلك أنه حيث كانت تلك الغرفة هي المرجع عند النزاع أنه سيكون فيها محكمة، وأن الحكام غير شرعيين، بل نظاميون قانونيون، ولا ريب أن هذه مصادمة لما بعث الله به رسوله ﷺ من الشرع الذي هو وحده المتعين للحكم به بين الناس، والمستضاء منه عقائدهم وعباداتهم، ومعرفة حلالهم من حرامهم، وفصل النزاع عندما يحصل التنازع.

واعتبار شيء من القوانين للحكم بها ولو في أقل قليل، لا شك أنه عدم رضا

(١) فتاوىٰ ورسائل سماحة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٥٠، ٢٥١).

بحكم الله ورسوله ونسبة حكم الله ورسوله إلىٰ النقص وعدم القيام بالكفاية في حل النزاع وإيصال الحقوق إلىٰ أربابها، وحكم القوانين إلىٰ الكمال، وكفاية الناس في حل مشاكلهم، واعتقاد هذا كفر ناقل عن الملة ، والأمر كبير مهم، وليس من الأمور الاجتهادية.

وتحكيم الشرع وحده دون كل ما سواه شقيق عبادة الله وحده دون ما سواه؛ إذ مضمون الشهادتين أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له، وأن يكون رسوله ﷺ هو المتّبع المحكّم ما جاء به فقط، ولا جُردت سيوف الجهاد إلا من أجل ذلك، والقيام به فعلًا وتركًا وتحكيمًا عند النزاع ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وولي أمر المسلمين أيده الله بالحق، لا يعدل بحكم الله ورسوله حكم أي من الناس، ولا أي قانون، لو كان في ذلك ما كان، بل هو حرب القوانين، ومؤيد شريعة سيد المرسلين».

وقد قام ولي الأمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالواجب وهو التحاكم للشرع، وقد شكره الإمام المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ ذلك، وقال[١]:

(١) فتاوىٰ ورسائل ابن إبراهيم (١٢/ ٢٥٥).

«وجوب إلغاء المحكمة التجارية التي قد وفق الله ملك المسلمين لإلغائها».

ولم تنته حيل رئيس الغرفة التجارية عند هذا؛ فبذل مساعيه ليكون للمتخاصمين حرية الاختيار بين حكم الله وشرعه، وحكم قوانين الغرفة التجارية؛ فكتب إليه سماحة الإمام المجدّد محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاجرًا وواعظًا[(١)]: «لعمر الله! لقد جاء صاحب هذه الكلمة شيئًا فريًّا، متىٰ كان التخيير في التحكيم إلىٰ المتحاكمين، وأن لهم تحكيم من اتفقوا علىٰ تحكيمه من حاكم شرعي وغير شرعي؟! أوليس الله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥]؟فإن الضمير وهو «الواو» في قوله: ﴿يُحَكِّمُوكَ ﴾ المراد به المتخاصمون؛ فليس الأمر إليهم في ذلك، بل لا يسوغ لهم أبدًا أن يرجعوا عند التنازع وينتهوا عند التخاصم إلا إلىٰ الشرع المحمدي والتحاكم إليه، وهو التحاكم إلىٰ حملته الحاكمين به.

وما أشبه هذه الكلمة السيئة المتضمنة ما تقدم بما قد اشتهر قديمًا عند بعض رؤساء القانونيين من تخييرهم الخصمين عندما يرفعان الشكاية إليهم من قوله: تريد الشرع الشريف، أو القانون المنيف؟! ما أشبه الليلة بالبارحة؟!».

ومن طعون العلمانيين الكاذبة الفاجرة في الإسلام التي اتخذوها ذريعةً لتعطيل الشريعة، دعواهم أن الدين الإسلامي والشرع الحنيف هو سبب تأخر المسلمين في حضارة الصناعة، وهذا من أعظم المغالطات وأشنعها تزييفًا للواقع،

(١) فتاوىٰ ورسائل ابن إبراهيم (١٢/ ٢٥٥).

فالمسلمون أسبق في حضارة الصناعة من الغرب، فحضارة المسلمين الصناعية والعمرانية في الأندلس أسبق من حضارة أوربا وأمريكا، وهذا في أيام الخلافة الأموية والحكم بشرع الله.

وبوق العلمانيين وشعارهم في تعطيل الشريعة قولهم: «الدين لله والوطن للجميع»، وقولهم: «دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، وهذا من أبطل الكلام وأقبحه وأعظمه معاندة ومكابرة لله، بل نقول كما قال ربنا: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ولا أمر لأحد مع أمر الله وشرعه، ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٢٦]؛ فالله هو الربّ، والمخلوق مربوب، أوجده الله من عدم، وكما أن ناصيته بيده يميته متىٰ شاء؛ فواجبه أن يكون منقادًا لأمر الله وشرعه، لا مضادًّا له ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد: ٤١].

والكون بمن فيه ضبطه الله بشرعه الإلهي، لا حرية لأحد من البشر في إفساده؛ فالله هو الذي استخلف خلقه في الأرض، وجعل لهم شرعًا يُساسون به؛ لتنتظم مصالحهم، ويحصل بذلك مقصود استخلافهم.

وتحدّث العلامة أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مبدأ هذه الكلمة «ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» فقال(١): «كلمة يحكيها النصارىٰ علىٰ لسان عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله». وهي كلمة ذل واستحذاء، أبريء عيسىٰ نبي الله منها، ولعلها صدرت من بعض أتباعه ضعفًا وجبنًا حين

(١) تقرير عن شئون القضاء والتعليم (ص٦٠).

اضطهدهم الرومان وأذلوهم بعد رفعه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **رادًّا علىٰ هذه العبارة**(١): «كل هذه الأشياء وأمثالها تحليل لما حرّم الله، واستهانة بحدود الله، وانفلات من الإسلام، وكلها حرب علىٰ عقائد المسلمين، وكلها تعطيل لفروض الدين».

وقال علامة مصر إمام الحرم المكي عبد الظاهر أبو السمح؛ رادًّا علىٰ العلمانيين المطالبين بفصل الدين عن السياسة(٢): «وأما جعل الزعامة الإسلامية قسمين: زعامة دينية، وزعامة سياسية، وتفريق المحرِّر بين الزعامتين، فهي فكرة غير إسلامية، وليدة هذا العصر الموبوء بالإلحاد والزندقة، وهي فكرة غير تصرّح عن باطنها، وتعلن عن نفسها بأن الدين الإسلامي لا يصلح للسياسة ولا للحكم، وإنما هو عبارة عن عبادة في المحاريب، وعلاقة بين العبد وربه، لا أكثر ولا أقل، كما قالها بعض الملاحدة من مقلدة الإفرنج.

والقرآن والسنة مصرحان بخلاف ذلك، وناطقان بأنه دين السياسة الحكيمة والمدنية الصحيحة، وسيرة النبي ﷺ بين أيدي الناس شاهدة بأنه ﷺ كان يقود الجيوش، ويقرأ ويكتب للملوك يدعوهم إلىٰ الإسلام، ويبعث البعوث، ويحكم بين الناس بشرع الله السماوي في كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، ولو كان دين عبادة في المحاريب فقط

---

(١) تقرير عن شئون القضاء والتعليم (ص٦٨).

(٢) مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية (١/ ١٩٧).

لما أمر الرسول ﷺ أن يحكم بين الناس، ولما كان ثمّة ما يدعو إلىٰ الحكم بينهم؛ إذ الحكم لا يكون إلا في الخصومات، والعبادات لا خصومة فيها بين العبد وربه، وإنما هي بين العباد بعضهم لبعض، فمن قرأ سورة الأنفال والتوبة علىٰ الأقل علم يقيناً لا شك فيه أن الإسلام دين عبادة وسياسة، جمع بين الأمرين، وبما جرىٰ من سيرة النبي ﷺ وخلفائه يتبيّن صدق ما نقول، وأن التفريق بين الزعامتين رأي مأفون».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «السياسة حقيقة ما جاء في شرع الله، ولهذا نقول: إن الإسلام شريعة وسياسة، ومن فرّق بين السياسة والشريعة فقد ضل، ففي الإسلام سياسة الخلق مع الله، وبيان العبادات، وسياسة الإنسان مع أهله، ومع جيرانه، ومع أقاربه، ومع أصحابه، ومع تلاميذه، ومع معلميه، ومع كل أحد، كل له سياسة تخصه؛ وسياسة مع الأعداء الكفار؛ ما بين حربيين، ومعاهدين، ومستأمنين، وذميين».

وعلمانية الغرب وفصلهم للدين عن السياسة واقعهم وشرورهم من الإباحية، والانهيار الاقتصادي لمؤسساتهم الربوية، كما حصل في عام ٢٠٠٨م، وفساد أخلاقهم، وتشتت عقائدهم في تيه الكفر والإلحاد ينادي علىٰ علمانيتهم بالفساد، ويبيّن أن شرع الله عصمة لهم من الضلال والفساد والشرور.

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٣٦).

ولا أدل علىٰ نقص القوانين الوضعية وشرورها من سعي أصحابها إلىٰ تغييرها كل حين؛ لعدم استيعابها لحاجات الخلق، وما ظهر من فسادها وعدم صلاحها لأزمنتهم الحاضرة، وما أوقعته من الشرور والضرر بالخلق في تطبيقها.

أما شريعة الرحمن فهي ﴿هُدَى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، صالحة لكل زمان ومكان، تطبيقها بوسطيتها سلامة للخلق من الظلم والنقص والضرر والفساد.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن الأشياء المخلوقة في الأرض، منه غذاء، ومنه دواء، ومنه سم، والتجربة لا تفي بمعرفتها إلا بعد الأدواء العظيمة، ومع ذلك ففيها خطر علىٰ الأكثر، وفي البعثة فائدة معرفة طبائعها ومنافعها من غير ضرر ولا خطر».

والمؤمنون تحكيمهم لشرع الله توحيد لله، وعبادة له، وربوبية له، وطاعة لله، وإيمان به، ليس تحكيمًا محضًا لطلب العدل ومصالح العباد فقط، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا تمام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع؛ لحاجة بعضهم إلىٰ بعض تعاونًا وتناصرًا، يتعاونون علىٰ جلب المنفعة، ويتناصرون لدفع المضرة، إذ الواحد منهم لا يقدر وحده علىٰ جلب جميع منافعه، ودفع جميع مضارِّه، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس».

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (ص٥١٦).

(٢) السياسة الشرعية (ص٢٣٢).

وقال أيضًا[١]: «إن الله تعالىٰ أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتمُّ ذلك إلا بقوَّة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجب من الجهاد والعدل، وإقامة الحج والجمع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة».

ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقُرْبة يُتقرب بها بالعمل الصالح فيها إلىٰ الله تعالىٰ؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات».

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العدل هو في تحكيم شرع الله ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وكل ما خالف حكم الله وشرعه فهو ظلم وليس بعدل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

والإحسان إلىٰ الخلق يكون بفعل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، لا في اتباع أهوائهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وليس حسن النية للرعية والإحسان إليهم أن يفعل ما يهوونه ويترك ما يكرهونه، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١]،

(١) السياسة الشرعية (ص٢٣٣).

(٢) السياسة الشرعية (ص٢٣٥).

(٣) السياسة الشرعية (ص١٧٢).

وقال تعالىٰ للصحابة: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]، وإنما الإحسان إليهم فعل ما ينفعهم في الدين والدنيا، ولو كرهه من كرهه».

وقال أيضًا[١]: «إن الناس دائمًا يسألون وليَّ الأمر ما لا يصلح بذله من الولايات، والأموال، والمنافع، والجود، والشفاعة في الحدود، وغير ذلك؛ فيعوِّضهم من جهة أخرىٰ إن أمكن، أو يردهم بميسور من القول، ما لم يحتج إلىٰ الإغلاظ».

وقال الإمام المجدّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لا يجوز أن يُحتج بما وقع فيه أغلب المسلمين اليوم من التحاكم إلىٰ القوانين الوضعية، فإن ذلك لا يبرره ولا يجعله جائزًا، بل هو من أنكر المنكرات، وإن وقع فيه الأكثرون، وليس وقوع الأكثر في أمر من الأمور دليلًا علىٰ جوازه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وكل حكم يخالف شرع الله فهو من حكم الجاهلية، قال سبحانه: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]».

والواجب علىٰ كل من ولي من أمر المسلمين شيئًا أن يُعظّم الله، ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح: ١٣]، وأن يُعظّم شرع الله، فلا يتقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ

---

(١) السياسة الشرعية (ص١٧٣).

(٢) الفتاوىٰ البازية (١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحجرات: ١].

وكما يجب علىٰ الولاة إصلاح الأحكام وردها إلىٰ الله، فكذلك يجب علىٰ الرعية إصلاح المجتمع، قال سماحة العلامة المجدّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «المجتمع المحارب للدين، والذي ليس فيه قائد يعينك علىٰ الإصلاح والتوجيه، تعمل فيه كما عمل رسول الله ﷺ في مكة، تدعو إلىٰ الله بالحسنىٰ وبالأسلوب الحسن، وبالكلمات الليّنة، حتىٰ يدخل ما تقول في القلوب، وحتىٰ يؤثر فيها، فيحصل بذلك انجذاب القلوب إلىٰ طاعة الله وتوحيده، وتتعاون مع إخوانك ومن سار علىٰ نهجك في دعوة الناس وإرشادهم بالطرق الليّنة في المجتمعات التي يمكن حضورها؛ حتىٰ يثبت هذا الإيمان في القلوب، وحتىٰ ينتشر بين الناس بأدلته الواضحة.

وفي المجتمع الإسلامي، ووجود القائد الإسلامي الذي يعينك، يكون لك نشاط أكثر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاتصال بالمسئولين عند وجود المعاندين، والذين يخشىٰ من عنادهم الخطر علىٰ المجتمع، وتكون مع ذلك سالكًا المسلك القويم بالرفق والحكمة والصبر، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

فلا بد من صبر وتواصٍ بالحق، ودعوة إليه؛ حتىٰ تنجح في مهمتك، وكذلك

(١) الفتاوىٰ البازية (١/ ٢٥١).

المسئولون والكبار الذين يُخشىٰ من شرهم علىٰ الدعوة، يُنصحون بالأسلوب الحسن، ويوجهون، ويدعون بالكتابة والمشافهة من أعيان الأمة ورجالها وقادتها وأمرائها».

وفي سؤال وُجه للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[1]: من لم يحكم بما أنزل الله، هل هو مسلم أم كافر كفرًا أكبر؟ وتُقبل منه أعماله؟

جاء الجواب كما يلي:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزًا؛ فهو كفر أكبر، وظلم أكبر، وفسق أكبر يخرج من الملة، أما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر، وهو يعتقد تحريم ذلك؛ فإنه آثم، يعتبر كافرًا كفرًا أصغر، وظالمًا ظلمًا أصغر، وفاسقًا فسقًا أصغر لا يخرجه من الملة، كما أوضح ذلك أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة.

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه، وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	نائب رئيس اللجنة	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	**عبد الرزاق عفيفي**	**عبد الله بن غديان**

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٧٨٠).

وتغليظ علمائنا القول في الحكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام لا يريدون به تهوين استبدال حكم الله وتحريم الحلال في آحاد مسائله، وإنما **تغليظ** كلامهم لأنهم شاهدوا ما لا قبل للمسلمين به طوال قرون حكم المسلمين بشرع الله، ولذلك من حرّم الحلال المجمع عليه مستحلًّا لذلك، ولو في آحاد مسائله؛ فإنه يكفر، وقد أنكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأويل عبد العزيز الكناني لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] علىٰ ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا تأويل عبد العزيز الكناني، وهو أيضًا بعيد؛ إذ الوعيد علىٰ نفي الحكم بالمنزّل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعه وببعضه».

وقد يقول قائل: كيف نعرف المستحل الحكم بغير ما أنزل الله؟

فالجواب: أنه يُعرف بدلالة المقال أو الحال، فدلالة المقال أن يقول: إن شرع غير الله أفضل من شرع الله أو مساوٍ له، أو أنه يجوز التحاكم إلىٰ غير الشريعة، أو أن الناس بالخيار؛ إن شاءوا حكموا بشرع الله أو بغيره.

وأما دلالة الحال، فقد قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما بالنسبة لمن وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله، وبمخالفة هذه القوانين لحكم الله؛ فهذا قد بدّل الشريعة بهذه القوانين؛ فهو كافر؛ لأنه لم يرغب بهذا

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٥)، ط ـ دار الكتب العلمية، ط ـ الأولىٰ.

(٢) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (ص٤٧٢).

القانون عن شريعة الله إلا وهو يعتقد أنه خير للعباد والبلاد من شريعة الله».

وفي أجوبة اللجنة الدائمة للإفتاء بخصوص طرق معرفة مراد المتحاكم إلىٰ غير شرع الله، جاء جوابها كما يلي(١):

المراد بالإرادة في قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]، ما صحبه فعل أو قرائن وأمارات تدل علىٰ القصد والإرادة، بدليل ما جاء في الآية التي بعد هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، ويدل علىٰ ذلك أيضًا: سبب النزول الذي ذكره ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية، وكذلك المتابعة دليل الرضا، وبذلك يزول الإشكال القائل: إن الإرادة أمر باطن فلا يحكم علىٰ المريد إلَّا بعلمها منه، وهو غير حاصل.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	نائب رئيس اللجنة	عضو	عضو
عبد العزيز بن عبد الله ابن باز	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان	عبد الله بن قعود

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مستدلًا بقوله تعالىٰ:** ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢] في معرفة حال المتحاكم إلىٰ غير الشريعة: «يحلفون

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٧٨٤، ٧٨٥).

ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق، كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام، ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعمًا منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر».

والعلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته «تحكيم القوانين» ذكر أقسام الحاكمين بغير ما أنزل الله، وذكر أنواع القسم الأول: كفر الاعتقاد، وذكر منه النوع الخامس(١):

وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية؛ إعدادًا وإمدادًا وإرصادًا وتأصيلًا وتفريعًا وتشكيلًا وتنويعًا وحكمًا وإلزامًا ومراجع ومستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستمدات مرجعها كلها إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتىٰ وقوانين كثيرة؛ كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلىٰ الشريعة، وغير ذلك».

وهنا مسألة مهمة تتعلق بحكم التجاء المسلم إلى محاكم القوانين الوضعية إذا كانت له مظلمة عند أحد:

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إذا كنت في بلد لا يحكم إلا

---

(١) تحكيم القوانين، مطبوع ضمن «مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية القديمة »، المجموعة الأولىٰ (٢/ ٣٥٦).

(٢) تفسير سورة النساء (١/ ٤٥٩).

بالقوانين الوضعية، كبلد الكفار، أو من أخذ بقوانينهم، فأنت الآن بين أمرين: إما أن يضيع حقك، وإما أن تلجئك الضرورة إلىٰ التحاكم إلىٰ هؤلاء؟

الجواب: قد يظهر للإنسان في أول وهلة أنه لا يجوز أن نتحاكم إليهم؛ لأن هذا تحاكم إلىٰ الطاغوت، ولكن نقول: لك أن تتحاكم لا باعتقاد أن ذلك حكم ملزم، ولكن لأجل الوصول إلىٰ حقك الذي لا يمكن أن تصل إليه إلا بهذه الطريق، ثم إذا حكموا لك بما يوافق الشرع فخذ به؛ لأنه شرع الله، وإن حكموا لك بخلاف ذلك فلا تأخذ به، وهذا هو الذي يحفظ للناس حقوقهم؛ لأنه من المشكل إذا كنت في بلد لا يحكم إلا بالقانون الوضعي، وقد أشار إلىٰ هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كتابه «الطرق الحكمية»».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لو قال قائل: إذا كان الإنسان في بلاد الكفار، هل له أن يتحاكم إليهم ليصل إلىٰ حقه؟

الجواب: إذا كان لا يمكن أن يصل إلىٰ حقه إلا بهذا، فليتحاكم إليهم لا علىٰ نية أن حكمهم صحيح، لكن علىٰ نية أنهم كالشرطة يستخرجون له حقه من هذا الظالم، ولو لم نقل بذلك لضاع حقه، ففرق بين أن نُحكمهم علىٰ أن حكمهم شريعة، وبين أن نُحكمهم ليخلصوا حقه، لكن يجب أن يعتقد أن حكمهم باطل في الأصل، وأنهم ليسوا حكامًا شرعيين».

ولا يجوز لأحد أن يلجأ إلىٰ المحاكم والقوانين الوضعية في قوانينها التي

---

(١) تفسير سورة المائدة (١/ ٤٨٥).

تخالف الشريعة للمضارة بالخلق، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يحل لأحد أن يستعمل النظام ضد أحد فيما يخالف الشريعة، فكل نظام يخالف الشريعة فهو نظام باطل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]».

وفي سؤال وُجه للجنة الدائمة للإفتاء عن حكم دراسة القوانين الوضعية، وعن حكم الاشتغال في وظائف المحاماة، أجابت اللجنة بما يلي[2]:

أولًا: إذا كان من يريد دراسة القوانين الوضعية لديه قوة فكرية وعلمية يُميِّز بها الحق من الباطل، وكان لديه حصانة إسلامية يأمن معها من الانحراف عن الحق ومن الافتتان بالباطل، وقصد بتلك الدراسة المقارنة بين أحكام الإسلام وأحكام القوانين الوضعية، وبيان ميزة أحكام الإسلام عليها، وبيان شمولها لكل ما يحتاجه الناس في صلاح دينهم ودنياهم وكفايتها في ذلك؛ إحقاقًا للحق وإبطالًا للباطل، والرد علىٰ من استهوته القوانين الوضعية فزعم صلاحيتها وشمولها وكفايتها - إن كان كذلك فدراسته إياها جائزة، وإلا فلا يجوز له دراستها، وعليه أن يستغني بدراسة الأحكام الإسلامية في كتاب الله تعالىٰ والثابت من سنة رسول الله ﷺ علىٰ ما درج عليه أئمة علماء الإسلام وطريقة سلف الأمة

(١) شرح منظومة أصول الفقه وقواعده (ص٣٨).

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٧٩٢، ٧٩٣)، فتوىٰ رقم (٣٧١٢)، الطبعة الرابعة - ١٤٢٣هـ.

في دراستها والاستنباط منها.

ثانيًا: إذا كان في الاشتغال بالمحاماة أو القضاء إحقاق للحق وإبطال للباطل شرعًا، ورد الحقوق إلىٰ أربابها، ونصر للمظلوم - فهو مشروع؛ لما في ذلك من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وإلا فلا يجوز؛ لما فيه من التعاون علىٰ الإثم والعدوان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	**نائب رئيس اللجنة**	**عضو**	**عضو**
عبد العزيز بن عبد الله ابن باز	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان	عبد الله بن قعود

والتكفير حكم إلهي يُقال فيه بما تقتضيه الأدلة من القرآن والسنة، والناس في التكفير طرفان ووسط: طرف غالٍ متعالم يتكلم بالتكفير بغير علم ويُكفِّر بغير مكفِّر، وطرف قابل البدعة ببدعة وعطّل أحكام الله عما تقتضيه في حق من استحق التكفير، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، فالتكفير حكم شرعي مرده إلىٰ الله، يخوض فيه العلماء الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب بما تقتضيه الأدلة من الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وهؤلاء الَّذين اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله، يكونون علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنَّهم بدَّلوا دين الله، فيتبعونهم علىٰ التَّبديل؛ فيعتقدون تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله؛ اتِّباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنَّهم خالفوا دين الرُّسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا - وإن لم يكونوا يصلُّون لهم ويسجدون لهم - فكان من اتَّبع غيره في خلاف الدِّين مع علمه أنَّه خلاف الدِّين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله، مشركًا مثل هؤلاء.

والثَّاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنَّهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي الَّتي يعتقد أنَّها معاص؛ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذُّنوب، كما ثبت في «الصَّحيح» عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما الطَّاعة في المعروف**»، وقال: «**علىٰ المسلم السَّمع والطَّاعة فيما أحبَّ أو كره ما لم يؤمر بمعصية**»، وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، وقال: «**من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه**».

ثمَّ ذلك المحرِّم للحلال والمحلِّل للحرام، إن كان مجتهدًا قصده اتِّباع الرَّسول، لكن خفي عليه الحقُّ في نفس الأمر، وقد اتَّقىٰ الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه علىٰ اجتهاده الَّذي أطاع به ربَّه.

---

(١) الإيمان الكبير (ص ٢٥١، ٢٥٢).

ولكن من علم أنَّ هذا خطأ فيما جاء به الرَّسول ثمَّ اتَّبعه علىٰ خطئه وعدل عن قول الرَّسول ﷺ، فهذا له نصيب من هذا الشِّرك الَّذي ذمَّه الله، لا سيَّما إن اتَّبع في ذلك هواه، ونصره باللِّسان واليد، مع علمه بأنَّه مخالف للرَّسول ﷺ؛ فهذا شرك يستحقُّ صاحبه العقوبة عليه».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذه المسألة - أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله - من المسائل الكبرىٰ التي ابْتلي بها حكام هذا الزمان، فعلىٰ المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتىٰ يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة - نسأل الله تعالىٰ أن يُصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم - كما أن علىٰ المرء الذي آتاه الله العلم أن يبيّنه لهؤلاء الحكام؛ لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه، ولا يهابن أحدًا فيه؛ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين».

وفي التكفير لا بد من التفريق بين الحكم علىٰ الفعل بالكفر، والحكم علىٰ الفاعل، فالحكم علىٰ المعيّن لابد فيه من استيفاء شروط الحكم وانتفاء موانعه.

ومن موانع التكفير: الخطأ، والتأويل، والإكراه.

ودليل العذر بالخطأ حديث الرجل الذي أضل راحلته في أرض فلاة، وأيس منها ونام، فلما استيقظ وجدها أمامه فقال: «اللهم أنت عبدي، وأنا ربك»، قال النبي ﷺ: «**أخطأ من شدة الفرح**». متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٥٩).

وأما العذر بالتأويل فدليله حديث الرجل الذي أوصىٰ أهله أنه إن مات أن يحرقوه ويذروه في اليم، فبعثه الله، فقال: ما حملك علىٰ ما فعلت؟ قال: خشيتك يا رب! فغفر الله له، رواه البخاري من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن الإيمان بقدرة الله علىٰ كل شيء ومعاد الأبدان من أصول الإيمان، ومع هذا، فهذا لما كان مؤمنًا بالله وأمره ونهيه، **وكان إيمانه بالقدرة والمعاد مجملًا، فظن أن تحريقه يمنع ذلك؛** فعل ذلك، ومعلوم أنه لو كان قد بلغه من العلم أن الله يعيده - وإن حرق - كما بلغه أنه يعيد الأبدان، لم يفعل ذلك».

وأما العذر بالإكراه فدليله ما وقع من عمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه سبّ النبي ﷺ إكراهًا؛ أكرهه كفار قريش علىٰ ذلك، فعذره الله، قال تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أجمع أهل العلم علىٰ أن من أُكره علىٰ الكفر حتىٰ خشي علىٰ نفسه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجه، ولا يُحكم عليه بالكفر».

ونبّه بعض العلماء إلىٰ أن الرخصة في الإكراه في القول دون الفعل، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «القول الثاني: أن التقية إنما تكون في

(١) السبعينية (ص٣٤٢).

(٢) أحكام القرآن (١٠/ ١٨٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٧٢).

الأقوال، ولا تقية في الأفعال، ولا إكراه عليها. رُوي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي العالية، وأبي الشعثاء، والربيع بن أنس، والضحاك، وهو رواية عن أحمد، وروي عن سحنون أيضًا».

فالحكم على الأعيان بالتكفير لا بد فيه من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ومنهج الصحابة في ذلك معلوم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أمَّا من لم تقم عليه الحجَّة، مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك، أو غلط فظنَّ أنّ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات يُستثنون من تحريم الخمر، كما غلط في ذلك الَّذين استتابهم عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمثال ذلك - فإنَّهم يُستتابون، وتُقام عليهم الحجَّة، فإن أصرُّوا كفروا حينئذ، ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك، كما لم يحكم الصَّحابة بكفر قدامة بن مظعون؛ لما غلطوا فيه من التَّأويل».

وقد ظهر من ينال من أهل السنة ويرميهم بالتشدد؛ لحمايتهم جناب التوحيد، وحرصهم على صيانة عقائد الناس من الشرك الأكبر، فضلًا عن الشرك الأصغر؛ لتكون عاقبتهم في الآخرة حميدة.

فدعاة التوحيد من لدن عهد النبي ﷺ وصحابته إلى يومنا هذا أهل إحسان إلى الخلق؛ يأخذون بأيدي الناس من الشرك إلى التوحيد، ويعتقون رقابهم من النار؛ رحمةً بهم، ونصحًا لهم، ولكن الناس أعداء ما جهلوا.

---

(١) شرح حديث جبريل (ص٥٥٢، ٥٥٣).

فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صُفْرٍ، فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة! قال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا؛ فإنك لو مِتّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**». رواه أحمد، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب بسند لا بأس به.

ورأىٰ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا في يده خيط من الحمىٰ فقطعه، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]. رواه ابن أبي حاتم.

ودعاة الباطل شناعتهم علىٰ دعوة علماء الأمة المجددين للتنفير منها معلومة، غرضهم من ذلك الصدّ عن الحق ودعاته؛ ليبقىٰ المغرر بهم أسرىٰ شركهم الذي يقتاتون به، بما يأخذونه من الناس من أموال للتمائم التي يصنعونها لهم، وما يأكله سدنة القبور من أموال الناس حين يأذنون لهم بالطواف بالقبور التي بنوا عليها القباب وجعلوها مزارًا كالكعبة، يطوفون بها، ويستغيثون بالموتىٰ، بسؤالهم مباشرة، أو اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وقد نال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من شناعة المبتدعين، والطعن عليه، ورميه بالتكفير بالباطل ما هو من الافتراء والبهتان والعدوان الذي أبان الإمام نفسه عن كذبهم عليه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا

(١) الدرر السنية (١/ ١٠٤).

نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا علىٰ من قدر علىٰ إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل. ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به عن دين الله ورسوله ﷺ.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي علىٰ قبر عبد القادر، والصنم الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم - فكيف نكفّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]».

وأئمة الدعوة - ولله الحمد - ما حرّفوا دين الله، ولا كتموا بيان حق الله الخالص في توحيده، ولا كتموا حكم الله فيمن وقع منه الشرك الأكبر أو أتىٰ بنواقض الإسلام مصانعة ومحاباةً للخلق، فهم مبلغون عن الله، لا يلينون لغامز، كما أنهم لم يجازفوا مجازفة الخوارج بالتكفير باللازم ومن غير إقامة الحجة.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوىٰ، معروف مشهور مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به، وتقسيمهم للشرك إلىٰ أكبر وأصغر، والحكم علىٰ المشرك الشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة، لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم، وما جاءت به الرسل.

---

(١) مصباح الظلام (ص٢٢، ٢٣).

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكىٰ الإجماع عليها، وأنها من ضروريات الإسلام، كما ذكره تقي الدين ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتوىٰ البزازية، وصنع الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وغيرهم من أهل العلم.

وأما قوله(١): «وجعل بلاد المسلمين كفارًا أصليين»، فهذا كذب وبُهت، ما صدر ولا قيل، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلًا عن أهل العلم والدين، بل كلهم مجمعون علىٰ أن بلاد المسلمين لها حكم الإسلام في كل زمان ومكان.

وإنما تكلم الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أندادًا لله رب العالمين، أو يُسندون إليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم، أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين **يُحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردة**، ولم يجعلوه كافرًا أصليًّا».

وقال العلامة عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وما رأيت شيخ الإسلام أطلق علىٰ بلد من بلاد المنتسبين إلىٰ الإسلام أنها بلد كفر، ولكنه قرّر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل، علىٰ أنهم

---

(١) المفتري هو عثمان بن منصور التميمي.

(٢) مصباح الظلام، ص (٢٣).

وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات، هو دين المشركين وفعل الجاهليين الضالين من الأميين والكتابيين، فظن هذا أن لازم قوله أنه يحكم علىٰ هذه البلاد أنها بلاد كفر، وليس هذا بلازم، ولو لزم فلازم المذهب ليس بمذهب، ونحن نطالب الناقل بتصحيح نقله. نعم، ذكر الحنابلة وغيرهم أن البلدة التي تجري عليها أحكام الكفر، ولا تظهر فيها أحكام الإسلام بلدة كفر، وما ظهر فيها هذا وهذا فقد أفتىٰ فيها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه يُراعىٰ فيها الجانبان؛ فلا تُعطىٰ حكم الإسلام من كل وجه، ولا حكم الكفر من كل وجه، كما نقله عنه ابن مفلح وغيره».

وقد ظهر قبلنا من ينال من علمائنا بسبب تكفيرهم تارك الصلاة!! وكأن تكفير تارك الصلاة ليس من فقه الصحابة؟!

ناهيك أن الصلاة جعلها النبي ﷺ حدًّا فاصلًا بين الإسلام والكفر، وجعلها من آكد العلامات الفارقة بين دار الإسلام ودار الكفر.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الذي يقول: من قال بكفر تارك الصلاة - مع دلالة الكتاب والسنة وأقوال الصحابة علىٰ ذلك، والمعنىٰ الصحيح والنظر الصحيح - هو خارجي، فهو الخارجي الحقيقي».

فهذا من أعجب العدوان علىٰ أدلة الكتاب والسنة ومذاهب الصحابة، ماذا بقي من الإسلام إذا ضُيعت الصلاة؟!!

(١) شرح السياسة الشرعية (ص٣٧٦)، ط دار ابن حزم.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة».

وقال شقيق بن عبد الله العقيلي رَحِمَهُٱللَّهُ: «ما كان أصحاب محمد ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة». رواه الترمذي.

وقال النبي ﷺ: «**بين الشرك والكفر ترك الصلاة**». رواه مسلم من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها، فقد كفر**»، صححه الترمذي من حديث بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٣٩٤هـ)**(١): «أفلا ترىٰ أن **تارك الصلاة ليس من أهل ملة الإسلام** الذين يُرجىٰ لهم الخروج من النار، ودخول الجنة بشفاعة الشافعين، كما قال ﷺ في حديث الشفاعة الذي رواه أبوهريرة وأبو سعيد - رضي الله عنهما جميعًا -: «**أنهم يخرجون من النار، يعرفون بآثار السجود**»، فقد بيّن لك أن المستحقين للخروج من النار بالشفاعة هم المصلون.

ألا ترىٰ أن الله ميّز بين أهل الإيمان وأهل النفاق بالسجود، فقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق: ٢١]، **أفلا تراه جعل علامة ما بين ملة الكفر والإسلام، وبين أهل النفاق والإيمان في الدنيا والآخرة الصلاة**».

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ١٠٠٩، ١٠١٠).

وكان النبي ﷺ إذا أراد غزو قوم انتظر حتىٰ يسمع النداء بها وإلا أغار عليهم. رواه البخاري.

فالصلاة دليل الإيمان وآكد خصاله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال النبي ﷺ: «**من صلىٰ صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم**». رواه البخاري.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنها علمُ الإيمان وأعظمُ خصاله البدنية».

والقائلون بعدم تكفير تارك الصلاة عطلوا قول النبي ﷺ: «**أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». رواه البخاري ومسلم، مع أن هذا النص بيان للمجمل في الأحاديث الواردة في إثبات دخول الجنة بقول: لا إله إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأما الذين لم يكفروا بترك الصلاة ونحوها، فليست لهم حجة إلا وهي متناولة للجاحد، كتناولها للتارك، فما كان جوابهم عن الجاحد كان جوابًا لهم عن التارك، مع **أن النصوص علّقت الكفر بالتولي** كما تقدم.

وهذا مثل استدلالهم بالعمومات التي يحتج بها **المرجئة**، كقوله: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها**

---

(١) فتح الباري (١/ ١٩٠).

(٢) شرح حديث جبريل (ص٥٦٢، ٥٦٣).

إلىٰ مريم وروح منه؛ أدخله الله الجنة»، ونحو ذلك من النصوص».

فالدعاة الناصحون يوجهون الأمة لإقامة أركان الإسلام، لا إسقاطها، كما يقول بعضهم: «تضييعها معصية غير الشهادتين، والصلاة مختلف فيها»؛ فهذا ما فقه حقيقة الإيمان وأسقط حقيقة الإسلام، شعر أم لم يشعر!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن الإسلام الذي في القلب لا يتم إلا بعمل الجوارح، فهُنَّ مبانٍ له ينبني عليها، فالمباني الظاهرة تحمل الإسلام الذي في القلب، كما يحمل الجسد الروح، وكما تحمل العُمُدُ السقف، والقبة الأركان».

ومباني الإسلام أمر الله بها لتحقيق التوحيد، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «حيث أجاب النبي ﷺ بذكر الإيمان أو بذكر الصلاة؛ فإنما مقصوده التمثيل بأفضل مباني الإسلام.

ومراده المباني بجملتها؛ فإن المباني الخمس كالشيء الواحد، وكل من دخل في الإسلام بالإقرار بالشهادتين، أو بالصلاة علىٰ رأي من يرىٰ فعلها إسلامًا، فإنه يؤمر ببقية المباني، ويُلزم بذلك، ويُقاتل علىٰ تركه».

وواجب طلبة العلم التفريق بين نواقض الإسلام وما يضاد أصل التوحيد، وبين الذنوب التي لا تزيل الإيمان بالكلية أو ما يضاد كمال التوحيد.

---

(١) المجموعة العليَّة من كتب ورسائل وفتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٦، ٧٧).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢١٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون علىٰ أنه لا يكفر بالذنب، فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب».

وحبوط العمل تارة يكون كليًّا، وهذا يكون بسبب الشرك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ويكون أيضًا بسبب الإتيان بناقض من نواقض الإسلام، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ»، رواه أبو داود.

فمن اعتقد أن الكُهان يعلمون الغيب وصدّقهم في ذلك، فقد كفر لأنه مكذب للقرآن، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

ويكون حبوط العمل غير كلي، قد يكون كبيرة من كبائر الذنوب تذهب بحسنات عظيمة؛ فقد روىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل صالح، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣]، فخافوا الكبائر بعد أن تُحبط الأعمال.

وعن معمر عن الزهري في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾، قال: بالكبائر.

وبإسناده عن قتادة في هذه الآية قال: من استطاع أن لا يُبطل عملًا صالحًا

---

(١) الإيمان (ص٢٨٦).

عمله بعمل سيء فليفعل، ولا قوة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «والآثار عن السلف في حبوط الأعمال بالكبيرة كثيرة جدًّا يطول استقصاؤها، حتىٰ قال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وأما من زعم أن القول بإحباط الحسنات بالسيئات قول الخوارج والمعتزلة خاصة، فقد أبطل فيما قال، ولم يقف علىٰ أقوال السلف الصالح في ذلك».

علىٰ كل حال الحكم بشرع الله توحيد، والعدول عنه طغيان قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول الثلاثة: «الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: ... ومن حكم بغير ما أنزل الله». ثم قال: «وهذا معنىٰ لا إله إلا الله».

وهذا الذي ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ما دلّ عليه حديث عديّ بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الحكم بما أنزل الله تعالىٰ من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضىٰ ربوبيته، وكمال ملكه

---

(١) فتح الباري (١/ ٢٠٠).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٠٠).

(٣) شرح الأصول الثلاثة (ص ١٥٤، ١٥٥).

وتصرفه، ولهذا سمّىٰ الله تعالىٰ المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالىٰ أربابًا لمتبعيهم، فقال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]؛ فسمّىٰ الله تعالىٰ المتبوعين أربابًا؛ حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالىٰ، **وسمّىٰ المتبعين عُبَّادًا؛ حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم. فقال النبي ﷺ: «**بل إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم**»».

وذهب عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن الوعيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] للجاحد لحكم الله، وقد أنكر عليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول، فقال[(١)]: «وهو تأويل مرجوح؛ فإن نفس جحوده كفر، سواء حكم أو لم يحكم.

ومنهم: من تأولها علىٰ ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكم بالتوحيد والإسلام، وهذا تأويل عبدالعزيز الكناني.

وهو أيضًا بعيد؛ إذ الوعيد علىٰ نفي الحكم بالمنزّل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعه وببعضه.

ومنهم: من تأولها علىٰ الحكم بمخالفة النص، تعمدًا من غير جهل به ولا

---

(١) مدارج السالكين (ص ٢١٠).

خطأ في التأويل، حكاه البغوي عن العلماء عمومًا.

ومنهم: من تأولها علىٰ أهل الكتاب، وهو قول قتادة والضحاك وغيرهما، وهو بعيد، وهو خلاف ظاهر اللفظ فلا يُصار إليه.

ومنهم: من جعله كفرًا ينقل عن الملة.

والصحيح: أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصيانًا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة؛ فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخيَّر فيه مع تيقنه أنه حكم الله تعالىٰ؛ فهذا كفر أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطيء له حكم المخطئين».

وقال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فمن كان تاركًا لما أنزل الله في أحكامه علىٰ هذه الصفة، فقد ساوىٰ من أُنزلت فيهم الآيات من اليهود والنصارىٰ، واستحق اسم الكفر والظلم والفسق.

ومن حمله حرص الدرهم والدينار، أو بلوغ ثأر، أو شهوة نفس، علىٰ ترك حكم الله، وهو عالم بعدوانه عارف بإساءته، حَذِرٌ من سوء صنيعه، مصدّق لربه فيما أنزل من الأحكام، شاهد عليها بالحق المفترض عليه العمل به، ولم يساوهم فيها، وهو باق علىٰ إسلامه، عاص لربه[(٢)] فأفعاله تستوجب عقوبته إن

---

(١) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٣١٠، ٣١١).

(٢) كان قد ذكر قبل ذلك صفة من جحد ما أنزل الله، أو حكم بغير حكم الله مدعيًا به علىٰ الله؛ =

لم يجد بالصفح عنه. فإن تاب [١] لحق بالتائبين».

وفرقٌ بين أن يتورع العالم في مسائل التكفير، وأن يُبرِّر الحكم بغير ما أنزل الله، فالأول ممدوح، والثاني مذموم؛ فالتوقي في مسائل التكفير أولىٰ من فرطات الإقدام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من ممادح أهل العلم أنّهم يُخطئون ولا يكفرون».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «علماء السوء الذين يدعون إلىٰ الضلال والكفر، أو يدعون إلىٰ البدع، أو إلىٰ تحليل ما حرّم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت؛ لأن هؤلاء تجاوزوا حدّهم؛ فإن حدّ العالم أن يكون متبعًا لما جاء به النبي ﷺ؛ لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء؛ يرثونهم في أمتهم: علمًا، وعملًا، وأخلاقًا، ودعوةً، وتعليمًا، فإذا تجاوزوا هذا الحدّ وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم، فهم طواغيت؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا من

=

أنه كافر. نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٣١٠).

والعلماء يُكفرون كذلك من اعتقد جواز أن يحكم بغير ما أنزل الله، أو أن شرع غير الله أفضل أو مساو لشرع الله.

(١) توبة من يحكم بغير شرع الله أن يحكم بما أنزل الله أو يترك الحكم إذا لم يمكنه أن يحكم بشرع الله.

(٢) شرح ثلاثة الأصول (ص ١٥١).

متابعة الشريعة».

ومع وجوب تعظيم شرع الله، فإن مسائل التكفير من المسائل العظيمة التي يفتي فيها كبار العلماء، وقد رأينا بعض الشباب من حين بدأ في أداء الصلوات جماعة في المساجد، وصحبة الشباب المتديّن، والجلوس إلىٰ من يُعلّمه؛ أخذ في إطلاق لسانه في التكفير والمجازفة في ذلك والمسارعة إليه، وقد رأىٰ العلماء من ذلك عجبًا، فأنكروه؛ قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ منكرًا ركوب الجهلة من أهل زمانه هذا الأمر العظيم(١): «فما بالك! وهذا أنت تعترف علىٰ نفسك أنك لا تعرف الحقَّ، ولا تعقل الصواب في مسائل الطهارة والتخلي والوضوء والصلاة؟ فكيف قمت هاهنا مقام تكفير المسلمين والحكم عليهم بصريح الردة جازمًا بذلك متحدثًا به مطمئنًا إليه؟».

وقد رأىٰ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسارعة ومجازفة البعض إلىٰ التكفير، بمصانعة ملوك الكفار بالهدايا وبالحكم بغير ما أنزل الله، فوعظهم في ذلك، وقال(٢): «بلغنا عنهم تكفير أئمة المسلمين بمكاتبة الملوك المصريين، بل كفّروا من خالط من كاتبهم من مشايخ المسلمين، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدىٰ، والحَوْرِ بعد الكَور، وقد بلغنا عنكم نحو من هذا، وخضتم في مسائل من هذا الباب، كالكلام في الموالاة والمعاداة والمصالحة

(١) أدب الطلب (ص٦٣).

(٢) عيون الرسائل (١/ ١٦٥، ١٦٦).

والمكاتبات، وبذل الأمور والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي ونحوهم من الجفاة، لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزقه الله الفهم عن الله، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب».

فواجب طلبة العلم رد الكلام في هذه المسائل العظيمة إلىٰ كبار العلماء، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يزال الناس بخير ما كان العلم في أكابرهم، فإذا صار العلم في أصاغرهم، فذلك حين هلكوا. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]. فالفوضىٰ في التكفير تعالم يتورع عنه أهل العلم ويكلونه إلىٰ أهله، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أحكام الكفر ليست هيّنة حتىٰ تكون علىٰ ألسنة كل أحد».

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنّ الذي يُفتي الناس في كل ما يستفتونه مجنون»[٢]. وقد قالها في مسائل دون مسائل التكفير خطورة، فحال بعض الشباب أنه لا يكاد يتورع في الفتيا، ولم يجرِ علىٰ لسانه قط أن قال: «لا أعلم»، أو: «الله أعلم».

قال أبو عبد الله ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «فهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) تفسير سورة آل عمران (١/ ٢٠٣).

(٢) رواه أبو خيثمة في كتاب «العلم» (رقم ١٠)، بإسناد صحيح.

(٣) إبطال الحيل (ص٦٦، ٦٧).

يحلف بالله أن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه مجنون.

ولو حلف حالف لبر أو قال: لصدق - أن أكثر المفتين في زماننا هذا مجانين[1]؛ لأنك لا تكاد تلقىٰ مسؤولًا عن مسألة متلعثمًا في جوابها ولا متوقفًا عنها، ولا خائفًا لله، ولا مراقبًا له أن يقول له: من أين قلت؟ بل يخاف ويجزع أن يقال: سئل فلان عن مسألة فلم يكن عنده فيها جواب. يُريد أن يوصف بأن عنده من كل ضيق مخرجًا، وفي كل متعلق متهجرًا، يفتي فيما عيي عنه أهل الفتوىٰ، ويعالج ما عجز عن علاجه الأطباء، يخبط العشوة، ويركب السهوة، لا يفكر في عاقبة، ولا يعرف العافية، إذا أكثر عليه السائلون وحاقت به الغاشية».

فالذي ننصح به أنفسنا وطلبة العلم أنه قد لا يتأتىٰ لنا الجزم قطعًا بتكفير بعض الأعيان في بعض المسائل، فاحذر أيها المسلم واعتبر بنصيحة كبار علماء الأمة الإسلامية الذين قالوا: إنه لا يتأتىٰ لنا التكفير في كل مقام، فأين أنت منهم؟!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «لا ينبغي أن يُظن أن التكفير ونفيه ينبغي أن يُدرك قطعًا في كل مقام، بل التكفير حكم شرعي يرجع إلىٰ إباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية، فتارة يُدرك بيقين، وتارة يُدرك بظن غالب، وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولىٰ، والمبادرة إلىٰ التكفير إنما تغلب علىٰ

---

(١) هذا في زمانه قبل عشرة قرون، فكيف بزماننا هذا؟!!

(٢) السبعينية (ص٣٤٥)، ط ـ مكتبة العلوم والحكم، ط ـ الثالثة، ١٤٢٢هـ.

طباع من يغلب عليهم الجهل».

والعلماء يقررون في تقريراتهم العلمية وتطبيقاتهم العملية الفرق بين التكفير كحكم شرعي وتعيينه في آحاد الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن حكم الوعيد علىٰ الكفر لا يثبت في حق الشخص المعيّن حتىٰ تقوم عليه حجة الله التي بعث بها رسله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ثبت في صحيح البخاري عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قصة «حمار» الذي تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه بعض الصحابة، قال النبي ﷺ: «**لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله**»، وقال: «**لعن المؤمن كقتله**»، متفق عليه. هذا مع أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه لعن الخمر وشاربها، فقد ثبت أن النبي ﷺ لعن عمومًا شارب الخمر، ونهىٰ في الحديث الصحيح عن لعن هذا المعيّن».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «العلماء قد تنازعوا في تكفير أهل البدع والأهواء وتخليدهم في النار، وما من الأئمة إلا من حُكي عنه في ذلك «قولان»، كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وصار بعض أتباعهم يحكي هذا

---

(١) السبعينية (ص٣١١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٨٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦١٨، ٦١٩).

النزاع في جميع أهل البدع، وفي تخليدهم حتىٰ التزم تخليدهم كل من يعتقد أنه مبتدع بعينه، وفي هذا من الخطأ ما لا يُحصىٰ، وقابله بعضهم فصار يظن أنه لا يُطلق كفر أحد من أهل الأهواء، وإن كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد.

والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفرًا كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يُرىٰ في الآخرة، ولكن قد يخفىٰ علىٰ بعض الناس أنه كفر، فيُطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يُرىٰ في الآخرة فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعيّن حتىٰ تقوم عليه الحجة».

وفي سؤال الشباب الجزائري لشيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة الحكم بغير ما أنزل الله؟

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد يحكم بغير ما أنزل الله عدوانًا وظلمًا مع اعترافه بأنَّ حكم الله هو الحق، فهذا لا يكفر كفرًا مخرجًا عن الملة، وقد يحكم بغير ما أنزل الله تشهيًا ومحاباةً لنفسه أو لقريبه، لا لقصد ظلم المحكوم عليه ولا لكراهة حكم الله، فهذا لا يخرج عن الملة، إنَّما هو فاسق، وقد يحكم بغير ما أنزل الله كارهًا لحكم الله فهذا كافر كفرًا مخرجًا عن الملَّة، وقد يحكم بغير ما أنزل الله طالبًا موافقة حكم الله لكنَّه أخطأ في فهمه، فهذا لا

---

(١) فتاوىٰ العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر (ص١٦٤، ١٦٥).

يكفر، بل، ولا يأثم، لقول النبي ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران**»».

وقال المحاور الجزائري لشيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يا شيخ! التكفير، التشريع العام، والتكفير العيني، هذه المسائل يا شيخ! قد يأخذون الفتوىٰ منكم ثم يُطبِّقونها علىٰ الحاكم!

الشيخ: عملهم هذا غير صحيح.

السائل: نعم! ثم لمَّا نقول له: يا أخي ما قالها الشيخ ابن عثيمين، يقول لك: لكن الشيخ ابن عثيمين مثلًا في كتبه قال: التشريع العام: من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر بدون تفصيل، والآن عندنا هذا الحاكم لا يحكم بما أنزل الله فهو كافر.

قال الشيخ: أقول: بارك الله فيكم: **الحكم علىٰ المسألة بالحكم الذي ينطبق عليها غير الحكم علىٰ شخص معين**».

والحكم بغير ما أنزل الله وعيده غير مقصور علىٰ الحُكام، فالعلماء وطلبة العلم يقع من بعضهم دفع نصوص الكتاب والسنة وردها أو تعطيل أدلتها ومقتضاها، وكلام السلف كثير في التحذير من رد النصوص من القرآن والسنة، وهذا وقع من المبتدعين، وبعض الفقهاء يدفع في نحور النصوص، فلا ينقاد إلىٰ عقائدها وأحكامها؛ لضعف تعظيم كلام الله ورسوله ﷺ في نفسه، ولغلبة الهوىٰ والتعصب والانتصار للأحزاب والمذاهب، فلا يزال بعضهم في هذا

---

(١) فتاوىٰ العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر (ص١٧٦).

المسلك الوخيم حتىٰ يخرج من الملة.

قال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «حَرَمَ الله – جلَّ وعزَّ – أهل الأهواء كلهم أن يجدوا عن أشياعهم أو بأسانيدهم حُكمًا من أحكام الرسول أو فرضًا أو سنَّةً من سنن المرسلين إلا ما يَعْتَلُّون بأهل الحديث إذا بدا لهم، كالذين جعلوا القرآن عِضين، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ فمن ردَّ بعض السنن مما نقله أهل العلم فيلزمه أن يَرُدَّ باقي السنن حتىٰ يتخلىٰ من السنن والكتاب وأمر الإسلام أجمع، والبيان في هذا كثير».

فتعظيم أحكام الله واجب علىٰ جميع المسلمين لا يختص بالولاة والعلماء بل هو لازم لهم وللعامة جميعًا.

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** أتىٰ النُّعْمان بن قَوْقَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله! أرأيت إذا صلَّيْت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرَّمت الحرام، ولم أزد علىٰ ذلك شيئًا، أأدخل الجنَّة؟ قال: «**نعم**».

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «في قوله: «أحللت الحلال وحرَّمت الحرام» دليل علىٰ أنه لابدَّ من اعتقاد الحل فيما هو حلال، واعتقاد التحريم فيما هو حرام، وهذا أمر زائد علىٰ الفعل فيما يحلُّ ، وعلىٰ التَّرْك فيما

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ١٧٠).

(٢) التعليق علىٰ صحيح مسلم (١/ ١١٧).

يحرم، لأن من فعل ما يحلُّ لا باعتقاد الحِل، فإنه نقص عليه عقيدة، وهي عقيدة الحكم الشرعي في هذا الذي فعله، وكذلك من تجنب الحرام دون اعتقاد تحريمه، فقد نقص عليه العقيدة في حكم هذا الشيء».

❁ ❁ ❁

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الخَامِسُ: مِنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كَفَرَ.

الشَّرْح:

بغض شيء ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ من نواقض الإسلام؛ لأنَّه كفر بما جاء به، وما أُرسل وبُعث به من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأصل وقاعدة الإسلام والإيمان تصديقُ ما أخبر الله به عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، والانقياد لشريعة الله التي بعث رسوله ﷺ ببيانها.

فإنَّ الإيمان علم القلب وعمله وانقياد الجوارح، فإيمان القلب طمأنينته وتصديقه وخضوعه لخبر الله وأمره، وانشراح الصدر بذلك، وانقياد الجوارح لأمر الله ونهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إذا حصل في القلب استخفاف واستهانة؛ امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من لم ينقد لأمره؛ فهو إما مكذب له أو ممتنع عن الانقياد لربه، وكلاهما كفر صريح، ومن استخف به[(٣)] واستهزأ

(١) الصَّارم المسلول (ص٥١٩).

(٢) الصارم المسلول (ص٥٢١).

(٣) ﷺ، أو بالشرع الذي بُعث بتبليغه.

بقلبه؛ امتنع أن يكون منقادًا لأمره؛ فإن الانقياد إجلال وإكرام، والاستخفاف إهانة وإذلال، وهذان ضدان؛ فمتىٰ حصل في القلب أحدهما انتفىٰ الآخر، فعُلم أن الاستخفاف والاستهانة به ينافي الإيمان منافاة الضد للضد».

فالبغض لشيء مما جاء به الرَّسول ﷺ يدلُّ علىٰ كفر القلب.

ومن أبغض شيئًا مما جاء به الرَّسول ﷺ؛ فهذا يدلُّ علىٰ أنه لم يُسلم قلبه ووجهه لله.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، فكراهية شيء من الشرع ردةٌ تُحبط الأعمال.

وكلمة التَّوحيد «لا إله إلا الله» لا تصحُّ إلا عن يقين بلا ريب، وتصديق وطمأنينة بلا تكذيب، وخضوع وانقياد لمستلزماتها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال النبيُّ ﷺ لأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**من لقيت يشهد أن لا إله إلَّا الله، مستيقنًا بها قلبه؛ فبشره بالجنَّة**»، رواه مسلم.

وفي الصحيحين من حديث عثمان بن عفَّان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، لا يلقىٰ اللهَ بهما عبدٌ، غير شاكٍّ فيهما، إلَّا دخل الجنَّة**».

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «تقتضي كلمة

(١) قُرَّة عيون الموحدين (ص٣٤).

الإخلاص: العلم، واليقين، والصدق، والإخلاص، والمحبَّة، والقبول، والانقياد».

فالمسلمون آمنوا بمحمَّد ﷺ رسولًا من عند الله؛ فلا يبغضون شيئًا ممَّا جاء به؛ لأنَّهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنَّ الله أرسله بالحقِّ، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، ولا يبغض المسلم شيئًا ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ؛ لأنَّه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ۝٤**﴾ [النجم: ٣، ٤].

فمن أبغض شيئًا من شرع الله وما جاء به الرسول ﷺ فهذا ما آمن بما جاء به الرسول ﷺ ولا دان به ولا اتَّبعه، أمَّا المسلمون فإنَّهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، فهذا حقيقة الدِّين؛ وهو الإسلام الذي خضعنا به لله وعبدناه وحده.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن الإسلام دين، والدين مصدر دان يدين دِينًا: إذا خضع وذلَّ.

ودين الإسلام الذي ارتضاه الله، وبعث به رسله؛ هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب وهو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه.

فمن عبده وعبد معه إلهًا آخر، لم يكن مسلمًا، ومن لم يعبده، بل استكبر عن عبادته؛ لم يكن مسلمًا.

والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له، والعبوديَّة له».

---

(١) الإيمان (ص٢٤٩، ٢٥٠)، ط - المكتب الإسلامي.

ولا يصحُّ إسلام أحدٍ كائنًا من كان إلَّا باعتقاد ما أوجب الله الإيمان به، وما حكم به، مع انشراح صدرٍ لأحكام الله في أمره ونهيه كلِّه، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أقسم تعالىٰ أنَّهم لا يؤمنون حتىٰ يُحكِّموا رسوله ﷺ، ولا يبقىٰ في قلوبهم حرجٌ وضيق من حُكْمِه، وينقادوا له انقيادًا، وينشرحوا لحكمه».

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** أتىٰ النبيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بن قَوْقَل، فقال: يا رسول الله! أرأيتَ إذا صَلَّيْتُ المكتوبة، وحَرَّمْتُ الحرامَ، وأحللت الحلالَ، أأدْخُلُ الجنَّةَ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**نعم**»، رواه مسلم[٢].

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «في قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أحللت الحلال، وحرَّمْتُ الحرام»، دليلٌ علىٰ أنَّه لابدَّ من اعتقاد الحلِّ فيما هو حلال، واعتقاد التحريم فيما هو حرام».

فالمؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ مطمئنٌّ لأحكام الله التي بيَّنها رسول الله ﷺ، مطمئنٌّ لخبر الله عَزَّوَجَلَّ وكلامه ووحيه الذي بعث رسوله ﷺ ببيانه، ﴿وَتَمَّتْ

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص٣٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل به الجنَّة (ص٢٨ - رقم ١٠٨).

(٣) التعليق علىٰ صحيح مسلم (١/ ١١٧).

كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما أنَّ لفظ الإقرار مأخوذ من: قَرَّ يقرُّ، وهو قريب من: أمن يأمن، لكن الصادق يطمئنُّ إلىٰ خبره، والكاذب بخلاف ذلك، كما يُقال للصدق: طمأنينة، والكذب: ريبة، فالمؤمن داخل في الأمن، كما أنَّ المقرَّ دخل في الإقرار، ولفظ الإقرار يتضمَّن الالتزام».

والإيمان بمحمَّد ﷺ رسولًا هو توقيره واتِّباعه وتصديقه، أمَّا بُغْضُ ما جاء به أو بعضه فهذا كفرٌ به ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الرسول ﷺ يؤمن له من جهة أنَّه مخبِرٌ، ويؤمن به من جهة أنَّ رسالته ممَّا أخبر بها، كما يؤمن بالله وملائكته وكتبه».

فالإيمان بالرَّسول محمَّد ﷺ هو: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وموالاته ونصرته واتِّباعه، وانشراح الصدر للأحكام التي بلَّغها عن الله تعالىٰ؛ كلُّ هذا من الإيمان به واتِّباعه، وهو من شهادة أنَّه رسول الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الدين هو ما بعث الله به رسوله ﷺ، والعمل به.

(١) شرح حديث جبريل (ص٤١٤).

(٢) شرح حديث جبريل (ص٤١٨).

(٣) شرح حديث جبريل (ص٥٩٨).

وعلىٰ كلِّ أحد أن يُصدِّق محمدًا ﷺ فيما أخبر به تصديقًا عامًّا، ويطيعه فيما أمر طاعةً عامَّةً، وإذا ثبت عنه خبر كان عليه أن يصدِّقه به تصديقًا مفصَّلًا، فإن كان مأمورًا فيه بأمر كان عليه أن يطيعه طاعة مفصَّلة».

فالإيمان بالرُّسل يكون مُجْملًا للرُّسل والأنبياء السَّابقين، ويكون مفصَّلًا لخاتم المرسلين محمَّد ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أمَّا قوله: «ورسله»؛ فأن تؤمن بما سمىٰ الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأنَّ لله سواهم رسلًا وأنبياء، لا يعلم أسماءهم إلَّا الذي أرسلهم.

وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل؛ إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم؛ وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به وتصديقك إيَّاه، واتباعك ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به؛ أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرَّمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات».

❁ ❁ ❁

(١) الإيمان (ص٢٩٧).

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

> **السَّادِسُ**: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ اللهِ أَوْ ثَوَابِهِ، أَوْ عِقَابِهِ؛ كَفَرَ.
> **وَالدَّلِيلُ**: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

الشَّـرْح:

الاستهزاء بشيء من دين الله كُفْرٌ وردَّةٌ، وهو دالٌّ علىٰ خلوِّ اعتقاد المستهزئ من تعظيم الله وشرعه ودينه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «نُقل عن الشافعيِّ أَنَّه سُئل عمَّن هزل بشيء من آيات الله تعالىٰ؛ أنَّه قال: هو كافر، واستدلَّ بقول الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾.

وكذلك قال أصحابنا وغيرهم: من سبَّ الله كفر، سواء كان مازحًا أو جادًّا؛ لهذه الآية، وهذا هو الصواب المقطوع به».

ونصُّ الآية دليل علىٰ أنَّ المستهزئ بدين الله أو السَّابَّ لله عَزَّوَجَلَّ أو رسوله ﷺ أو دينه كافرٌ؛ إذ جعل اللهُ موجب الكفر هو الاستهزاء بالله وآياته، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٦] ولم يقل: قد كَذبتم في قولكم: إنَّما كنَّا نخوض ونلعب.

---

(١) الصارم المسلول (ص٥١٣).

(٢) الصَّارم المسلول (ص٥١٧).

فلم يُكذِّبهم في هذا العذر كما كذبهم في سائر ما أظهروه من العذر الذي يوجب براءتهم من الكفر لو كانوا صادقين، بل بَيَّنَ أَنَّهم كفروا - بعد إيمانهم - بهذا الخوض واللعب».

أمَّا قول القاضي أبي يعلىٰ: أنَّ السَّابَّ يكفر إذا استحلَّه؛ فهذا خطأ منه، وهو من أقوال متأخِّري المتكلِّمين من الجهميَّة[1].

ومن اعتقد في المحرَّمات المعلوم تحريمها أنَّها حلال؛ كَفَرَ، سواء سبَّ أو لم يسبَّ.

ودعوىٰ اللَّعب والخوض في الاستهزاء بالله أو آياته كذبٌ؛ فإنَّ الاستهزاء دالٌّ علىٰ الكفر وعدم الإيمان بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ التصديق بالقلب يمنع إرادة التكلُّم، وإرادة فعلٍ فيه استهانةٌ واستخفافٌ، كما أنَّه يوجب المحبَّة والتعظيم، واقتضاؤه وجود هذا وعدم هذا؛ أمرٌ جَرَتْ به سنَّةُ الله في مخلوقاته، كاقتضاء إدراك الموافق للذَّة وإدراك المخالف للألم، فإذا عُدم المعلول كان مستلزمًا لعدم العلَّة، وإذا وُجد الضدُّ كان مستلزمًا لعدم الضدِّ الآخر، فالكلام والفعل المتضمِّن للاستخلاف والاستهانة؛ مستلزم لعدم التصديق النافع، ولعدم الانقياد والاستسلام؛ فلذلك كان كفرًا».

---

(١) الصارم المسلول (ص٥١٦).

(٢) الصارم المسلول (ص٥٢٤).

والاستهزاء بالمؤمنين خُلُق الكافرين، وكفر الكافرين غيظه سب المؤمنين والسُّخرية بهم، وهذا زيادة في كفرهم وسفههم؛ فإنَّ من أسلم وآمن بالله واتَّبع رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - أزكىٰ وخير ممن كفر بالله وأشرك به، فالكافرون هم الضالُّون، والسُّخرية أولىٰ بهم.

وقد أخبرنا الله أنَّ سبب سخرية الكافرين بالمؤمنين هو اصطفاء الله لهم للإسلام، وما أدركوا بسببه من الخير والبركة، فنَقِمَ الكفَّار ذلك علىٰ المؤمنين حسدًا وغيظًا.

قال العلَّامة محمَّد الأمين الشّنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [التوبة: ٧٤]. صرَّح في هذه الآية الكريمة: أن المنافقين ما وجدوا شيئًا ينقمونه، أي: يعيبونه وينتقدونه إلا أنَّ الله تفضَّل عليهم فأغناهم بما فتح علىٰ نبيِّه ﷺ من الخير والبركة.

والمعنىٰ أنه لا يوجد شيء يحتمل أن يُعاب أو ينقم بوجه من الوجوه، والآية كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وقوله: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠]».

واستهزاء الكافرين بالمؤمنين هو شعبة من أعمال الضَّالِّين، ونوع من غضب الله علىٰ من زعموا أنَّهم أبناء الله وأحبَّاؤُه، وهم شرُّ الخليقة.

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٤٢١).

والكافرون حصروا الخير في أنفسهم، وهذا غاية في الضَّلالة، فمن ضلَّ عن الصِّراط المستقيم أنَّىٰ له أن يحصر الخير في نفسه والكفار أنفسهم يضلل بعضهم بعضًا، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يُبيِّن به تعالىٰ تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم».

وصار اليهود والنَّصارىٰ كلٌّ منهم يجعل الجنَّة له دون الآخر، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

قال العلامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «تقديره: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًّا، وقالت النَّصارىٰ: لن يدخل الجنَّة إلا من كان نصرانيًّا».

والكافرون المشركون جمعوا بين تزكية أنفسهم والاستهزاء والسُّخرية بالمسلمين، وهذا من غرور كفرهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المُلك: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: ٤٩، ٥٠].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٣٢).

(٢) تفسير القرآن (١/ ١٢٧).

قال شيخنا العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾، أتحصل لهم التزكية؟ الجواب: لا تحصل لهم التزكية، ولو كان كل من زكىٰ نفسه حصل له التَّزكية؛ لكان أخبث النَّاس يزكِّي نفسه، فالآن الذين يعبدون الأصنام، أو يعبدون البقر، أو يعبدون الأشجار يقولون: نحن علىٰ حقٍّ. فيزكُّون أنفسهم، لكن ترجع التزكية إلىٰ الله، ولهذا أبطل الله هذه التَّزكية كلَّها، وقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾».

والكفَّار رأوا من شكيمة إيمان المسلمين، وتوكُّلهم علىٰ الله، وصبرهم علىٰ الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد، والجهاد ليكون الدِّين كلُّه لله؛ ما جعلهم يرمون المسلمين بأدوائهم، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن النَّاصر السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا - مع قِلَّتهم - علىٰ قتال المشركين مع كثرتهم ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ أي: أوردهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يُدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقارًا لهم واستخفافًا لعقولهم، وهم - والله - الأخِفَّاءُ عقولًا، الضعفاء أحلامًا».

---

(١) تفسير سورة النساء (١/ ٣٩٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٣٣٣).

والمنافقون سخروا من المؤمنين في جهادهم للكفَّار، ورموا المؤمنين بالجبن والخور والنَّهمة في الأكل والشِّبع، وهم أجبن الخلق؛ إذ تكتَّموا كفرهم وأظهروا الإسلام نفاقًا، وهم القعديَّة الذين لا ينهضون للقتال ولا يجاهدون في سبيل الله.

قال تعالىٰ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٤، ٦٥].

والكفَّار أضلَّهم الشَّيطان، فزيَّن لهم كفرهم، فاتَّخذهم أولياء له يسخرون من الذين آمنوا، ومنهم من يقاتل المؤمنين نصرة لشركه وكفره وسفهه.

قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «التزيين جعل الشيء بهيًّا في عين الإنسان، أو في سمعه، أو في مذاقه، أو في فكره. المهم أن أصل التزيين جعل الشيء بهيًّا جميلًا جذابًا، والمزيِّن إما أن يكون الله؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤]، وإما أن يكون الشيطان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: ٢٤]، ولا منافاة بين الأمرين؛ فإن الله زين لهم سوء أعمالهم؛ لأنهم أساءوا، كما يفيده قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف: ٥]، والتزيين من الله باعتبار التقدير؛ أما الذي باشر

---

(١) تفسير سورة البقرة (٣/ ٢٠، ٢١).

التزيين، ووسوس لهم بذلك فهو الشيطان».

وكما أنَّ العاقبة للمؤمنين يوم القيامة، فكذلك لهم العاقبة في الدُّنيا؛ فإنَّ الله ينصر من ينصره، وهذا ما حصل لرسل الله - عليهم الصلاة والسلام - وورثتهم، فقد نصر الله محمدًا ﷺ علىٰ كل الأحزاب، ولا تزال سنَّة الله باقية في نصرة أوليائه، فقد نصر الله الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ قلَّة من العدد والعتاد علىٰ أصناف من حارب التَّوحيد.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المراد: العاقبة في الدنيا قبل الآخرة؛ لأنه ذكر ذلك عقيب قصة نوح، ونصره وصبره علىٰ قومه، فقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] أي عاقبة النصر لك ولمن معك، كما كانت لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن آمن معه».

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بما يكون من سخريَّة الكافرين للمؤمنين به؛ لنأخذ بأسباب الاستعداد النَّفسي فلا نكترث بسفههم، وندفع أذاهم بالاعتصام بالله والاستعانة به بالصَّبر علىٰ ذلك، والثَّبات علىٰ إسلامنا، والدَّعوة إلىٰ ديننا؛ عبوديَّة لله، وإحسانًا للخلق بعتق رقابهم من النَّار.

قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١٢].

---

(١) إغاثة اللَّهفان (٢/ ٩١٧).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إن الكفار لا يزالون يسلطون أنفسهم على المؤمنين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ بالفعل المضارع؛ لأن المضارع يدل على الاستمرار، والحال، والاستقبال؛ فهم دائمًا في سخرية من الذين آمنوا».

وقال شيخنا المجدِّد في فوائد الآية(٢): «تثبيت المؤمنين، وترسيخ أقدامهم في إيمانهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني: اصبروا؛ فإن هذا دأبهم وشأنهم أن يسخروا منكم؛ فما دمتم تعرفون أن هذه عادة الكفار فإنَّ الإنسان يصبر».

وقال أيضًا في فوائد الآية(٣): «البشرىٰ للمؤمنين الذين اتقوا أنَّهم فوق الكفَّار يوم القيامة».

وقال تعالىٰ: ﴿۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وسَفَهُ أنواع المبطلين من الكافرين والمبتدعين يؤول شرُّه عليهم بالإثم وسوء العاقبة؛ فالسُّفهاء لهم عاجلة قليلة ثم يأخذهم الله بنكاله، وتكون عاقبة أمرهم خسرًا، قال تعالىٰ ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، وهذا ما أجاب به نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الكفَّار المستهزئين به، حيث قال لهم: ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا

---

(١) تفسير سورة البقرة (٣/ ٢٤، ٢٥).

(٢، ٣) تفسير سورة البقرة (٣/ ٢٥).

تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفِّفين: ٢٩-٣٦].

وعاقبة المستهزئين بدين الله وشرعه ووحيه وشرائعه وخيمةٌ، فقد مضت سُنَّة الله فيهم أن يعاجلهم بعقوبته، ومن أمهله الله منهم واستمرَّ به كفره؛ ازداد إثمًا وتغلَّظ عذابه، وأصابه الله بما يكفُّ شرَّه.

وعندما قال عبد الله بن أبي ابن سلول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يلبث عبد الله بن أبي إلَّا أيَّامًا قلائل حتىٰ اشتكىٰ ومات[١].

وقال أحمد بن مروان المالكي في كتاب «المجالسة» له: حدَّثنا زكريَّا بن عبد الرَّحمن البصري، قال: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنَّا عند بعض المحدِّثين بالبصرة، فحدَّثنا بحديث النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم**»، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: والله لأَقْطُرَنَّ غدًا نعلي فأطأ بها أجنحة الملائكة. ففعل، ومشىٰ في النَّعلين فجفَّت رجلاه جميعًا، ووقعت في رجليه الآكلة[٢].

---

(١) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٦٨).

(٢) مفتاح دار السَّعادة لابن القيم (١/ ١٧٢، ١٧٣).

وتُلي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المُلك: ٣٠]، عند أحد المتجبِّرين، فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول. فذهب ماء عينيه وعمي[(١)].

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة من الهجرة قَتَل أبو طاهر - وليس بطاهر - الهجري القرمطي حُجَّاجَ بيت الله في فجاج مكَّة، وفي المسجد الحرام وهم يطوفون[(٢)].

وصعد قرمطي الكعبة ليقلع الميزاب؛ فتردَّىٰ علىٰ رأسه ومات[(٣)].

وإلحاد القرامطة في الحرمين لم يصنع أحد صنيعهم، وهو من أعظم ما يكون دلالة علىٰ كفرهم، واستخفافهم بحرمة البلد الحرام، فقد قتلوا حُجَّاج بيت الله وهم يؤدُّون مناسكهم؛ قتلوهم في الشَّهر الحرام، في البلد الحرام، في يوم التَّروية الثَّامن من ذي الحجَّة، قتلوهم في فجاج وشعاب مكَّة، وفي المسجد الحرام وهم يطوفون، ودفنوهم في بئر زمزم، ودفنوا كثيرًا منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام[(٤)].

وأمر الهجري القرمطي بقلع الحجر الأسود، وأطاعه في ذلك خبيث من جنده فضربه بمثقل، وقال: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود، وأخذه القرامطة حين راحوا معهم إلىٰ بلادهم - الإحساء -،

---

(١) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ١٢٠).

(٢، ٣) المنتظم (١٣/ ٢٨١).

(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٧١)، ط/ دار زمزم - الرياض.

فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتىٰ ردُّوه[(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قد ألحد هذا اللَّعين في المسجد الحرام إلحادًا لم يسبقه إليه أحد، ولا يلحقه فيه، وسيجازيه علىٰ ذلك الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد.

وإنَّما حمل هؤلاء علىٰ هذا الصَّنيع أنَّهم كفَّار زنادقة، وقد كانوا ممالئين للفاطميين».

ثم قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قد سأل بعضهم هاهنا سؤالًا، فقال: قد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل - وكانوا نصارىٰ - ما ذكره في كتابه، ولم يفعلوا بمكة شيئًا مما فعله هؤلاء، ومعلوم أنَّ القرامطة شرٌّ من اليهود والنصارىٰ والمجوس، بل ومن عبدة الأصنام، وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد؛ فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة كما عوجل أصحاب الفيل؟ وقد أجيب عن ذلك: بأن أصحاب الفيل إنما عُوقبوا إظهارًا لشرف البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم ﷺ من البلد الذي فيه البيت الحرام، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يُراد تشريفها وإرسال الرسول منها؛ أهلكهم سريعًا عاجلًا، ولم يكن شرائع مقررة تدل علىٰ فضله، فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله.

وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع، وتمهيد القواعد،

(**١، ٢**) البداية والنهاية (١١/ ١٧١)، ط: دار زمزم - الرياض.

(**٣**) البداية والنهاية (١١/ ١٧٢، ١٧٣).

والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أنَّ هؤلاء قد ألحدوا في الحرام إلحادًا بالغًا عظيمًا، وأنهم من أعظم الملحدين الكافرين، بما تبيَّن من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ؛ فلهذا لم يحتج الحال إلىٰ معاجلتهم بالعقوبة، بل أخَّرهم الربُّ تعالىٰ ليوم تشخص فيه الأبصار، والله سبحانه يمهل ويملي، ويستدرج، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، وقال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]، وقال: ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٧٠]».

وكلَّما ظهر قرن دولة رافضيَّة تقيم مشاهد الشِّرك والأوثان، وتُقاتل في سبيل الشَّيطان؛ أقام الله من عباده الموحِّدين من يكسر قرنهم ويكفُّ شرَّهم ويدفع عدوانهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا بتوحيده وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ويُديل الله الكافرين علىٰ المؤمنين أحيانًا؛ ليستخرج بها عبودية عباده في الجهاد في سبيل الله، فإذا اغترَّ الكفَّار بتلك الإدالة وظلموا وجاروا؛ انتقم الله منهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الكفَّار إذا أديلوا يحصل لهم من الطُّغيان والعدوان وشدَّة الكفر والتَّكذيب ما يستحقُّون به المحق، ففي إدالتهم ما يمحقهم الله به».

وسنَّة الله معلومة في أخذ الظَّالمين إذا أسرفوا في ظلمهم، فإنَّه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وكان من أسباب نصر الله للمؤمنين في بعض النَّواحي، ما استجلب به الكفَّار أسباب هزيمتهم بسب رسول الله ﷺ، فانتصر الله منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «حدَّثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عمَّا جرَّبوه مرَّات متعدِّدة في حصر الحصون والمدائن التي بالسَّواحل الشاميَّة، لمَّا حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحصر الحصن أو المدينة الشَّهْرَ أو أكثر من الشَّهر، وهو ممتنع علينا، حتىٰ نكاد نيأس، إذ تعرض أهله لسبِّ رسول الله ﷺ والوقيعة في عِرْضه، فعجلنا فتحه

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ١٤٥).

(٢) الصارم المسلول (ص١١٧).

وتيسَّر ولم يكد يتأخَّر إلَّا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عَنْوَة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتىٰ إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يَقَعُونَ فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه».

والكفَّار إذا أعطاهم الله سلطانًا ومالًا وقوَّة، واغترُّوا بها، واستطالوا علىٰ الخلق ظلمًا وعدوانًا وسخرية بأنبيائه وأوليائه؛ كان ذلك إيذانًا بانتصار الله منهم، قال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

وقوم فرعون، وعاد، وثمود، اغترُّوا بقوَّتهم وأموالهم؛ فانتصر الله منهم، ففرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، وعاد قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وثمود ركنوا إلىٰ رفاهية قصورهم ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢] مغترِّين بها معرضين عن عبوديَّة الله؛ فانتقم الله منهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «تضمنت هذه السورة – الفجر – ذمَّ من اغترَّ بقوَّته وسلطانه وماله، وهم هؤلاء الأمم الثلاثة: قوم عاد اغتروا بقوَّتهم، وثمود اغتروا بجنانهم وعيونهم وزروعهم وبساتينهم، وقوم فرعون اغترُّوا بالمال والرِّياسة؛ فصارت عاقبتهم إلىٰ ما قصَّ الله علينا، وهذا شأنه دائمًا مع كلِّ من اغترَّ بشيء من ذلك، لابدَّ أنْ يُفْسِدَهُ عليه ويسْلُبَهُ إيَّاه».

---

(١) التِّبيان في أيمان القرآن (ص٤٩، ٥٠).

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ عن استهزاء الكفَّار بشعائر الإسلام، فقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله، من الكتابيين والمشركين، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة علىٰ كلِّ خير دنيوي وأخروي، يتخذونها ﴿هُزُوٗا﴾ يستهزئون بها، ﴿وَلَعِبٗا﴾ يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد».

وقال الحافظ ابن كثير أيضًا[(٢)]: «هذه صفات أتباع الشَّيطان، الذي إذا سمع الأذان أدبر، وله حصاص».

فالله عَزَّوَجَلَّ أخبر باستهزاء الكافرين بدين المسلمين وشعائره، وهذا بعض ما أظهروه من كراهة ديننا والسُّخرية بشعائره والمسلمين، وما تكنُّه صدورهم أعظم؛ فالكفر والسَّفه يصنعان العداوة والبغضاء والعدوان.

والكفَّار أنواع، أشدُّهم عداوة للإسلام والمسلمين أغلظهم كفرًا من المشركين والمغضوب عليهم اليهود الضَّالِّين، قال تعالىٰ: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢].

(١، ٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠٧).

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كيف تدعي لنفسك دينا قيما، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضىٰ بموالاة من اتخذه هزوًا ولعبا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهييج علىٰ عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنىٰ مفهوم».

وقال العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد الآية**[(٢)]: «إظهار عداوة هؤلاء الكفَّار من أهل الكتاب والكفَّار للإسلام، وأنَّ عداوتهم ظاهرة حيث كانوا يسخرون بأهله المتمسِّكين به».

وقد أخبرنا الله بأصناف الكافرين باعتبار مودَّتهم وعداوتهم لنا؛ لنعامل كل صنف بحسب حاله، فيُعامل من ألقىٰ إلينا السَّلم وكفَّ عن أذيَّتنا بما لا يعامل به من أظهر عداوته لنا وقام بأذيَّتنا وظلمنا والعدوان علينا.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٣٩).

(٢) تفسير سورة المائدة (٢/ ٦٦).

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء: ٨٨-٩١].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة - رضوان الله عليهم - فيهم اشتباه؛ فبعضهم تحرَّج عن قتالهم، وقطع معاداتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم فحكم بكفرهم؛ فأخبرهم الله تعالىٰ أنه لا ينبغي لكم أن تشتبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققتم ذلك منهم ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ٨٩]، وهذا يستلزم عدم محبتهم؛ لأن الولاية فرع المحبة.

ويستلزم أيضًا بغضهم وعداوتهم؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر مُوَقَّت بهجرتهم، فإذا هاجروا جرىٰ عليهم ما جرىٰ علىٰ المسلمين، كما كان النبيُّ ﷺ يجري أحكام الإسلام لكل مَنْ كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنًا حقيقة أو ظاهر الإيمان.

وأنهم إن لم يهاجروا، وتولوا عنها؛ ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾،

(١) تيسير الكريم الرَّحمن (ص١٨٩).

أي: في أي وقت وأي محل كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة علىٰ نسخ القتال في الأشهر الحرم؛ كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة علىٰ تقييد التحريم في الأشهر الحرم.

ثم إنَّ الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فِرَق:

فرقتين أمر بتركهم، وحتَّم علىٰ ذلك؛ إحداهما: من يصل إلىٰ قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال، فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والفرقة الثانية: قوم ﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ﴾ [النساء: ٩٠] أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضًا أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ﴾؛ فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام:

إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء؛ فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر علىٰ تسليطهم عليكم؛ فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كفَّ أيديهم عنكم مع التمكن من ذلك.

﴿فَـ﴾ هؤلاء ﴿إِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠﴾.

الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم، بقطع النظر عن احترامكم، وهم

الذين قال الله فيهم: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ [النساء: ٩١] أي: من هؤلاء المنافقين ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ أي: خوفًا منكم ﴿وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾ أي: لا يزالون مقيمين علىٰ كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن؛ أعماهم ونكسهم علىٰ رءوسهم، وازداد كفرهم ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها.

فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احترامًا لهم لا خوفًا علىٰ أنفسهم، وأما هذه الفرقة فتركوه خوفًا لا احترامًا، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين؛ فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتضاحًا عظيمًا اعتزال المؤمنين وترك قتالهم؛ فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: المسالمة والموادعة ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٩١] أي: حجَّة بيِّنة واضحة؛ لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم».

وبسبب معرفة المسلمين بأحوال وأصناف الكافرين؛ دفع الله بصنف منهم أنواعًا من الشُّرور عن المسلمين، وأمن المسلمون في ديار الكافرين من أذىٰ وعدوان طائفة المؤذين للمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخل في حكمها، تعتبره عضوًا من أعضاء المملكة، وجزء من أجزاء الحكومة، سواء كانت تلك الأمة مقتدرة بعَدَدِها أو عُدَدِها، أو مالها، أو عملها، أو خدمتها؛ فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب، الدينية والدنيوية، وتخشىٰ إن لم تفعل ذلك أن يختلَّ نظامها، وتفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصًا المساجد؛ فإنها - ولله الحمد - في غاية الانتظام، حتىٰ في عواصم الدول الكبار.

وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظرًا لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارىٰ، الذي أخبر الله أنه لا يزال إلىٰ يوم القيامة».

فالمقصود معاملة الكفار بحسب ما يقتضيه حالهم كما أمرنا الله عز وجل.

ومن سخر بدين الإسلام فقد أبان عن كفره، وعن عداوته للإسلام والمسلمين، **قال تعالىٰ:** ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٦٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا نصٌّ في أنَّ الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله ﷺ كفرٌ، فالسبُّ المقصود بطريق الأولىٰ، وقد دلَّتْ هذه الآية علىٰ أنَّ كلَّ مَنْ تَنَقَّصَ رسولَ اللهِ ﷺ جادًّا أو هازلًا فقد كفر».

وقال شيخ الإسلام[٢]: «وإنَّما لم يُقِم ﷺ الحدَّ عليهم لِكَوْنِ جهاد المنافقين لم يكن قد أُمِرَ به إذ ذاك، بل كان مأمورًا بأن يدعَ أذاهم، ولأنَّه كان له أن يعفو عمَّن تنقَّصه وآذاه».

وسابُّ النبيِّ ﷺ إن كان مسلمًا ارتدَّ بسبِّه ووجب قتله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «المرتدُّ بخروجه عن الدِّين الحقِّ بعد دخوله فيه تغلَّظ كفره، فلم يُقَرَّ عليه بوجه من الوجوه، فتحتَّم قتله إنْ لم يُسلم؛ عصمةً للدِّين».

وسبُّ النبيِّ ﷺ من أعظم الفساد في الأرض، فلا يزول إلَّا بقتل السَّابِّ، ولأنَّه متىٰ استُبْقِيَ السَّابُّ طمع في تكراره، فقتله نكال عن التعرُّض له[٤].

وقتل السَّابِّ للنبيِّ ﷺ هو من نصر رسول الله ﷺ وتعزيره وتوقيره، وهذا واجب، وترك قتله غاية في الخذلان[٥].

فالقتل لسابِّ النبيِّ ﷺ واجب متحتِّم، لا تُقبل فيه التَّوبة، ولا يجوز فيه

---

(١) الصارم المسلول (ص٣١).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٣).

(٣) الصارم المسلول (ص٢٦١).

(٤) الصَّارم المسلول (ص٢٨٥، و٣٦٦).

(٥) الصَّارم المسلول (ص٢٩٩، ٣٠٠).

العفو عن السَّابِّ؛ لأنَّه حقّ لآدميٍّ ميِّت، ولأنَّه جناية متعلِّقة بعموم المسلمين[(١)].

وسابُّ النبيِّ ﷺ إن كان كافرًا معاهدًا وجب قتله لا يفادىٰ به، ولا يُسترقُّ ولا يُمَنُّ عليه، بل يتحتَّم قتله؛ لأنَّه جناية زائدة علىٰ مجرَّد الكفر والمحاربة[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّ ناقض العهد بسبِّ النبيِّ ﷺ ونحوه حاله أغلظ من حال الحربي الأصْلِيِّ، وخروجه عمَّا عاهدنا عليه بالطعن في الدين وأذىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ومثل هذا يجب أن يعاقَب عقوبة تزجر أمثاله عن مثل حاله، والدليل عليه قوله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٧]، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ إذا صادف الناكثين للعهد في الحرب أن يشرِّد بهم غيرهم مِن الكفَّار بأن يفعل بهم ما يتفرَّق به أولئك، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[التوبة: ١٣]، فحضَّ علىٰ قتال من نكث اليمين، وهَمَّ بإخْراجِ الرسول، وبدأ بنقض العهد، ومعلومٌ أَنَّ مَنْ سبَّ الرسول ﷺ فقد فَعَلَ ما هو أعظَمُ مِنَ الهَمِّ بإخراج الرسول ﷺ وبدئنا أوَّل مرَّةٍ».

---

(١) الصَّارم المسلول (ص٤٢٧).

(٢) الصارم المسلول (ص٢٩٩).

(٣) الصارم المسلول (ص٢٨٨، ٢٨٩).

وسبُّ النبيِّ ﷺ موجب لقطع دابر السَّابِّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كلُّ مَنْ شَنَأَهُ وأبغضه وعاداه؛ فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن، تجد أُمَمَهم إنَّما أُهْلكوا حين آذوا الأنبياء، وقابلوهم بقبيح القول أو العمل، وهكذا بنو إسرائيل إنَّما ضُرِبَتْ عليهم الذِّلَّةُ، وباءوا بغضب من الله، ولم يكن لهم نصير؛ لقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ، مضمومًا إلىٰ كفرهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه.

ولعلك لا تجد أحدًا آذىٰ نبيًّا من الأنبياء، ثم لم يتب إلَّا ولابُدَّ أن تصيبه قارعةٌ».

فهذه سنَّةُ الله الكونيَّة في سَابِّ النبيِّ ﷺ، وحكم الله الشرعيُّ فيه كذلك القتل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّه سبحانه رتَّب الانْبِتَارَ علىٰ شنآنه، والاسم المشتقُّ المناسب إذا عُلِّق به حكمٌ؛ كان ذلك دليلًا علىٰ أنَّ المشتقَّ منه علَّةٌ لذلك الحكم، فيجب أن يكون شنآنه هو الموجبَ لانبتاره، وذلك أخَصُّ ممَّا تضمَّنه الشنآن من الكفر المحض أو نقض العهد.

والانبتار يقتضي وجوب قتله، بل يقتضي انقطاع العين والأثر».

وقال شيخ الإسلام(٤): «إنَّ هذا اللَّفظ - الأبتر - يُشعر بأنَّ المقصودَ

(١، ٢) الصَّارم المسلول (ص١٦٥).

(٣) الصارم المسلول (ص٤٥٧، ٤٥٨).

(٤) الصارم المسلول (ص٤٥٨).

اصْطِلَامُ صاحبه، واستئصاله، واجتياحه، وقَطْع شنآنه».

وقتل سابِّ النبيِّ ﷺ هو من إعلاء كلمة الله وإظهار دينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا الفعل - قتل السَّابِّ - منه ﷺ هو نوع من الجهاد والإغلاظ علىٰ الكافرين والمنافقين وإظهار دين الله، وإعلاء كلمته».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التوبة: ٧٣] بعد أن كان قد قال له: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، قال زيد بن أسلم: قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ نسخت ما كان قبلها».

وما ورد من نصوص القرآن بالصبر علىٰ أذىٰ الكافرين، كقوله تعالىٰ: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران:١٨٦]، لا يمنع من الانتصار من سابِّ الرسول ﷺ عند القدرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ الأمر بالصبر علىٰ أذاهم وبتقوىٰ الله؛ لا يمنع قتالهم عند المُكْنَةِ، وإقامة حدِّ الله عليهم عند القدرة؛ فإنَّه لا خلاف بين المسلمين أنَّا إذا سمعنا مشركًا، أو كتابيًّا يؤذي الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله

(١) الصارم المسلول (ص١٦٧).

(٢) الصارم المسلول (ص١٧٩).

(٣) الصارم المسلول (ص٢١٦).

ﷺ، فلا عهد بيننا وبينه بل وجب علينا أن نقاتله ونجاهده، إذا أمكن ذلك».

وسابُّ النبيِّ ﷺ كافرٌ وحَدُّه القتل، أجمع علىٰ هذا الصَّحابة والتَّابعون، وهو إجماع المسلمين(١).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعت الأمَّة علىٰ قتل متنقِّصه من المسلمين وسابِّه»(٢).

وقال الإمام إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أجمع المسلمون علىٰ أنَّ من سَبَّ الله عَزَّوَجَلَّ أو سَبَّ رسوله ﷺ، أو دفع شيئًا ممَّا أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، أو قتلَ نبيًّا من أنبياء الله عَزَّوَجَلَّ؛ أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًّا بكلِّ ما أنزل الله».

وقال الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله».

وقال العلَّامة محمَّد بن سُحْنُون رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «أجمع العلماء علىٰ أنَّ شاتم النبيِّ ﷺ والمُتَنَقِّص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمَّة القتل، ومن شكَّ في كفره وعذابه كفر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦): «إنَّ السَّابَّ إنْ كان مسلمًا فإنَّه يكفر ويُقتل بغير خلاف».

والمسلم والمعاهد السابُّ للنبيِّ ﷺ كلاهما قد أظهر نفاقه بسبِّ النبيِّ ﷺ،

(١، ٢) الصارم المسلول (ص٣).

(٣) الصارم المسلول (ص٣، ٤).

(٤، ٥، ٦) الصارم المسلول (ص٤).

فالمسلم أظهر كفره الذي كان يُبطنه، والمعاهد أظهر حربه الذي كان يتكتَّمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «النفاق قسمان:

نفاق المسلم: استبطان الكفر.

ونفاق الذِّمِّيِّ: استبطان المحاربة.

وتكلُّم المسلم بالكفر كتكلُّم الذمِّي بالمحاربة.

فمن عاهدنا علىٰ أن لا يؤذي الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ثمَّ نافق بأذىٰ الله ورسوله؛ فهو من منافقي المعاهدين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صنفي المنافقين(٢): «إنَّهما يشتركان في أذىٰ رسول الله ﷺ، وينفرد سبُّ المسلم بأنَّه يدلُّ علىٰ زندقته، وأنَّ سابَّه منافق ظَهَر نفاقه، بخلاف الذمي فإنَّه سبَّ مستندًا إلىٰ اعتقاد».

وسبُّ النبيِّ ﷺ والاستهزاء به؛ دليلٌ علىٰ الكفر به، وعدم الإيمان به، فمن أظهرَ سبَّ النبيِّ ﷺ والاستهزاء به فقد أَبَانَ عن كفره ونفاقه الاعتقادي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّه سبحانه ابتلىٰ الناس بأمور تميِّز بين المؤمنين والمنافقين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ

---

(١) الصَّارم المسلول (ص٣٩٧).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٠٧).

(٣) الصارم المسلول (ص٣٣، ٣٤).

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وذلك لأنَّ الإيمان والنفاق أصله في القلب، وإنَّما الذي يظهر من القول والفعل فرع له، ودليل عليه، فإذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتَّب الحكم عليه».

وقال شيخ الإسلام(١): «إنَّ لمزَ النَّبِيِّ ﷺ وأذاه، لا يفعله من يعتقد أنَّه رسول الله حقًّا، وأنَّه أولىٰ به من نفسه، وأنَّه لا يقول إلَّا الحقَّ، ولا يحكم إلَّا بالعدل، وأنَّ طاعته طاعة لله، وأنَّه يجب علىٰ جميع الخلق تعزيره وتوقيره، وإذا كان دليلًا علىٰ النفاق نفسه فحيثما حصل حصل النفاق».

والنِّفاق الاعتقادي شرٌّ من الكفر، وعقوبته أغلظ منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قد نطق القرآن بكفر المنافقين في غير موضع، وجعلهم أَسْوَأ حالًا من الكافرين، وأنَّهم في الدَّرْكِ الأسفل مِنَ النار، وأَنَّهم يوم القيامة يقولون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] الآية إلىٰ قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ [الحديد: ١٥]، وأمر نبيَّه في آخر الأمر؛ بأن لا يصلِّيَ علىٰ أحد منهم، وأَخْبَرَ أنَّه لن يغفر لهم، وأمره بجهادهم والإغلاظ عليهم، وأَخبر أنهم إن لم ينتهوا لَيُغْرِيَنَّ الله نبيَّه بهم حتىٰ يُقتَلُوا في كلِّ موضع».

وسبُّ النبيِّ ﷺ أصلٌ لكلِّ فسادٍ في الأرض وأعظمه.

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٥).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٦، ٣٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سابِّ النبيِّ ﷺ(١): «هو من أعظم الساعين في الأرض بالفساد، قال الله تعالىٰ في صفة المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١، ١٢]

وكلُّ ما في القرآن من ذكر الفساد - كقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وغير ذلك - فإنَّ السبَّ داخلٌ فيه، فإنَّه أصلٌ لكلِّ فسادٍ في الأرض، إذ هو إفساد للنبوَّة التي هي عماد صلاح الدين والدنيا والآخرة».

وقال شيخ الإسلام(٢): «إنَّ السعي في الأرض فسادًا، إنَّما يكونُ بإفسادٍ عامٍّ لدين الناس أو دنياهم، وهذا إنَّما يتحقَّق في الطعن في النبيِّ ﷺ».

وسبُّ النبيِّ ﷺ كفر به، وإعلان بعداوته، وعدوان علىٰ الإسلام والمسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أمَّا سبُّ النبيِّ ﷺ فإنَّه ينافي اعتقاد نبوَّته، ويستلزم البراءة منه والمعاداة له».

وقال شيخ الإسلام(٤): «ومن عاداه فقد حاربه».

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٣٩).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٨٣).

(٣، ٤) الصارم المسلول (ص٣٨٢).

وقال[١]: «إنَّ محاربة الرسول ﷺ تقتضي مشاقَّته على ما جاء به من الرِّسالة».

وسابُّ الرسول ﷺ ساعٍ في هدم الإسلام وذهاب أمره وزوال عزِّه، ومحرِّضٌ للنُّفوس الكافرة للعدوان على الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ السَّابَّ ونحوه انتهك حرمة الرسول ﷺ ونقص قدره، وآذى الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وعباده المؤمنين وأجرأ النفوس الكافرة والمنافقة على اصطلام أمر الإسلام، وطلب إذلال النفوس المؤمنة، وإزالة عز الدين؛ وإسفال كلمة الله، وهذا من أبلغ السعي فسادًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «السبُّ والشتم إفراط في العداوة، وإبلاغ في المُحَادَّةِ، مَصْدَرُه شِدَّةُ سفه الكافر، وحرصه على فساد الدين وإضرار أهله».

والرَّسول ﷺ مُبلِّغ عن الله وحيه وشرعه، فطاعته من طاعة الله الذي بعثه بالوحي، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فمن سبَّ الرسول ﷺ أو استهزأ به أو تنقَّصه؛ فقد سبَّ الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٨٢).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٨٥).

(٣) الصارم المسلول (ص٣٦٩).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «في هذا وغيره بيانٌ لتلازم الحقَّيْن، وأنَّ جهة حرمة الله تعالىٰ ورسوله جهة واحدة، فمن آذىٰ الرسول فقد آذىٰ الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله؛ لأنَّ الأمَّة لا يَصِلُون ما بينهم وبين ربِّهم إلا بواسطة الرسول ﷺ، ليس لأحدٍ منهم طريق غيره، ولا سبب سواه».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قَرَنَ أذاه بأذاه، كما قرن طاعته بطاعَته، فمن آذاه فقد آذىٰ الله تعالىٰ، وقد جاء ذلك منصوصًا عنه، ومن آذىٰ الله فهو كافر حلال الدَّمِ».

فسبُّ الرسول ﷺ سبٌّ له، ولله الذي أرسله، وللمؤمنين المتَّبعين له.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ سبَّ النبيِّ ﷺ تعلَّق به عدَّةُ حقوق: حقُّ الله سبحانه من حيث كفَرَ برسوله ﷺ وعادىٰ أفضل أوليائه، وبارزه بالمحاربة، ومن حيث طعن في كتابه ودينه؛ فإنَّ صحَّتهما موقوفة علىٰ صحَّة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته؛ فإنَّ الطعن في الرسول ﷺ طعنٌ في المرسِل

(١) الصارم المسلول (ص٤١).

(٢) الصارم المسلول (ص٤٠).

(٣) الصارم المسلول (ص٢٩٣، ٢٩٤).

وتكذيبه تكذيب لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإنكارٌ لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

وتعلَّق به حقُّ جميع المؤمنين من هذه الأمَّة ومن غيرها من الأمم، فإنَّ جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصًا أُمَّته، فإنَّ قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامَّة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوَسَاطته وسفارته؛ فالسبُّ له أعظَم عندهم من سبِّ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسبِّ جميعهم، كما أنَّه أحبُّ إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

وتعلَّق به حقُّ رسول الله ﷺ من حيث خصوص نفسه».

فالسابُّ للنبيِّ ﷺ كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فمن آمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمَّد ﷺ رسولًا؛ لا يكون منه إلَّا توقير رسول الله ﷺ، أمَّا سبُّه فهذا لا يكون إلَّا من زنديق يتكتَّم كفرَه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والرسالة لعبده ورسوله ﷺ، ثم لم يُتْبِع هذا الاعتقاد مُوجَبَهُ من الإجلال والإكرام - الذي هو حالٌ في القلب يظهر أَثَرُهُ علىٰ الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتَّسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل - كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلًا لِمَا فيه من المنفعة والصلاح؛ إذ الاعتقادات الإيمانية تُزكِّي النفوس وتصلحها، فمتىٰ لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها؛ فما ذاك إلَّا لأنَّها لم ترسَخْ في القلب،

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٦٩، ٣٧٠).

ولم تَصِرْ صفةً ونعتًا للنفس ولا صلاحًا.

وإذا لم يكن علم الإيمان المفروض صفةً لقلب الإنسان لازمةً له، لم ينفعه؛ فإنَّه يكون بمنزلة حديث النفس وخواطِرِ القلب، والنجاة لا تحصل إلَّا بيقين في القلب، ولو أنَّه مثقال ذَرَّة».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسبابَ سبِّ الكفَّار للنبيِّ ﷺ فقال[1]: «للنفوس الكافرة والمنافقة إلىٰ ذلك داعٍ: من جهة الحسد علىٰ ما آتاه الله من فضله، ومن جهة المخالفةِ في دينه، ومن جهة الانقهار تحت حكم دينه وشرعه، ومن جهة المراغمة لأمته».

وسبُّ النبيِّ ﷺ رِدَّةٌ مغلَّظة لا تُقبل فيها التَّوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ الردَّة علىٰ قسمين: ردَّة مجردة، وردَّةٌ مُغَلَّظة شرع القتل علىٰ خصوصها، وكل منهما قد قام الدليل علىٰ وجوب قتل صاحبها.

والأدلَّة الدالَّة علىٰ سقوط القتل بالتوبة لا تَعمُّ القسمين، بل إنَّما تدلُّ علىٰ القسم الأوَّل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]: «قد قامت الأدلَّة علىٰ وجوب قتل السابِّ، وأنَّه مرتدٌّ، ولم تدلَّ الأصول علىٰ أنَّ مثله يسقط عنه القتل، فيجب قتله بالدليل

(١) الصارم المسلول (ص٤٩٨).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٦٦).

(٣) الصارم المسلول (ص٣٦٧).

السالم عن المعارض».

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أخبر سبحانه أنَّ من ازداد كفرًا بعد إيمانه لن تقبل توبته، وفرق بين الكفر المزيد كفرًا، والكفر المجرَّد في قبول التوبة من الثاني دون الأول، فمن زعم أنَّ كلَّ كفر بعد الإيمان تُقْبل منه التوبة؛ فقد خالف نصَّ القرآن.

وهذه الآية إن كان قد قيل فيها: إنَّ ازدياد الكفر المُقَام عليه إلىٰ حين الموت، وإنَّ التوبة المنفيَّة هي توبته عند الغرغرة أو يوم القيامة؛ فالآية أعمُّ من ذلك.

وقد رأينا سنَّة رسول الله ﷺ فرَّقَتْ بين النوعين، فقَبِل توبةَ جماعةٍ من المرتدِّين، وأمر بقتل ابن خطل لمَّا ضمَّ إلىٰ ردَّتِهِ السبَّ وقَتْلَ المسلمِ، وأمر بقتل ابن أبي سرح، لمَّا ضَمَّ إلىٰ ردَّته الطعن عليه والافتراء».

فالمقصود أنَّ سنَّة النبيِّ ﷺ القوليَّة والفعليَّة قتل سابِّه بلا استتابة.

وكعبُ بن الأشرف اليهودي كان قد عاهد النبيَّ ﷺ وهو في المدينة، ثمَّ ذهب إلىٰ مكَّة، وعاد إلىٰ المدينة يهجو النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: **«من لكعب بن الأشرف؛ فإنَّه آذىٰ الله ورسوله»**[٢].

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٦٨)، باختصار يسير.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرَّهن في الحضر، باب رهن السِّلاح (ص٤٠٦ – رقم ٢٥١٠)، ومسلم كتاب الجهاد، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود (ص٨٠٣ – رقم ٤٦٦٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ النبيَّ ﷺ جعله ناقضًا للعهد بهجائه وأذاه بلسانه خاصَّةً».

وقال شيخ الإسلام[٢]: «إنَّ رسولَ الله ﷺ ندبَ إلىٰ قَتْله».

وكذلك سعىٰ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ في قتل مَنْ زعم أن ابن الأشرف قُتل غدرًا؛ لأنَّه سبٌّ للنبيِّ ﷺ ولحكم الله الذي حكم به.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «محمَّد بن مسلمة حَلَفَ ليقتلنَّ ابن يامين لمَّا ذكر أنَّ قَتْلَ ابنَ الأشرف كان غَدْرًا، وطلبه لقتله بعد ذلك مدةً طويلة، ولم ينكر المسلمون ذلك عليه».

وأبطلَ النبيُّ ﷺ دمَ اليهوديَّة التي كانت تشتمه، فخنقها صحابيٌّ حتىٰ ماتت، رواه أبو داود، وهو حديث جيِّد[٤].

والنبيُّ ﷺ أهدر عام الفتح دماءَ نسوة، لأجل أنَّهنَّ كُنَّ يؤذينه بألسنتهنَّ، منهنَّ القَيْنَتَانِ لابن خَطَل اللَّتان كانتا تغنِّيان بهجائه، ومولاة لبني عبد المطَّلب كانت تؤذيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «إنهنَّ لم يُقتلن لأجل حِرَاب، ولا قتال، وإنَّما قُتِلْن لمجرد السبِّ، وبيَّنا أنَّ سبهنَّ لم يجرِ مجرىٰ قتالهن، بل كان

---

(١) الصارم المسلول (ص٧٣).

(٢) الصارم المسلول (ص٧٥).

(٣) الصارم المسلول (ص٤١٩).

(٤) مختصر الصَّارم المسلول، للعلَّامة محمَّد البعلي الحنبلي (ص٥٢).

(٥) الصارم المسلول (ص٤٠٥).

أغلظ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ آمَنَ عام الفتح المقاتلة كلَّهم، إلَّا من له جُرْمٌ خاصٌّ يوجب قتله، ولأنَّ سبَّهن كان متقدِّمًا علىٰ الفتح، ولا يجوز قتل المرأة في بعض الغزوات، لأجل قتال متقدِّم منها قد كَفَّتْ عنه، وأمسكت في هذه الغزوة».

وقال شيخ الإسلام(١): «إنَّ اثنتين منهنَّ قُتِلَتَا، والثالثة أُخْفِيَتْ حتىٰ اسْتُؤْمِنَ لها النبيُّ ﷺ بعد ذلك فآمنها؛ لأنَّه كان له أن يعفو عمَّن سبَّه - كما تقدَّم -، وله أَنْ يقتله، ولم يعصم دم أحد ممَّن أُهدر دَمَه عامَ الفتح إلَّا أمانُهُ؛ فَعُلِمَ أنَّ مجرَّد الإسلام لم يعصِمْ دم هذه المرأة، وإنَّما عصم دمها عفوه».

والذمِّيَّة التي كانت تسبُّ النبيَّ ﷺ أمر بقتلها، وهذا يدلُّ علىٰ تغلُّظ حدِّ الذمِّي، فالمرأة الكافرة تُسترقُّ في الجهاد ولا تُقتل، فإذا لم يكن للسابَّة سبيل إلَّا القتل دلَّ ذلك علىٰ أنَّه أغلظ الحدود، وأنَّ حكم الذمِّيِّ السابِّ كذلك أو أولىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ النبيَّ ﷺ أهدرَ دم المرأة الذمِّيَّة التي كانت تسبُّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند الأعمىٰ الذي كان يأوي إليها».

وقال شيخ الإسلام(٣): «إنَّ قتلها يمتنع لكونها امرأة، ولكونها رقيقة لمسلم، فثبت أنَّ قتلها كان لخصوص السبِّ للنبيِّ ﷺ».

وهذا الحكم في قتل الذمِّيَّة السَّابَّة معتضد مع نصِّ قتل كعب بن الأشرف

---

(١) الصارم المسلول (ص٤٠٥).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٩٨).

(٣) الصارم المسلول (ص٣٩٩).

اليهودي، وبقيَّة أدلَّة هذه المسألة.

وهذا النصُّ الخاصُّ في قتل الذمِّيَّة دالٌّ علىٰ أنَّ سبَّ اللِّسان من أعظم العدوان والمحاربة للإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ السبَّ وإن كان من أعمال اللسان فقد دلَّت السنَّة بأنَّه بمنزلة الفساد والمحاربة بعمل الجوارح وأشدُّ؛ ولذلك قُتِلتْ هذه المرأة».

وعبد الله بن خطل قتل صحابيًّا لأنَّه لم يصنع له طعامًا أمره بصنعته، واستاق إبل الصدقة، وارتدَّ، وصار يقول الشِّعر يهجو به رسول الله ﷺ، ويأمر جاريتيه أن تغنيا به.

وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **أنَّ النبيَّ** ﷺ **عام الفتح قيل له:** ابن خطل متعلِّق بأستار الكعبة؛ فقال: «**اقتلوه**».

وكان عبد الله بن خطل دخل الكعبة مستسلمًا، فأمر النبيُّ ﷺ بقتله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ هذا التغليظ في قتله إنَّما كان لأجل السبِّ والهجاء، وأنَّ السابَّ وإن ارتَدَّ فليس بمنزلة المرتدِّ المحض يقتل قبل الاستتابة، ولا يؤخَّر قتله، وذلك دليل علىٰ جواز قتله بعد التوبة».

وقال شيخ الإسلام[٣]: «إنه – ابن خطل - كان مرتدًّا بلا خلاف بين أهل العلم بالسير، وحتم قتله بدون استتابة مع كونه مستسلمًا مُنْقادًا قد ألقىٰ السَّلَمَ

(١) الصارم المسلول (ص٤٠٠).

(٢، ٣) الصارم المسلول (ص١٣٦).

كالأسير، فعُلِمَ أَنَّ من ارتدَّ وسبَّ يُقتل بلا استتابة، بخلاف من ارتدَّ فقط.

يؤيِّده أنَّ النبي ﷺ آمَنَ عام الفتح جميع المحاربين إلَّا ذوي جرائم مخصوصة، وكان ممَّن أهدر دمه دون غيره، فعُلم أنَّه لم يُقْتل لمجرَّد الكفر والحراب».

والذي عليه عمل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والولاة من بعدهم؛ قتلُ السابِّ للرسول ﷺ من غير استتابة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «أقاويل الصحابة؛ فإنَّها نصوص في تعيين قتله، مثل قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من سبَّ الله أو أحدًا من الأنبياء؛ فاقتلوه»، فأمر بقتله عَيْنًا. ومثل قول ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أيُّما معاهد عَانَد، فسبَّ الله أو سبَّ أحدًا من الأنبياء، أو جهر به؛ فقد نقض العهد؛ فاقتلوه»، فأمر بقتل المعاهد إذا سبَّ عينًا. ومثل قول أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما كتب به إلىٰ المهاجر في المرأة التي سبَّت النبيَّ ﷺ: «لولا ما قد سبقتني فيها، لأمرتك بقتلها؛ لأنَّ حدَّ الأنبياء لا يشبه الحدود، فمن تعاطىٰ ذلك من مسلم فهو مرتدٌّ، ومعاهد فهو محارب غادر».

فبيَّن أنَّ الواجب كان قتلها عينًا، لولا فوات ذلك، ولم يجعل فيه خيرة إلىٰ الإمام، ولا سيَّما والسابَّة امرأة، وذلك وَحْدَه دليل، كما تقدَّم، ومثل قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الراهب الذي بلغه أنَّه يسبُّ النبيَّ ﷺ: «لو سمعته لقتلته»».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ فرَّقوا

---

(١) الصارم المسلول (ص٢٨٨).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٤٢).

بين السَّابِّ وبين المرتدِّ المجرَّدِ، فقتلوا الأوَّل من غير استتابة، واستتابوا الثاني وأمروا باستتابته».

والسابُّ للنبيِّ ﷺ من أئمَّة الكفر لا إيمان له، فلا يُوثق بما يُظهره من التَّوبة أو الإسلام، ولا وفاء له بعهد ولا يمين، فيتعيَّن قتله.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد قرأ ابن عامر، والحسن، وعطاء، والضحَّاك والأصمعي، وغيرُهم عن أبي عمرو: ﴿**لا إِيمَانَ لَهُمْ**﴾ بكسر الهمزة، وهي قراءة مشهورة.

وهذه الآية تدلُّ علىٰ أنَّه لا يعصم دم الطاعن إيمانٌ ولا يمينٌ ثانية.

أمَّا علىٰ قراءة الأكثرين، فإنَّ قوله: ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾؛ أي: لا وفاء بالأيمان، ومعلوم أنَّه إنَّما أراد: لا وفاء في المستقبل بيمين أخرىٰ؛ إذ عدم اليمين في الماضي قد تحقَّق بقوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾؛ فأفاد هذا أنَّ الناكث الطاعن إمامٌ في الكفر لا يُعْقَد له عَقْدٌ ثانٍ أبدًا.

وأمَّا علىٰ قراءة ابن عامر؛ فقد عُلم أنَّ الإمام في الكفر ليس له إيمان».

وقال شيخ الإسلام[٢]: «المقصود أنَّ الناكث الطاعن إمامٌ في الكفر لا يُوثق بما يُظهره من الإيمان، كما لم يوثق بما كان عَقَده من الأيمان؛ لأنَّ قوله تعالىٰ:

(١، ٢) الصارم المسلول (ص٣٩١).

﴿لَا إِيمَانَ﴾ نكرة منفيَّة بـ«لا» التي تنفي الجنس، فتقتضي نفي الإيمان عنهم مطلقًا، فثبت أنَّ الناكث الطاعن في الدِّين إمام في الكفر، لا إيمان له من هؤلاء، وأنَّه يجب قتله وإن أظهر الإيمان».

وقال شيخ الإسلام(١): «يبيِّن ذلك أنَّه قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ أي: عن النقض والطعن، كما سنقرِّره.

وإنَّما يحصل الانتهاء إذا قُوتلت الفئة الممتنعة حتىٰ تُغْلب، أو أُخذ الواحد الذي ليس بممتنع فَقُتِل؛ لأنَّه متىٰ اسْتُحِيَ بعد القدرة طمع أمثاله في الحياة؛ فلا ينتهون».

ومن بالغ في السبِّ والأذىٰ لرسول الله ﷺ فإنَّه يُقتل بأشدِّ أنواع القتل؛ لأنَّه أنكىٰ في عقوبته، وزجرًا لغيره من السفهاء عن الأذىٰ والعدوان لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ والمؤمنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّه ﷺ قتل عقبةَ بن أبي مُعَيْطٍ صبْرًا بالصفراء، وكذلك النَّضْر بن الحارث، لما كانا يؤذيانه، ويفتريان عليه، ويطعنان فيه».

وقال شيخ الإسلام(٣): «مقادير العقوبات علىٰ مقادير الجرائم».

فسابُّ النبيِّ ﷺ حدُّه القتل بلا استتابة، فإنَّ سبَّ النبيِّ تعلَّق به حقُّه وحقُّ الله، فإنَّه عندما كان حيًّا كان له أن يعفو عن حقِّه لمن جاءه تائبًا من ذلك، أمَّا بعد

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٩٢).

(٢) الصارم المسلول (ص٤٠٦).

(٣) الصارم المسلول (ص٤٢٥).

وفاته فإنه لا سبيل لنا أن نعرف عفوه عن حقِّه؛ فتحتَّم قتل السَّابِّ له.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي عَمَّنْ شتم النبيِّ ﷺ؛ يستتاب؟

قال: قد وجب عليه القتل، ولا يُستتاب، خالدُ بن الوليد قتل رجلًا شتم النبيَّ ﷺ، ولم يستتبه[(١)].

وقال أبو المواهب العكبري: يجب لقذْف النبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الحَدُّ المغلَّظُ، وهو القتل، تاب أو لم يتب، ذمِّيًّا كان أو مسلمًا[(٢)].

وقال القاضي الشَّريف أبو عليِّ بن أبي موسىٰ[(٣)]: «من سَبَّ رسول الله ﷺ قُتل ولم يُسْتتبْ، ومن سبَّه ﷺ من أهل الذمَّة قُتل وإن أسلم».

وقتل السابِّ للنبيِّ ﷺ حدًّا هو مصلحة للإسلام والدِّين وللمؤمنين وللسابِّ أيضًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «يشتمل الحدُّ مع التوبة علىٰ مصلحتين عظيمتين:

مصلحة زجر النفوس عن مثل تلك الجريمة، وهي أهمُّ المصلحتين؛ فإنَّ الدنيا في الحقيقة ليست دار كمال الجزاء، وإنَّما كمال الجزاء في الآخرة، وإنَّما الغالب في العقوبات الشرعيَّة الزَّجْر والنكال، وإن كان فيها مقاصد أُخَر، كما أنَّ

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٠٠).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٠٢).

(٣) الصارم المسول (ص٣٠٣).

(٤) الصارم المسلول (ص٤٣٢).

غالب مقصود العِدَّة براءة الرحم، وإن كان فيها مقاصد أُخَر؛ ولهذا كانت هذه المصلحة مقصودةً في كلِّ عقوبة مشروعة.

والمصلحة الثانية: تطهير الجاني، وتكفير خطيئته، إن كان له عند الله خير أو عقوبة، والانتقام منه إن لم يكن كذلك».

أمَّا بالنسبة للفرق بين سبِّ الله عَزَّوَجَلَّ وسبِّ رسوله ﷺ؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الخالق سبحانه لا تلحقه مَعَرَّة ولا غضاضة بذلك، فإنَّه منزَّه عن لحوق المنافع والمضارِّ، كما قال سبحانه فيما يرويه عنه رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يا عبادي إنَّكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»، وإذا كان سبُّ النبيِّ ﷺ قد يؤثِّر انتقاصه في النفوس، وتلحقه بذلك مَعَرَّةٌ وضَيم، وربَّما كان سببًا للتنفير عنه، وقلَّةِ هَيْبته، وسقوط حُرْمته؛ شُرعت العقوبة علىٰ خصوص الفساد الحاصل بسببه، فلا تسقط بالتوبة كالعقوبة علىٰ جميع الجرائم. وأمَّا سابُّ الله سبحانه فإنَّه يضرُّ نفسه بمنزلة الكافر والمرتدِّ، فمتىٰ تاب زال ضرر نفسه فلا يُقتل».

وقال شيخ الإسلام(٢): «إنَّ سبَّ الله حقٌّ مَحْضٌ لله، وذلك يسقط بالتوبة؛ كالزنىٰ والسرقة وشرب الخمر، وسَبَّ النبيِّ ﷺ فيه حقَّان: لله، وللعبد، فلا يسقط حقُّ الآدمي بالتوبة».

---

(١) الصارم المسلول (ص٤٩٧).

(٢) الصارم المسلول (ص٤٩٦).

وقال شيخ الإسلام أيضًا(١): «إنَّ سبَّ النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حدٌّ وجب لسبِّ آدميٍّ ميِّت لم يُعلَم أنَّه عفا عنه، وذلك لا يسقط بالتوبة، بخلاف سبِّ الله تعالىٰ، فإنَّه قد عُلم أنَّه قد عفا عمَّن سَبَّه إذا تاب».

والمؤذي لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ملعونٌ في الدنيا والآخرة، وهذا هو الكافر.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّه لعنهم في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم عذابًا مهينًا، واللَّعْنُ: الإبعاد عن الرحمة، ومَنْ طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلَّا كافرًا، فإنَّ المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات، ولا يكون مباح الدَّم؛ لأنَّ حَقْنَ الدم رحمةٌ عظيمة من الله، فلا يثبت في حقِّه».

ومن عقوبات الدُّنيا للمؤذين لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ قتلهم؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب: ٦١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إنَّ أَخْذَهم وتقتيلهم - والله أعلم - بيان صفة لعنهم، وذكر لحكمه، فلا موضع له من الإعراب، وليس بحالٍ ثانية؛ لأنَّهم إذا جاوروه ملعونين، ولم يظهر أثر لعنهم في الدنيا، لم يكن في ذلك وعيدٌ

---

(١) الصارم المسلول (ص٤٩٨).

(٢) الصارم المسلول (ص٤١).

(٣) الصارم المسلول (٤١، ٤٢).

لهم، بل تلك اللعنة ثابتة قبل هذا الوعيد وبعده، فلا بُدَّ أن يكون هذا الأَخْذُ والتقتيل من آثار اللعنة التي وُعِدُوها، فيثبت في حقِّ من لعنه الله في الدنيا والآخرة.

ويؤيِّده قول النبيِّ ﷺ: «**لَعْنُ المؤمنِ كَقَتْلِهِ**» متفق عليه، فإذا كان الله قد لعن هذا في الدنيا والآخرة فهو كقتله؛ فعُلم أنَّ قتله مباح».

وسنَّةُ النبيِّ ﷺ الفعلية تؤكِّد هذا وتُوضِّحه، فكعب بن الأشرف كان من لعنته أن قُتل؛ لأنَّه كان يؤذي الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ[(١)].

ولا يُعترض علىٰ هذا الاستدلال لِوُرود بعض نصوص القرآن والسنَّة بلعن من لا يجوز قتله، ففرق بين من وُجد في حقِّه اللعن المؤبَّد في الدُّنيا والآخرة الذي قام الدَّليل علىٰ وجوب قتله في الدُّنيا، ومن وُجد في حقِّه لعنٌ غير مؤبَّد لم يُنصَّ فيه علىٰ قتله.

والوعيد بالكفر والقتل للمؤذي للرَّسول ﷺ هو لمن قصد ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إذا قصد أذاه، وكان ممَّا يؤذيه، وصاحبه يعلم أنَّه يؤذيه، وأقدم عليه مع استحضاره هذا العلم؛ فهذا الذي يُوجبُ الكفر وحبوط العمل».

وما وقع من الأفعال التي باعثها الفرح بالنبيِّ ﷺ، الذي هو من أسباب الإيمان به والانتفاع بعلومه، من غير قصد إيذائه ولا انتقاصه قولًا ولا فعلًا، وإنْ كان فيها نوع أذىً للنبيِّ ﷺ؛ فإنَّ ذلك لا يوجب وعيد اللعنة ولا القتل.

---

(١) الصارم المسلول (ص٤٢).

(٢) الصارم المسلول (ص٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فإنَّ المؤذي له هنا إطالتهم الجلوس في المنزل، واستئناسهم للحديث؛ لأنهم آذوا النبيَّ ﷺ، والفعل إذا آذىٰ النبيَّ ﷺ من غير أن يَعْلَم صاحبه أنَّه يؤذيه ولم يقصد صاحبه أذاه؛ فإنَّه يُنهىٰ عنه، ويكون معصية».

وما وقع من سوء الأدب في الألفاظ؛ من عثرات اللِّسان لا عن نفاق اعتقاد، ولا زندقة؛ فهذا حكمه يختلف عمَّن قصد السبَّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «السبُّ قد يكون غلطًا من المسلم لا اعتقادًا، فإن تاب منه قُبلت توبته؛ إذ هو عَثْرَةُ لسان وسوء أدب أو قلَّة علم».

ومن أنواع ذلك سبُّ الدَّهر، فهذا يقع من بعض المسلمين جهلًا، لا يقصدون به سبَّ الله، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَه يعتقد أو يقول: إنَّ فاعل ذلك هو الدهر الذي هو الزمان؛ فيسبه، وفاعل ذلك إنَّما هو الله سبحانه، فيقع السبُّ عليه من حيث لم يعتمده المرء، وإلىٰ هذا أشار النبيُّ ﷺ بقوله: «**لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فإنَّ الله هو الدهر، بيده الأمر**».

وقوله فيما يرويه عن ربِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: «**يا ابن آدم تسبُّ الدهر، وأنا الدهر**

---

(١) الصارم المسلول (ص٥٨، ٥٩).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٠٧).

(٣) الصارم المسلول (ص٥٦٢، ٤٩٥).

بيدي الأمر، أقلِّبُ الليل والنهار»، فقد نهىٰ رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن هذا القول وحرَّمه، ولم يذكر كفرًا ولا قتلًا، والقول المحرَّم يقتضي التعزير والتنكيل».

ومعنىٰ قول الفقهاء: سابُّ النبيِّ ﷺ لا تُقبل توبته؛ أي أنَّها لا تمنع إقامة حدِّ القتل عليه، وأمَّا نفعها له في الآخرة؛ فهذا إلىٰ الله.

فالتَّوبة لا تَدْرَأُ حدَّ القتل عن سابِّ النبيِّ ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «مرادهم بأَنَّه لا تُقبل توبته؛ أنَّ القتل لا يسقط عنه بالتوبة.

والتوبة اسم جامع للرجوع عن السبِّ بالإسلام، وبغيره، فلذلك أتَوْا بها، وأرادوا أنَّه لو رجع عن السبِّ بالإسلام، أو بالإقلاع عن السبِّ والعود إلىٰ الذِّمَّة إن كان ذميًّا؛ لم يسقط عنه القتل».

فالمقصود أنَّ توبة ساب النبي ﷺ بينه وبين الله في محو إثمه، ولا تعصم دمه بعد وفاة النبيِّ ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ الذي عصم دمه - السَّابُّ في عهد النبيِّ ﷺ - عَفْوُ رسول الله ﷺ، لا مجرَّد إسلامه، وأنَّ بالإسلام والتوبة انمحىٰ الإثم، وبعفو رسول الله ﷺ احتقن الدم، والعفو بطل بموته ﷺ، وليس للأمَّة أن يعفوا عن حقِّه».

---

(١) الصارم المسلول (ص٣٠٢).

(٢) الصارم المسلول (ص٣٤١).

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السَّابِعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ؛ كَفَرَ.
وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الشَّـرْح:

يُطْلَقُ السِّحْرُ عَلَى الصَّرْفِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ[(١)]: «جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وَالْعَرَبُ تُطْلِقُ لَفْظَ السِّحْرِ عَلَى الصَّرْفِ، تَقُولُ: مَا سَحَرَكَ عَنْ كَذَا؟ أَيْ: مَا صَرَفَكَ عَنْهُ؟».

وَيُطْلَقُ السِّحْرُ عَلَى مَا خَفِيَ سَبَبُهُ وَلَطُفَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٧]، فَسُمِّيَ الْوَقْتُ الَّذِي قَبْلَ الْفَجْرِ بِالسَّحَرِ؛ لِخَفَائِهِ، فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَسُمِّيَ السُّحُورُ سُحُورًا؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ خَفِيًّا آخِرَ اللَّيْلِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي[(٣)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة (ص٩٢٠ - رقم ٥١٤٦).

(٢) فتح الباري (٩/ ٢٠٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ص٧٥٦ - رقم ٤٤٥٠)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (١٧٠٢ - رقم ٦٢٩٢).

أَمَّا حُكْمُ السَّاحِرِ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى كُفْرَهُ مُطْلَقًا، وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ:

١- **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٠٢]. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سُلَيْمَانَ لَوْ كَانَ سَاحِرًا - وَحَاشَاهُ مِنْ ذَلِكَ - لَكَانَ كَافِرًا.

٢- **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٠٢]. فَهَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي كُفْرِ مُعَلِّمِ السِّحْرِ.

٣- **وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ:** ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٠٢].

٤- **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٠٢]. فَهُنَا نَفَى عَنْهُ الْخَلَاقَ الْمُطْلَقَ (أَيِ: النَّصِيبَ الْمُطْلَقَ)، وَنَفْيُ النَّصِيبِ فِي الْآخِرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْكَافِرِ.

٥- **وَقَوْلُهُ فِي آخِرِ الْآيَةِ:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٠٣]، وَالْإِيمَانُ يُقَابِلُ الْكُفْرَ.

٦- **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

فَنَفَى جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْفَلَاحِ عَنِ السَّاحِرِ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِالتَّعْمِيمِ فِي الْأَمْكِنَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾. وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى كُفْرِهِ؛ **لِأَنَّ الْفَلَاحَ لَا يُنْفَى بِالْكُلِّيَّةِ نَفْيًا عَامًّا إِلَّا عَمَّنْ**

لَا خَيْرَ فِيهِ، وَهُوَ الْكَافِرُ[(١)].

٧- وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ[(٢)]: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

٨ - وَبِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ[(٣)]: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ».

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الِاسْتِفْصَالِ، فَلَمْ يُطْلِقِ الْقَوْلَ بِتَكْفِيرِهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٥)]: «عَمَلُ السِّحْرِ حَرَامٌ، وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ، وَقَدْ عَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ كُفْرًا، وَمِنْهُ مَا لَا يَكُونُ كُفْرًا بَلْ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً، فَإِنْ كَانَ فِيهِ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الْكُفْرَ فَهُوَ كُفْرٌ، وَإِلَّا فَلَا».

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الْأَمِينِ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٦)]: «التَّحْقِيقُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ السِّحْرَ نَوْعَانِ كَمَا تَقَدَّمَ: مِنْهُ مَا هُوَ كُفْرٌ، وَمِنْهُ مَا لَا

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٧٩).

(٢) رواه النسائي (٧/ ١١٢ - رقم ٤٠٧٩) وفيه علتان:

الأولى: الانقطاع بين الحسن البصري وأبي هريرة. **الثانية**: عباد بن ميسرة لين الحديث.

(٣) رواه البزار بواسطة تفسير القرآن العظيم، وقال الحافظ ابن كثير فيه (١/ ١٤٣): إسناد صحيح.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٢٨٤).

(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٢٤).

(٦) أضواء البيان (٤/ ٤٩٧).

يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ الْكُفْرَ».

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الصَّالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فَمَنْ كَانَ سِحْرُهُ بِوَاسِطَةِ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُ يَكْفُرُ، وَمَنْ كَانَ سِحْرُهُ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْعَقَاقِيرِ وَنَحْوِهَا فَلَا يَكْفُرُ، وَلَكِنْ يُعْتَبَرُ عَاصِيًا مُتَعَدِّيًا».

قَتْلُ السَّاحِرِ:

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي السَّاحِرِ: هَلْ يُقْتَلُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِهِ لِلسِّحْرِ وَاسْتِعْمَالِهِ لَهُ، أَوْ لَا؟

فَقَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ: يُقْتَلُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِهِ لِلسِّحْرِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يُقْتَلُ إِذَا قَتَلَ بِسِحْرِهِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُقْتَلُ إِذَا تَكَرَّرَ مِنْهُ ذَلِكَ[٢].

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وَكَذَلِكَ قَدْ قِيلَ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ يُقْتَلُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ جُنْدَبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا: «إِنَّ حَدَّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَعَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَحَفْصَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - مِثْلُهُ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لِأَجْلِ الْكُفْرِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِأَجْلِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ. لَكِنَّ جُمْهُورَ هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ قَتْلَهُ حَدًّا، وَكَذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُعَزَّرُ بِالْقَتْلِ فِيمَا تَكَرَّرَ مِنَ

(١) القول المفيد (٢/ ٦).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٤٩٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٤٦، ٣٤٧).

الْجَرَائِمِ إِذَا كَانَ جِنْسُهُ يُوجِبُ الْقَتْلَ، كَمَا يُقْتَلُ مَنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ اللُّوَاطُ، أَوِ اغْتِيَالُ النُّفُوسِ لِأَخْذِ الْمَالِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَدْ يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْمُفْسِدَ مَتَى لَمْ يَنْقَطِعْ شَرُّهُ إِلَّا بِقَتْلِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَرْفَجَةَ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ**». وَفِي رِوَايَةٍ: «**سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**».

وَكَذَلِكَ قَدْ يُقَالُ فِي أَمْرِهِ بِقَتْلِ شَارِبِ الْخَمْرِ فِي الرَّابِعَةِ، بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ عَنْ دَيْلَمٍ الْحِمْيَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضٍ نُعَالِجُ بِهَا عَمَلًا شَدِيدًا، وَإِنَّا نَتَّخِذُ شَرَابًا مِنَ الْقَمْحِ نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى أَعْمَالِنَا، وَعَلَى بَرْدِ بِلَادِنَا. فَقَالَ: «**هَلْ يُسْكِرُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَاجْتَنِبُوهُ**». قُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ غَيْرُ تَارِكِيهِ. قَالَ: «**فَإِنْ لَمْ يَتْرُكُوهُ فَاقْتُلُوهُمْ**». وَهَذَا لِأَنَّ الْمُفْسِدَ كَالصَّائِلِ، فَإِذَا لَمْ يَنْدَفِعِ الصَّائِلُ إِلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ».

وَأَمَّا سَاحِرُ أَهْلِ الْكِتَابِ فَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ يُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ السَّاحِرُ الْمُسْلِمُ، وَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ: لَا يُقْتَلُ؛ لِقِصَّةِ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ.

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ **أَنَّهُ قَالَ فِي الذِّمِّيِّ**: يُقْتَلُ إِنْ قَتَلَ

بِسِحْرِهِ[١].

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وَأَظْهَرُ الْأَقْوَالِ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَا يَكُونُ أَشَدَّ حُرْمَةً مِنْ سَاحِرِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ يُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ سَاحِرُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا عَدَمُ قَتْلِهِ ﷺ لِابْنِ الْأَعْصَمِ فَقَدْ بَيَّنَتِ الرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ أَنَّهُ تَرَكَ قَتْلَهُ؛ اتِّقَاءَ إِثَارَةِ فِتْنَةٍ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ لِقَتَلَهُ.

وَقَدْ تَرَكَ قَتْلَ الْمُنَافِقِينَ؛ لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ: مُحَمَّدٌ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ تَنْفِيرٌ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ مَعَ اتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ عَلَى قَتْلِ الزِّنْدِيقِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُنَافِقِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ».

سِحْرُ النَّبِيِّ ﷺ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ:** سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ. حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا فَعَلَهُ[٣].

وَلِأَهْلِ الْبِدَعِ فِي رَدِّهِ وُجُوهٌ:

(١) أَنَّهُ خَبَرُ آحَادٍ لَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ.

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٩٥، ٤٩٦).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٥١١، ٥١٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب السحر (ص١٠١٧ - رقم ٥٧٦٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب السحر (ص٩٧١ - رقم ٥٧٠٣) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أَنَّهُ يُنَافِي الْعِصْمَةَ، وَيُشَكِّكُ فِي النُّبُوَّةِ.

(٣) **أَنَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلَ الْكُفَّارِ:** ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٤٧].

(٤) **أَنَّهُ يُنَاقِضُ قَوْلَهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٧].

وَالرَّدُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ: أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِخَبَرِ الْآحَادِ: فَقَدِ انْعَقَدَ الدَّلِيلُ عَلَى حُجِّيَّتِهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَعَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْإِجْمَاعِ، وَعَمَلِ الصَّحَابَةِ.

أَمَّا الْقُرْآنُ:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الْحُجُرَاتُ: ٦]. فَمَفْهُومُهُ أَنَّ خَبَرَ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ بَيَانٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٖ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٢].

وَالطَّائِفَةُ: اثْنَانِ فَصَاعِدًا. قَالَهُ عَطَاءٌ، وَقَوَّاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ(١)، وَالِاثْنَانِ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ أَقْسَامِ الْآحَادِ، هَذَا وَجْهٌ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي هُوَ أَنَّهُ قَدْ يَنْفِرُ وَاحِدٌ فَيُنْذِرُ قَوْمَهُ.

أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ...﴾ [الْقَصَصُ: ٢٠، ٢١].

فَقَبِلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَبَرَ الْوَاحِدِ، وَلَمْ يَقُلْ: خَبَرُكَ خَبَرُ آحَادٍ، لَا أَحْتَجُّ بِهِ

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٣٤).

حَتَّى يَتَوَاتَرَ.

أَمَّا السُّنَّةُ: فَمِنَ الْقَوْلِيَّةِ: حَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ؛ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ**»(١).

وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ الْفِعْلِيَّةِ: فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْعَثُ آحَادَ رُسُلِهِ؛ لِتَبْلِيغِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْأَحْكَامِ، وَيَحْصُلُ بِذَلِكَ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ، كَمَا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ(٢) وَكَمَا بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نَجْرَانَ(٣).

وَأَمَّا عَمَلُ الصَّحَابَةِ: فَكَثِيرٌ جِدًّا، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ(٤): «بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ. فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ».

وَكَذَلِكَ لَمَّا خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْجُنْدِ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا بَلَغَ سَرْغَ شَاوَرَ الصَّحَابَةَ فِي أَمْرِ الطَّاعُونِ الَّذِي وَقَعَ بِالشَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «**رب مُبلغ أوعىٰ من سامع**» (ص١٦ - رقم ٦٧)، ومسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء (ص٧٤٣ - رقم ٤٣٨٣) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسىٰ ومعاذ إلىٰ اليمن (ص٧٣٦ - رقم ٤٣٤٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلىٰ الشهادتين (ص٣١ - رقم ١٢١)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (ص٧٤٣ - رقم ٤٣٨٠)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد (ص١٢٤٨ - رقم ٧٢٥١).

عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ(١): «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ(٢): «وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِعْمَالِ خَبَرِ الْوَاحِدِ وَقَبُولِهِ، وَإِيجَابِ الْعَمَلِ بِهِ، **وَهَذَا هُوَ أَوْضَحُ وَأَقْوَى مَا نَرَى مِنْ جِهَةِ الْآثَارِ فِي قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي جَمَاعَةِ الصَّحَابَةِ وَبِمَحْضَرِهِمْ**، فِي أَمْرٍ قَدْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَقُلْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنْتَ وَاحِدٌ. وَالْوَاحِدُ لَا يَجِبُ قَبُولُ خَبَرِهِ، إِنَّمَا يَجِبُ قَبُولُ خَبَرِ الْكَافَّةِ، مَا أَعْظَمَ ضَلَالَ مَنْ قَالَ بِهَذَا!».

أَمَّا الإِجْمَاعُ فَمِنْ جِهَتَيْنِ:

الْجِهَةُ الْأُولَى: إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ(٣): «ذَهَبَ الْقَاشَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِخَبَرِ الْآحَادِ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ: لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ إِلَّا بِخَبَرِ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا. وَقَالَ غَيْرُهُ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ: لَا يَجُوزُ الْعَمَلُ إِلَّا بِخَبَرِ أَرْبَعَةٍ.

وَالَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْفُقَهَاءِ - أَنَّهُ يَجِبُ الْعَمَلُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يُذكر في الطاعون (ص١٠١٢ - رقم ٥٧٢٩)، ومسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها (ص٩٨٣ - رقم ٥٧٨٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) التمهيد (٨/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٣) إحكام الفصول ص (٣٣٤).

بِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ **إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ** عَلَى صِحَّةِ الْعَمَلِ بِهِ».

الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ، قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٤٦٣هـ)(١): «وَعَلَى الْعَمَلِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ كَانَ كَافَّةُ التَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْخَالِفِينَ فِي سَائِرِ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا».

وَقَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ عَلَى الِاحْتِجَاجِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ وَوُجُوبِ الْعَمَلِ بِهِ، وَدَلَائِلُهُ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ - أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ».

وَكَذَلِكَ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى تَلَقِّي الصَّحِيحَيْنِ بِالْقَبُولِ، وَالصَّحِيحَانِ مَلِيئَانِ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ، بَلْ إِنَّ الْبُخَارِيَّ عَقَدَ فِي صَحِيحِهِ كِتَابًا خَاصًّا لِحُجِّيَّةِ خَبَرِ الْآحَادِ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ أَوَّلَ حَدِيثٍ فِيهِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ». حَدِيثُ آحَادٍ، وَآخِرَ حَدِيثٍ فِيهِ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ**». حَدِيثُ آحَادٍ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَحْكَامِ وَالْعَقَائِدِ، فَمَنْ قَالَ بِالْفَرْقِ فَقَدْ تَحَكَّمَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، فَكُلُّ شَرْعٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بَلْ إِنَّ الْأَحْكَامَ لَهَا تَعَلُّقٌ بِالْعَقِيدَةِ مِنْ وَجْهٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْتَقِدَ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ مَا حَكَمَ بِهِ الرَّبُّ مِنْ حِلٍّ أَوْ حُرْمَةٍ مَعَ انْشِرَاحِ صَدْرٍ لَهُ،

(١) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (١/ ١٢٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٤/ ١٣١).

وَإِذْعَانٍ وَتَسْلِيمٍ لِلْحُكْمِ.

وَقَدْ رَدَّ أَقْوَامٌ خَبَرَ الْوَاحِدِ فِي الْعَقِيدَةِ دُونَ الْأَحْكَامِ، وَهَذَا عُدُولٌ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ(١): «وَكُلُّهُمْ يَدِينُ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ فِي الِاعْتِقَادَاتِ، **وَيُعَادِي وَيُوَالِي عَلَيْهَا**، وَيَجْعَلُهَا شَرْعًا وَدِينًا فِي مُعْتَقَدِهِ، عَلَى ذَلِكَ جَمَاعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «اعْلَمْ أَنَّ التَّحْقِيقَ الَّذِي لَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْهُ أَنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ الصَّحِيحَةَ كَمَا تُقْبَلُ فِي الْفُرُوعِ تُقْبَلُ فِي الْأُصُولِ، فَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - يَجِبُ إِثْبَاتُهُ وَاعْتِقَادُهُ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِكَمَالِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ عَلَى نَحْوِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.
[الشُّورَى: ١١]

وَبِهَذَا تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَطْبَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تُقْبَلُ فِي الْعَقَائِدِ، وَلَا يَثْبُتُ بِهَا شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ زَاعِمِينَ أَنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَنَّ الْعَقَائِدَ لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الْيَقِينِ - بَاطِلٌ، لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

وَيَكْفِي مِنْ ظُهُورِ بُطْلَانِهِ أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ رَدَّ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ

(١) التمهيد (١/ ٨).

(٢) مذكرة في أصول الفقه، ص(١٠٤، ١٠٥).

ﷺ بِمُجَرَّدِ تَحْكِيمِ الْعَقْلِ».

وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ رَدِّ الْمُبْتَدِعَةِ لِخَبَرِ الْآحَادِ هُوَ صَرْفُ النَّاسِ عَنِ الْمَنْقُولِ إِلَى الْمَعْقُولِ، وَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ مُرَادُهُمْ مِنَ الشَّغَبِ النَّاسَ وَتَضْلِيلِهِمْ وَصَرْفِهِمْ إِلَى أَهْوَائِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ قَلِيلَةٌ جِدًّا، وَإِذَا رَدَّ النَّاسُ أَحَادِيثَ الْآحَادِ فَقَدْ رَدُّوا جُلَّ السُّنَّةِ، وَأَفْسَدُوا بِذَلِكَ الْقُرْآنَ وَالْإِسلَامَ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَحْتَاجُ إِلَى السُّنَّةِ؛ لِبَيَانِ مُجْمَلِهِ، وَتَخْصِيصِ عَامِّهِ، وَتَقْيِيدِ مُطْلَقِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهِ بِدُونِ السُّنَّةِ الَّتِي عَامَّةُ أَحَادِيثِهَا أَخْبَارُ آحَادٍ.

قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قَوْلُهُمْ: إِنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تُقْبَلُ فِيمَا طَرِيقُهُ الْعِلْمُ، **وَهَذَا رَأْسُ شَغَبِ الْمُبْتَدِعَةِ** فِي رَدِّ الْأَخْبَارِ، وَطَلَبِ الدَّلِيلِ مِنَ النَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ».

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أَيْضًا**[2]: «وَإِنَّمَا هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي يَذْكُرُ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ بِحَالٍ، ولَا بُدَّ مِنْ نَقْلِهِ بِطَرِيقِ التَّوَاتُرِ؛ لِوُقُوعِ الْعِلْمِ بِهِ - **شَيْءٌ اخْتَرَعَتْهُ الْقَدَرِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ**، وَكَانَ قَصْدُهُمْ مِنْهُ رَدَّ الْأَخْبَارِ، وَتَلَقَّفَهُ مِنْهُمْ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ فِي الْعِلْمِ وَقَدَمٌ ثَابِتٌ، وَلَمْ يَقِفُوا عَلَى مَقْصُودِهِمْ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ».

أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ سِحْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَقْدَحُ فِي ذَلِكَ، فَلَمْ

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢١٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢١٥).

يُؤَثِّرِ السِّحْرُ فِي عَقْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا فِي تَبْلِيغِهِ الْوَحْيَ - حَاشَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ - وَغَايَةُ تَأْثِيرِ السِّحْرِ إِنَّمَا كَانَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِبَشَرِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ كَسَائِرِ الْبَشَرِ فِي هَذَا، يَعْتَرِيهِ الْمَرَضُ كَمَا يَعْتَرِيهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٣٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الْكَهْفُ: ١١٠]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٨٠].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ(١): «فَاعْلَمْ - وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ - أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ طَعَنَتْ فِيهِ الْمُلْحِدَةُ، وَتَدَرَّعَتْ بِهِ لِسُخْفِ عُقُولِهِمْ وَتَلْبِيسِهَا عَلَى أَمْثَالِهَا إِلَى التَّشْكِيكِ فِي الشَّرْعِ، وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ الشَّرْعَ وَالنَّبِيَّ عَمَّا يُدْخِلُ فِي أَمْرِهِ لَبْسًا، وَإِنَّمَا السِّحْرُ مَرَضٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَعَارِضٌ مِنَ الْعِلَلِ، يَجُوزُ عَلَيْهِ كَأَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ مِمَّا لَا يُنْكَرُ، وَلَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِ.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ أَنَّهُ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ - فَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ دَاخِلَةً فِي شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِهِ أَوْ شَرِيعَتِهِ، أَوْ يَقْدَحُ فِي صِدْقِهِ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ وَالْإِجْمَاعِ عَلَى عِصْمَتِهِ مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا هَذَا فِيمَا يَجُوزُ طُرُوءُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ الَّتِي لَمْ يُبْعَثْ بِسَبَبِهَا، وَلَا فُضِّلَ مِنْ أَجْلِهَا، وَهُوَ فِيهَا عُرْضَةٌ لِلْآفَاتِ كَسَائِرِ

---

(١) الشفا (٢/ ٨٦٦).

الْبَشَرِ، فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِهَا مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ثُمَّ يَنْجَلِي عَنْهُ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٤٧]. فَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ ﷺ مَسْحُورٌ (أَيْ: مَطْبُوبٌ)، قَدْ خَبَلَهُ السِّحْرُ، فَاخْتَلَّ عَقْلُهُ، فَالْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ صِدِّيقُ حَسَنِ خَانَ[1]: «فَالْمُرَادُ بِالسِّحْرِ هُنَا لَازِمُهُ، وَهُوَ اخْتِلَالُ الْعَقْلِ».

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رَادًّا عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ[2]: «وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَّسْحُورًا﴾ رَاجِعَةٌ إِلَى دَعْوَاهُمُ اخْتِلَالَ عَقْلِهِ بِالسِّحْرِ أَوِ الْخَدِيعَةِ أَوْ كَوْنِهِ مُبَشَّرًا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا دَلِيلَ فِي الْآيَةِ عَلَى مَنْعِ بَعْضِ التَّأْثِيرَاتِ الْعَرَضِيَّةِ الَّتِي لَا تَعَلُّقَ لَهَا بِالتَّبْلِيغِ وَالتَّشْرِيعِ كَمَا تَرَى، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى».

فَالْحَاصِلُ أَنَّ دَعْوَى الْمُشْرِكِينَ الْكَاذِبَةَ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُخْتَلُّ الْعَقْلِ، مَسْحُورٌ) - لَا تُبْطِلُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُحِرَ؛ لِأَنَّ السِّحْرَ لَمْ يُؤَثِّرْ فِي عَقْلِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٦٧]، فَالْمُرَادُ بِالْعِصْمَةِ هُوَ الْعِصْمَةُ مِنَ الْقَتْلِ، فَلَا يُرَدُّ كَوْنُهُ أُوذِيَ، أَوْ أَنَّ الْأَذَى كَانَ قَبْلَ نُزُولِ الْآيَةِ[3].

---

(١) فتح البيان (٦/ ٤٢٠).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٥١١).

(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٩٣).

قَالَ الْمُهَلَّبُ[(١)]: «صَوْنُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيَاطِينِ لَا يَمْنَعُ إِرَادَتَهُمْ كَيْدَهُ، فَقَدْ مَضَى فِي الصَّحِيحِ أَنَّ شَيْطَانًا أَرَادَ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، فَأَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُ، فَكَذَلِكَ السِّحْرُ مَا نَالَهُ مِنْ ضَرَرِهِ مَا يُدْخِلُ نَقْصًا عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ مَا كَانَ يَنَالُهُ مِنْ ضَرَرِ سَائِرِ الْأَمْرَاضِ مِنْ ضَعْفٍ عَنِ الْكَلَامِ، أَوْ عَجْزٍ عَنْ بَعْضِ الْفِعْلِ، أَوْ حُدُوثِ تَخَيُّلٍ لَا يَسْتَمِرُّ، بَلْ يَزُولُ، وَيُبْطِلُ اللَّهُ كَيْدَ الشَّيَاطِينِ».

هَلِ السِّحْرُ يَقْلِبُ الأَعْيَانَ أَمْ هُوَ تَخْيِيلٌ؟:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طَهَ: ٦٦].

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَجِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَمْرَ السَّحَرَةِ فِي أَفَاعِلِهِمْ مِنْ تَغْيِيرِ خَلْقِ الصُّوَرِ - تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةٌ[(٣)]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى تَغْيِيرِ الصُّوَرِ وَتَحْوِيلِهَا عَمَّا خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى غَيْرِهَا - فَقَدْ كَفَرَ، لِمُسَاوَاتِهِمْ بِأَفْعَالِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ حَيْثُ قَالَ لَهُ: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

(٢) نكت القرآن الدالة على البيان (٢/ ٢٨٩).

(٣) سيأتي التعليق عليه في الصفحة التي تليه.

[الْبَقَرَةُ: ٢٥٨]. فَلَجَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾. فَبُهِتَ حِينَئِذٍ؛ إِذْ مَا لَه مُعَوِّزٌ عِنْدَهُ».

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وَالسِّحْرُ حِيَلٌ وَتَخْيِيلٌ لَا يُحِيلُ طَبِيعَةً أَصْلًا».

وَقَالَ الْقَاسِمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وَبِالْجُمْلَةِ فَالسِّحْرُ الْمُطْلَقُ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ بِشَعْوَذَةٍ صَارِفَةٍ لِلْأَبْصَارِ، أَوْ تَمْتَمَةٍ مُزَخْرَفَةٍ عَائِقَةٍ لِلْأَسْمَاعِ، فَلَا يُغَيِّرُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يُغَيِّرُ الصُّوَرَ».

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «السِّحْرُ لَهُ أُسْلُوبَانِ: **أَحَدُهُمَا**: شَعْوَذَةُ الْأَقْوَالِ الَّتِي لَا تُفْهَمُ مَدْلُولَاتُهَا، يَخْتَلِقُهَا السَّحَرَةُ؛ لِيُوهِمُوا النَّاسَ أَنَّ فِيهَا مُنَاجَاةً مَعَ الْجِنِّ؛ لِيُمَكِّنُوهُمْ مِنْ عَمَلِ مَا يُرِيدُونَ، فَيَسْتَرْهِبُوهُمْ بِذَلِكَ.

وَثَانِيهِمَا: أَفْعَالٌ لَهَا أَسْبَابٌ خَفِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ بِحِيَلٍ، وَخِفَّةِ أَيْدٍ تُحَرِّكُهَا، فَيُوهِمُونَ بِهَا النَّاسَ أَنَّهَا مِنْ تَمْكِينِ الْجِنِّ إِيَّاهُمُ التَّصَرُّفَ فِي الْخَفِيَّاتِ».

وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدٌ الصَّالِحُ الْعُثَيْمِينِ[(٤)]: «فَالْمُهِمُّ أَنَّ السِّحْرَ يُؤَثِّرُ بِلَا شَكٍّ، لَكِنَّهُ لَا يَقْلِبُ الْأَعْيَانَ إِلَى أَعْيَانٍ أُخْرَى؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ

---

(١) المحلى (١/ ٣٦).

(٢) محاسن التأويل (٢/ ٢١٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٢٧).

(٤) القول المفيد (٢/ ٦).

عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّمَا يُخَيَّلُ لِلْمَسْحُورِ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ انْقَلَبَ، وَهَذَا الشَّيْءَ تَحَرَّكَ أَوْ مَشَى، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، كَمَا جَرَى لِمُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَمَامَ سَحَرَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، حَيْثُ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى».

وَهَذَا التَّعْلِيلُ الَّذِي ذَكَرَهُ شَيْخُنَا - عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَغفرَ لَهُ - هُوَ الَّذِي يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ قَلْبَ الْأَعْيَانِ مِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنْ تَنْبِيهٍ مُهِمٍّ فِي قَوْلِ الْكَرَجِيِّ وَبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: «إِنَّهُ تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةٌ». فَنَفْيُهُمْ لِلْحَقِيقَةِ يُرِيدُونَ بِهِ نَفْيَ قَلْبِ الْأَعْيَانِ، لَا يُرِيدُونَ بِهِ إِنْكَارَ السِّحْرِ، كَالْمُعْتَزِلَةِ، وَإِلَّا فَالسِّحْرُ لَهُ حَقِيقَةٌ، يُؤَثِّرُ مَرَضًا وَثِقَلًا، وَحُبًّا وَبُغْضًا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٥١هـ)**[1]: «وَقَدْ دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الْفَلَقُ: ٤]، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا الْمَذْكُورُ - عَلَى تَأْثِيرِ السِّحْرِ، وَأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً، وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا تَأْثِيرَ لِلسِّحْرِ الْبَتَّةَ، لَا فِي مَرَضٍ، وَلَا قَتْلٍ، وَلَا حَلٍّ، وَلَا عَقْدٍ. قَالُوا: وَإِنَّمَا ذَلِكَ تَخْيِيلٌ لِأَعْيُنِ النَّاظِرِينَ، لَا حَقِيقَةَ لَهُ سِوَى ذَلِكَ.

وَهَذَا خِلَافُ مَا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ، وَأَهْلُ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، وَمَا يَعْرِفُهُ عَامَّةُ الْعُقَلَاءِ.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٤٦). ط: عالم الفوائد.

وَالسِّحْرُ الَّذِي يُؤَثِّرُ مَرَضًا وَثِقَلًا، وَحَلًّا وَعَقْدًا، وَحُبًّا وَبُغْضًا، وَنَزِيفًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ - مَوْجُودٌ تَعْرِفُهُ عَامَّةُ النَّاسِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ قَدْ عَلِمَهُ ذَوْقًا؛ بِمَا أُصِيبَ بِهِ مِنْهُ».

وَقَالَ أَيْضًا(١): «وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١١٦]، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَعْيُنَهُمْ سُحِرَتْ، وَذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِتَغْيِيرٍ حَصَلَ فِي الْمَرْئِيِّ، وَهُوَ الْحِبَالُ وَالْعِصِيُّ، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ السَّحَرَةُ اسْتَعَانَتْ بِأَرْوَاحٍ حَرَّكَتْهَا، وَهِيَ الشَّيَاطِينُ، فَظَنُّوا أَنَّهَا تَحَرَّكَتْ بِأَنْفُسِهَا، وَهَذَا كَمَا إِذَا جَرَّ مَنْ لَا تَرَاهُ حَصِيرًا أَوْ بِسَاطًا فَتَرَى الْحَصِيرَ وَالْبِسَاطَ يَنْجَرُّ، وَلَا تَرَى الْجَارَّ لَهُ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَجُرُّهُ، فَهَكَذَا حَالُ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ، الْتَبَسَتْهَا الشَّيَاطِينُ، فَقَلَّبَتْهَا كَتَقَلُّبِ الْحَيَّةِ، فَظَنَّ الرَّائِي أَنَّهَا تَقَلَّبَتْ بِأَنْفُسِهَا، وَالشَّيَاطِينُ هُمُ الَّذِينَ يُقَلِّبُونَهَا.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ التَّغَيُّرُ حَدَثَ فِي الرَّائِي حَتَّى رَأَى الْحِبَالَ وَالْعِصِيَّ تَتَحَرَّكُ وَهِيَ سَاكِنَةٌ فِي أَنْفُسِهَا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ السَّاحِرَ يَفْعَلُ هَذَا وَهَذَا، فَتَارَةً يَتَصَرَّفُ فِي نَفْسِ الرَّائِي وَإِحْسَاسِهِ حَتَّى يُرِيَهُ الشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ بِهِ، وَتَارَةً يَتَصَرَّفُ فِي الْمَرْئِيِّ بِاسْتِعَانَتِهِ بِالْأَرْوَاحِ الشَّيْطَانِيَّةِ حَتَّى يَتَصَرَّفَ فِيهَا».

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٤٧). ط: عالم الفوائد.

النُّشْرَةُ:

هِيَ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهِ، وَهُوَ التَّدَاوِي بِالْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨٢].

وَ(مِن) فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِبَيَانِ الْجِنْسِ، فَيَنْفَعُ التَّدَاوِي بِجَمِيعِ الْقُرْآنِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وَ(مِن) هُنَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ، لَا لِلتَّبْعِيضِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ شِفَاءٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ[(٢)]، فَهُوَ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ، فَلَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ، وَلَا أَنْفَعَ، وَلَا أَعْظَمَ، وَلَا أَنْجعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ».

وَأَخَصُّ مَا يُتَدَاوَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي حَلِّ السِّحْرِ هِيَ الْمُعَوِّذَاتِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ[(٣)]: «أَنْفَعُ مَا يُسْتَعْمَلُ لِإِذْهَابِ السِّحْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي إِذْهَابِ ذَلِكَ، وَهُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُ بِمِثْلِهِمَا**». وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّهَا مَطْرَدَةُ الشَّيْطَانِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي

---

(١) الجواب الكافي، ص(١٥).

(٢) هي قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

(٣) التفسير (١/ ١٤٨).

قُبِضَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ[(١)].

وَقَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُتَحَصَّنُ بِهِ مِنَ السِّحْرِ، وَمِنْ أَنْفَعِ عِلَاجٍ لَهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ - التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَتَوَكُّلُ الْقَلْبِ وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَالتَّعَوُّذُ وَالدُّعَاءُ، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي لَمْ يَصِحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ شَيْئًا قَبْلَهُ، بَلْ قَدْ يُقَالُ: لَمْ يَصِحَّ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ شَيْئًا غَيْرَهُ. وَهُوَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى، وَالنِّهَايَةُ الْعُظْمَى، وَلِهَذَا فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ لَمْ يُخْرِجْهُ، وَإِنَّمَا دَفَنَهُ؛ لِئَلَّا يُفْضِيَ ذَلِكَ إِلَى مَفْسَدَةٍ وَانْتِشَارِهَا، لَا لِتَوَقُّفِ الشِّفَاءِ وَالْعَافِيَةِ عَلَيْهِ، وَهَذَا وَاضِحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

النَّوْعُ الثَّانِي: وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِي مَشْرُوعِيَّتِهِ، وَهُوَ حَلُّ السِّحْرِ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ.

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ النُّشْرَةِ حَرَّمَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرُهُ؛ لِحَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**»[(٣)].

وَأَجَازَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ هَذَا النَّوْعَ مِنَ النُّشْرَةِ، وَهُمْ:

(١) **سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ**: فَقَدْ قَالَ لَهُ قَتَادَةُ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ. أَوْ: يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب المرأة ترقي الرجل (ص١٠١٥ - رقم ٥٧٥١).

(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٩٨، ٩٩).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٣٣): سنده حسن.

فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ»[١].

(٢) الشَّعْبِيُّ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِالنُّشْرَةِ»[٢].

(٣) قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ :كِتَابِ الطِّبِّ: بَابٌ: هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ؟ وَسَاقَ أَثَرَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ مُعَلِّقًا عَلَى فِقْهِ الْبُخَارِيِّ مِنْ هَذَا التَّبْوِيبِ[٣]:

«كَذَا أَوْرَدَ التَّرْجَمَةَ بِالِاسْتِفْهَامِ؛ إِشَارَةً إِلَى الِاخْتِلَافِ، وَصَدَّرَ بِمَا نَقَلَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ مِنَ الْجَوَازِ إِشَارَةً إِلَى تَرْجِيحِهِ».

(٤) قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ[٤]: «النُّشْرَةُ حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَلَا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ السِّحْرَ».

(٥) الطَّبَرِيُّ[٥].

(٦) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ[٦]: «وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَيُجَابُ عَنِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ بِأَنَّ قَوْلَهُ: «**النُّشْرَةُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**» إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلِهَا، وَيَخْتَلِفُ الْحُكْمُ

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به في كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر؟ (ص١٠١٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٨)، وعلق ابن كثير بعد ذكره أثر الشعبي بقوله: «وكره ذلك الحسن البصري».

(٣) الفتح (١٠/ ٢٣٣).

(٤) الفتح (١٠/ ٢٣٣).

(٥) الآداب الشرعية (٣/ ٧٧).

(٦) الفتح (١٠/ ٢٣٣).

بِالْقَصْدِ، فَمَنْ قَصَدَ بِهَا خَيْرًا كَانَ خَيْرًا، وَإِلَّا فَهُوَ شَرٌّ».

وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ النُّشْرَةَ حَرَامٌ؛ لِأَنَّ السَّحَرَةَ أَصْحَابُ أَحْوَالٍ شَيْطَانِيَّةٍ، وَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ؛ لِتُعِينَهُمُ الشَّيَاطِينُ لِحَلِّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النَّحْلُ: ١٠٠].

وَلِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي شَأْنِ تَعَلُّمِ السِّحْرِ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾.

[الْبَقَرَةُ: ١٠٢]

قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ذَكَرَ أَنَّ عِلْمَ السِّحْرِ مَضَرَّةٌ مَحْضَةٌ، لَيْسَ مَنْفَعَةً لَا دِينِيَّةً وَلَا دُنْيَوِيَّةً».

وَمَا كَانَ مَضَرَّةً مَحْضَةً فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ، وَإِنَّمَا يُنْتَفَعُ بِالْحَلَالِ النَّافِعِ.

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِخُصُوصِيَّةِ كَلَامِ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ الْعُثَيْمِينَ، فَقَدْ قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي سِيَاقِ رَدِّهِ عَلَى مَنْ جَوَّزَ حَلَّ السِّحْرِ بِالسِّحْرِ لِلضَّرُورَةِ(٢): «هَذَا الْقَوْلُ يَنْشَأُ عَنْهُ مَفْسَدَةٌ، وَهِيَ كَثْرَةُ تَعَلُّمِ السِّحْرِ مِنْ أَجْلِ حَلِّ السِّحْرِ؛ لِأَنَّ حَلَّ السِّحْرِ قَدْ يَكُونُ بِعِوَضٍ كَبِيرٍ جِدًّا، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَعَلَّمُونَ السِّحْرَ؛ لِيَفُكُّوا السِّحْرَ بِالْقِيمَةِ الْكَبِيرَةِ، فَلِهَذَا يُمْنَعُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّنَا نَقُولُ: إِنَّ حَلَّ السِّحْرِ بِالسِّحْرِ قَدْ يَحْصُلُ، وَقَدْ لَا يَحْصُلُ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ حَلُّ السِّحْرِ بِالسِّحْرِ، فَقَدْ يُحَلُّ السِّحْرُ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٨٢).

(٢) شرح منظومة أصول الفقه وقواعده ص(٦٢).

بِالْقُرْآنِ، وَالْأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، **فَلَيْسَ هُنَاكَ ضَرُورَةٌ، لَكِنَّنَا نَحْكِي كَلَامَ الْفُقَهَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَرَاهُ**».

وقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنه الصرف والعطف»، هذا تبيين لبعض أنواع السِّحر، وشيخ الإسلام عقد في كتاب التَّوحيد بابًا خاصًّا في ذلك، [الباب الرَّابع والعشرون، باب بيان شيء من أنواع السِّحر][(١)]، وساق فيه من الأحاديث ما يدلُّ علىٰ أنواعه، وهي:

حديث قبيصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّه سمع النبيَّ** ﷺ **قال: «إنَّ العِيافة، والطَّرْق، والطِّيرة من الجبت»**؛ رواه أحمد وأبو داود، وصحَّحه ابن حبَّان.

وحديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس شُعبَةً من النُّجوم فقد اقتبس شُعبةً من السِّحر، زاد ما زاد**»، رواه أبو داود، وصحَّحه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب.

وذكر شيخ الإسلام في أنواع السِّحر في هذا الباب حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من عقد عُقْدَةً، ثم نفث فيها؛ فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك**»، رواه النَّسائي.

فدلَّت هذه الأحاديث علىٰ بعض أنواع السِّحر:

١- الطَّرْق.

٢- التَّنجيم.

---

(١) كتاب التَّوحيد (ص١٠٢).

٣- العُقَد.

وسحر العُقَد ذكره الله في القرآن، وأمرنا بالاستعاذة منه، فقال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ هن الساحرات؛ يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين علىٰ كل عقدة تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصًا معينًا؛ فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور. وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء؛ فلهذا قال: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات، يعني: الأنفس النفاثات؛ فيشمل الرجال والنساء».

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أنَّ كثيرًا من أقسامه لا يتأتىٰ إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية، إلىٰ مقاصد الساحر، فلا يتم للعبد توحيد حتىٰ يدع السحر كلَّه قليله وكثيره.

ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

من جهة ما فيه من استخدام الشياطين، ومن التعلُّق بهم، وربما تقرَّب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

---

(١) تفسير جزء عم (ص٣٥٣).

(٢) القول السَّديد شرح كتاب التَّوحيد (ص٨٥).

ومن جهة ما فيه من دعوىٰ علم الغيب، ودعوىٰ مشاركة الله في علمه، وسلوك الطرق المفضية إلىٰ ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر.

وفيه أيضًا من التصرفات المحرمة، والأفعال القبيحة؛ كالقتل، والتفريق بين المتحابين، والصرف والعطْفِ، والسعي في تغيير العقول؛ وهذا من أفظع المحرَّمات، وذلك من الشرك ووسائله، ولذلك تَعَيَّن قتل الساحر لشدَّة مضرته وإفساده».

والسَّحرة كفَّار مشركون، عبدة للشَّياطين، يطيعونهم في الشِّرك بالله؛ لتصنع لهم الشَّياطين السِّحر وتعينهم علىٰ فعله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «السَّاحرُ يستعين بالشيطان ويعبده، وقلَّما يتأتَّىٰ السحر بدون نوع عبادة للشيطان، وتقرُّب إليه؛ إما بذبح باسمه، أو بذبح يُقْصَد به هو؛ فيكون ذبحًا لغير الله، وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق

والساحرُ وإن لم يُسَمِّ هذا عبادة للشيطان؛ فهو عبادة له، وإن سمَّاه بما سمَّاه به؛ فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه».

وأعمال السَّحرة شرك بعبادة الجنِّ والشَّياطين وطاعتهم في أغراضهم الشِّركيَّة، وظلم وفواحش في مقاصدهم من السِّحر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن السِّحر**[(٢)]: «مبناه علىٰ الشِّرك، والكذب، والظُّلم، مقصود صاحبه الظُّلم والفواحش».

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٩، ٧٦٠).

(٢) النبوات (١/ ١٩٢).

وقال الحافظ الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ السَّاحر لابُدَّ وأن يكفر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وما للشَّيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السِّحر إلا ليُشرك به».

وحديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «**من اقتبس شعبة من النُّجوم فقد اقتبس شعبة من السِّحر**»؛ دالٌّ علىٰ أنَّ التنجيم من السِّحر، وهو من علوم الصَّابئة المشركين عبدة الكواكب والنُّجوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «السحر محرَّم بالكتاب والسنَّة والإجماع، وذلك أن النجوم التي من السحر نوعان:

أحدهما: علمي، وهو الاستدلال بحركات النجوم علىٰ الحوادث، من جنس الاستقسام بالأزلام.

الثاني: عملي، وهو الذي يقولون: إنه القوىٰ السماوية بالقوىٰ المنفعلة الأرضية؛ كطلاسم ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السحر. وكلُّ ما حرمه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ فضرره أعظم من نفعه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «المنجِّم يدخل في اسم العرَّاف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه».

---

(١) الكبائر (ص٤٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٧١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٩٣).

وقال شيخ الإسلام(١): «المنجِّم يدخل في اسم الكاهن عند الخطَّابي، وغيره من العلماء، وحكي ذلك عن العرب.

وعند آخرين هو من جنس الكاهن، وأسوأ حالًا منه؛ فلحق به من جهة المعنىٰ».

علىٰ كل حال النبيُّ ﷺ سُئل عن الكهَّان فقال: «**ليسوا بشيء**»، رواه البخاري، فعلومهم ليست بشيء، ومن ذلك ما يخبرون به عن المغيّبات، وليسوا بشيء؛ فلا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عن أن يملكوه لغيرهم.

وعلم التَّنجيم المحرَّم هو من علوم أهل الكتاب، قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما «الجبت» فقال محمد بن إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر بن الخطاب أنه قال: «الجِبْت»: السحر، و«الطاغوت»: الشيطان.

وهكذا روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأبي العالية، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والشَّعبي، والحسن، والضحَّاك، والسُّدِّي.

وعن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والشَّعبي، والحسن، وعطية: الجِبْت: الشيطان؛ زاد ابن عباس: بالحبشية. وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: الجبت: الشرك. وعنه: الجبت: الأصنام.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٩٣، ١٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٢٠).

وعن الشعبي: الجبت: الكاهن».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «روىٰ أبو داود في سننه بإسناد حسن، عن قبيصة بن مخارق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت**»، قال عوف راوي الحديث: «العيافة زجر الطير، والطرق: الخط يخط في الأرض»، وقيل بالعكس. فإذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت، فكيف بالنجامة؟!».

وكان في المدينة ابن صيَّاد، كاهن يهودي دجَّال من الدَّجاجلة، حاجَّه النبي ﷺ وأظهر أنَّه ليس بشيء، ففي الصَّحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال له: «**ماذا ترىٰ؟**» قال ابن صَيَّاد: يأتيني صادق وكاذب. قال النبي ﷺ: «**خُلِّط عليك الأمر؟**»، قال النبي ﷺ: «**إنِّي قد خبأت لك خبيئًا**»، قال ابن صَيَّاد: هو الدُّخُ. قال النبيُّ ﷺ: «**اخسأ فلن تَعْدُو قَدْرك**».

والمسيح الدجَّال الذي دجله شرٌّ من ابن صيَّاد، قال فيه النبيُّ ﷺ بعدما ذكر المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ما يخشاه من ضره: «**هو أهون علىٰ الله من ذلك**»، رواه البخاري.

وسحرة فرعون أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنهم ﴿**جَاءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ**﴾ [الأعراف: ١١٦]، فألقىٰ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عصاه بأمر الله وقدرته؛ فأبطلت سحرهم، وقد ذكر الله لنا نبأ ذلك مفصَّلًا في القرآن في أكثر من موضع؛ تطمينًا لنفوس المؤمنين

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٩٢، ١٩٣).

بأن كيد الكافرين وأعوانهم من السَّحرة يبطله الله بحوله وقوَّته التي لا تُغلب ولا يقوم لها شيء؛ فالغلبة والظُّهور لله وأوليائه وورثة الأنبياء والمرسلين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]. والله عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر ما كان من شأن الصِّراع بين التَّوحيد والشِّرك، والإسلام والكفر؛ خاطبنا بقوله: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وهو خطاب موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه، وخطاب الله لنا بتبيين الأسباب التي يُنال بها التَّمكين في الأرض.

فالسِّحر العظيم يبطله الله، والأرواح الخبيثة التي تصنع السِّحر تعلم أنَّه يضمحلُّ، بل ويبطل الله شرَّه بكلماته الشَّرعيَّة والكونيَّة، ومنهم من يكون ذلك سببًا في توبته من السِّحر والكفر والشِّرك، قال تعالىٰ: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾ [الأعراف: ١١٨، ١١٩]، قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أي: حقيرين، قد اضمحل باطلهم، وتلاشىٰ سحرهم».

وقد ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضًا من أنواع السِّحر في كتاب التَّوحيد، الباب السَّابع، باب ما جاء في الرُّقىٰ والتَّمائم(٢)، حيث ساق حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرُّقىٰ**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٣٠٧).

(٢) كتاب التَّوحيد (ص٤٠).

والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شرك»، رواه أحمد وأبو داود.

قال الحافظ الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «التِّوَلَةُ: نوع من السِّحر، وهو تحبيب المرأة إلىٰ الزَّوج».

وقال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قوله: «التولة»؛ شيء يعلقونه علىٰ الزوج، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلىٰ زوجها، والزوج إلىٰ امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة».

والتِّولة - والله أعلم - هو من أنواع سحر الصَّرف والعطف، وهذا من عمل الشَّيطان، والمودَّة والألفة بين الزَّوجين لا تكون بالشِّرك بالله، وإنَّما تكون بتوحيد الله وطاعته، ومراعاة حقوق الزَّوجين بعضهم لبعض، والتَّواصي بالحقِّ والمعروف والصَّبر، وبحسن العشرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في سحر العطف والصَّرف**[٣]: «يقولون: عطف، ومحبة، وتهييج، ونحو ذلك؛ كالتَّفريق بين المرء وزوجه، وذلك من السحر بنصِّ القرآن».

ومن أنواع السِّحر السيمياء والكيمياء، وهي خيالات لا حقيقة لها، يصنعون تمويهات ليغيِّروا خواص ما خلق الله من المعادن، ومعلوم أنَّ الذهب لا يستحيل

---

(١) الكبائر (ص٤٦).

(٢) شرح كتاب التَّوحيد (ص١٧٢)، مطبوع ضمن مجموع فتاوىٰ الشَّيخ، المجلد التاسع.

(٣) أقسام المعزّمين (ص٢١).

فضة، والفضة لا تستحيل ذهبًا، وهذا التمويه بتشبيه المخلوقات هو نوع من السِّحر في اصطلاح العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المعادن كالذَّهب والفضَّة والحديد والنُّحاس والرَّصاص لا يستطيع بنو آدم أن يصنعوا مثل ما يخلقه الله، وإنَّما غايتهم أن يشبهوا من بعض الوجوه فيصفرون وينقلون، مع اختلاف الحقائق».

وقال الحافظ الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ترىٰ خلقًا كثيرًا من الضُّلَّال يدخلون في السِّحر، ويظنُّون أنَّه حرام فقط وما يشعرون أنَّه الكفر، فيدخلون في تعلم السيمياء وعملها، وهي محض السِّحر».

وعامة من طلب علم الكيمياء والسيمياء المحرَّم إنَّما طلبه ليأكل أموال الناس بالباطل، يُموِّه علىٰ النَّاس صناعة الذَّهب من غير معدن الذَّهب، فيستحيل بعد فترة؛ فيظهر بطلان الحيل الكيمياوية التي استعملها المموهون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «عامتهم – سحرة الكيمياء – يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، ويُظهرون للطماع أنهم يعملون الكيمياء حتىٰ يأكلوا ماله ويفسدوا حاله. وحكاياتهم في هذا الباب عند الناس أشهر من أن تحتاج إلىٰ نقل مستقر، تدلُّ علىٰ أن أهل الكيمياء يعاقبون

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ٣٦٩).

(٢) الكبائر (ص٤٥).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ٣٧٤).

بنقيض قصدهم؛ فتذهب أموالهم حيث طلبوا زيادة المال بما حرمه الله بنقص الأموال؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

والكيمياء أشد تحريمًا من الربا، قال القاضي أبو يوسف: من طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غرائب الحديث كُذب، ويروي هذا الكلام عن مالك والشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

أمَّا الصِّناعات الحقيقية التي يقوم بها الصُّنَّع بلا تزييف لحقائق المعادن؛ فهذا من الصَّنعة المباحة، فقد ألان الله لداود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صناعة الحديد، والتكسُّب بالصِّناعات الحقيقية المباحة التي لا تمويه ولا غش فيها؛ جائز حلال.

فبتعريض الحديد علىٰ النَّار صُنعت الدُّروع، وصنع النَّاس أنواعًا من مشغولات الحديد النَّافعة في كل ما يحتاجه النَّاس من منافعه العظيمة في صناعة الآلات.

وداود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ألان الله له الحديد علىٰ المعهود من حذق البشر، ولم تُخرق له العادة في ذلك، دلَّ علىٰ ذلك منطوق قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق للعادة، وأن يكون - كما قال المفسرون -: إن الله ألان له الحديد، حتىٰ كان يعمله كالعجين والطين، من دون إذابة له علىٰ النار، ويحتمل أن تعليم الله له، علىٰ جاري العادة، وأن إلانة الحديد له بما علَّمه

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥٦).

الله من الأسباب المعروفة الآن لإذابتها، وهذا هو الظاهر؛ لأن الله امتَنَّ بذلك علىٰ العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد لم يمتَنَّ عليهم بذلك، ويذكر فائدتها؛ لأن الدروع التي صنع داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متعذر أن يكون المراد أعيانها، وإنما المنَّة بالجنس».

وامتنان الله علىٰ خلقه بتعليمهم أسباب إلانة الحديد واستعمال المصنوعات منه؛ دليلٌ علىٰ إباحة صناعة الحديد؛ لأنَّ الله لا يمتنُّ علىٰ خلقه إلَّا بما أحلَّ لهم.

فالكيمياء لا توجد شيئًا من العدم، فالله هو الخالق للمخلوق من العدم، والمصنوع من تحويلات الصناعة هو مصنوع وليس بمخلوق، وليس لله أنداد في الخلق كما يريد المموهون.

الحاصل: أنَّ الإنسان لا يمكن أن يخلق كخلق الله، لكنَّ الله أقدره علىٰ الصِّناعة بما سخَّره له من أسباب تحويل منافع المعدن، فصارت له بذلك أسباب العيش بعمل البيوت والمراكب وغيرها، وهذا كلُّه ممَّا دلَّ عليه عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القاعدة التي يدل عليها استقراء الوجود من أن المخلوق لا يكون مصنوعًا والمصنوع لا يكون مخلوقًا؛ هي ثابتة عند المسلمين، وعند أوائل المتفلسفة الذين تكلموا في الطبائع، وتكلموا

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ٣٦٩).

في الكيمياء وغيرها، فإن الله قال في كتابه: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وفي الصحيح عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله أنه قال: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة**»».

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ حذَّر من التعاون على الإثم والعدوان، فإنَّ السحرة إنَّما يشركون بالله بسحرهم تحقيقًا لأغراض من سألهم أن يصنعوه؛ ففي كتاب التَّوحيد، الباب الخامس والعشرين، باب ما جاء في الكُهَّان ونحوهم[1]، ساق حديث عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ليس منَّا من تطيَّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ»، رواه البزَّار، قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب: بإسناد جيد[2].

فهذا الحديث فيه وعيد شديد لمن استعمل وطلب من السَّحرة عمل السِّحر، ومن وعيده ما دلَّ عليه عموم قوله تعالىٰ: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: من نصيب.

وقد أمرنا الله بالاستعاذة من الحسد والسِّحر جميعًا؛ لأنَّ من الحاسدين مَن يكيد النَّاس ويظلمهم ويؤذيهم بسحره.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾،

---

(١) كتاب التَّوحيد (ص١٠٥).

(٢) كتاب التَّوحيد (ص١٠٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كثيرًا ما يجتمع الشرَّان: شرّ الحسد والسِّحر، في النُّفوس الخبيثة».

ومن سفه الحاسد أنَّه يضرُّ بنفسه فيوبقها في الشِّرك والردَّة والكفر والسِّحر انسياقًا وراء حسده، ولو أنَّه سأل الله من فضله؛ لكان خيرًا له من كفره بسحر النَّاس.

والسَّحرة أنواع، شرُّهم أعظمهم شركًا؛ لأنَّ الشَّياطين أعوان للمشركين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشدَّ معاداة لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين؛ كان سحره أقوىٰ وأنفَذَ، ولهذا كان سِحْرُ عُبَّاد الأصنام أقوىٰ من سِحْر أهل الكتاب، وسِحْر اليهود أقوىٰ من سِحْر المنتسبين إلىٰ الإسلام، وهم الذين سحروا رسول الله ﷺ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «اليهود أسحر الناس وأحسدُهُم، فإنهم لشدَّة خُبْثهم فيهم من السِّحر والحسد ما ليس في غيرهم، وقد وصفهم الله تعالىٰ في كتابه بهذا، وهذا؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٧).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٨).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٧).

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٢]».

وقال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبيِّ ﷺ والمؤمنين؛ أن أخلاقهم الرذيلة، وطبعهم الخبيث، حملهم علىٰ ترك الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله.

فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان؛ كل هذا من الجبت والطاغوت. وكذلك حَمَلهم الكفر والحسد علىٰ أن فضَّلوا طريقة الكافرين بالله - عبدة الأصنام - علىٰ طريق المؤمنين».

وحيث يظهر التَّوحيد والإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ وعبوديَّته وحده لا شريك له، وتظهر طاعة الله؛ تكثر النُّفوس الطيِّبة، ويضعف سلطان الشَّياطين والسَّحرة، ويتولَّىٰ الله عباده فيحفظ عليهم توحيدهم وأديانهم وعقولهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّما ظهرت هذه الأحوال الشَّيطانيَّة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص١٧٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٦٣).

التي أسبابها الكفر والفسوق والعصيان بحسب ظهور أسبابها، فحيث قوي الإيمان والتَّوحيد ونور الفرقان، والإيمان وظهرت آثار النبوَّة والرِّسالة؛ ضعفت هذه الأحوال الشَّيطانيَّة».

وأتباع السَّحرة، والمستعينون بهم، رضوا بالشِّرك بالله، وآثروه طلبًا لأغراضهم الدُّنيويَّة من حصول الجاه والمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

فبيَّن سبحانه أن طلاب السحر يعلمون أنَّ صاحبه ما له في الآخرة من خلاق، أي: من نصيب ولكن يطلبون به الدنيا من الرئاسة والمال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [البقرة: ١٠٣] لحصل لهم من ثواب الله في الدنيا والآخرة؛ ما هو خير لهم مما يطلبونه».

ومهما حصل للسَّاحر ومن استعمله من بعض أغراضه الدُّنيويَّة؛ فإنَّه إنَّما حصل له ما يضرُّه من الشِّرك، وما أدركه من بعض أغراضه الدُّنيويَّة لا يُبارك له فيه؛ لأنَّه أدركه بالشِّرك.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنما مطلوب أحدهم المال والرئاسة،

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ٣٨٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ٣٨٥).

فيكفر ويشرك بالله؛ لأجل ما يتوهَّمه من حصول رئاسة ومال، ولا يحصل له إلا ما يضره ولا ينفعه؛ كما يدل عليه استقراء أحوال العالم».

ومن أولئك العبيديون المشركون؛ فإنَّهم كانوا أخبث الملوك، تعاظم شركهم بالنُّجوم واستعمال السِّحر؛ فذهبت دولتهم، وما أغنىٰ عنهم ما كانوا يشركون.

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ خير النَّاس أُعطوا بالتَّوحيد من التأييد والنَّصر والظَّفر بعدوِّهم، والاستيلاء علىٰ ممالك العالم ما لم يظفر به أحد من المعولين علىٰ أحكام النجوم[1].

وقد أخبرنا النبيُّ ﷺ أنَّ السَّحرة لهم جنٌّ يسترقون السَّمع؛ رواه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومقصود السَّحرة من الجنِّ إخبارهم بالمغيّبات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «إنَّه لا يوثق بخبر الجنّ، ولا بخبر المصروع عنهم مع تيقُّن حضورهم؛ فإنه لم يُعرف صدقهم وعدلهم، بل أهل التَّجارب لهذه الأمور يعلمون أنَّ هذه الأخبار يكثر فيها الكذب، بل قد يكون الكذب فيها أكثر من الصِّدق، فيبقىٰ مثل أخبار المنجِّمين وأمثالهم ممن لا يجوز الاعتماد علىٰ أخبارهم، وكذلك أخبار الكهَّان؛ فإنَّه قد عُلم أنَّ الكُهَّان تخبرهم الشَّياطين بالخبر الذي يسترقونه من السَّماء، ومع هذا فقد نهىٰ النبيُّ ﷺ عن إتيانهم؛ لأنَّهم

(١) مفتاح دار السَّعادة (٣/ ١٤٦٢).

(٢) أقسام المعزِّمين (ص٣١).

يخلطون الصدق بالكذب، ففي الصَّحيح عن معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله! إن فينا قومًا يأتون الكهَّان؟ قال: «**فلا تأتوهم**».

وفي الصَّحيح عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن الكهَّان؛ فقال: «**ليسوا بشيء**»، فقيل له: إنَّهم يخبرون بالشيء فيكون؟ فقال: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنِّي، فيقرها في أذن وليِّه كما تقرّ الدَّجاجة**»».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «قد قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]، فهؤلاء الذين يزعمون أنَّهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنَّها تتنزَّل عليهم؛ ضالُّون، فإنَّما تتنزَّل عليهم الشَّياطين، كما أنَّها تتنزَّل عليهم إذا دعوا الكواكب، وهم يسمُّون ذلك: روحانية الكواكب، ويقولون: استنزل روحانية المشتري أو روحانية الزهرة، وإنَّما تتنزَّل عليهم شياطين».

وقوله تعالىٰ عن اليهود السَّحرة: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ تحذير من تمتمة الشَّياطين، ومن أعظم الشِّرك مخاطبة الجنِّ بالطلاسم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «أمَّا التَّبخير فإنَّه في شريعة الإسلام من جنس الطِّيب، فيُشرع حيث يُشرع الطِّيب، ولا يُشرع للتقرُّب به إلىٰ

---

(١) أقسام المعزِّمين (ص١٩).

(٢) أقسام المعزِّمين (ص٢٨).

الكواكب والجنِّ، والتَّبخير للكواكب السَّبعة أو غيرها، أو الأرواح التي يُقال: إنَّها موكَّلة بها أو بآياتها!

ونقش الخواتم لها، والنَّقش على الآنية، والمرايا، والخيوط، والمجهولين، والصُّور، ونحو ذلك، ما يسمى طلاسم، وجعل هذه الطَّلاسم تحت السَّماء والكواكب - وهو الذي يسمُّونه: التَّنجيم -، واستدعاء المطلوب من الملائكة أو الجنِّ أو الكواكب؛ فهذا ونحوه حرام باتِّفاق المسلمين، بل هو من جنس الشِّرك بالله الذي بعث الله الأنبياء بالنَّهي عنه، بل هذا من أعظم أصول الشِّرك بالله وعبادة ما سواه».

وفي قول النبي ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شركًا**»، رواه مسلم؛ نهي عن التَّداوي بالشِّرك، فلا يجوز لأحد أن يرقي النَّاس بالشِّرك وبتمتمة الشَّياطين، ولا بالكلام الذي لا يعقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اتَّفقوا - العلماء - على أنَّ كل رقية وتعزيم أو قَسَم فيه شرك؛ فإنَّه لا يجوز التكلُّم به، وإن أطاعته به الجنُّ أو غيرهم. وكذلك كل كلام فيه كفر؛ فإنَّه لا يجوز التكلُّم به، وإن كان فيه نوع عوض للقائل. وكذلك الكلام الذي لا يُعرف معناه لا يُتكلَّم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يُعرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا بأس بالرُّقى ما لم يكن شركًا**»».

والسِّحر يُفسد على الإنسان مداركه، ولا يزال الشَّيطان يُخيِّل للنَّاس الشِّرك

---

(١) أقسام المعزِّمين (ص١٧، ١٨).

والبدع والذُّنوب تخييل الغرور، وينالون من ذلك الغرور إغواء الشَّيطان وسخط الرَّحمن، وفساد الدِّين والدُّنيا والآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من مكايده – الشيطان – أنه يسحر العقل دائمًا حتىٰ يكيده، ولا يَسْلَم من سحره إلا من شاء الله، فيزيِّن له الفعل الذي يضره، حتىٰ يخيَّل إليه أنه من أنفع الأشياء له، وينفِّره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتىٰ يخيَّل له أنه يضره. فلا إله إلا الله! كم فتن بهذا السحر من إنسان! وكم حال به بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان».

والمسلم في جهاده لوساوس الشَّيطان يدفع تخييله الذي يفسد عليه مداركه بالاستعاذة منه، وينتهي عن إتباع نفسه لغروره؛ فلا يسترسل مع وساوسه، ويجعل خواطره وإراداته فيما يرضي الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «اعلم أن الخطرات والوساوس تؤدِّي متعلقاتها إلىٰ الفكر، فيأخذها الفكر فيؤديها إلىٰ التذكُّر، فيأخذها الذِّكر فيؤديها إلىٰ الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤديها إلىٰ الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فردُّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها.

ومعلوم أنه لم يُعط الإنسان إماتة الخواطر ولا القوة علىٰ قطعها؛ فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه علىٰ قبول أحسنها ورضاه

---

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ١١١).

(٢) الفوائد (ص٢٥٤)، باختصار.

به ومساكنته له، وعلىٰ دفع أقبحها وكراهته له نفرته منه كما قال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: يا رسول الله! إن أحدنا يجد في نفسه ما لأن يحترق حتىٰ يصير حممة أحب إليه من أن يتكلم به فقال: **أوجدتموه؟** قالوا: نعم، قال: **ذاك صريح الإيمان**».

والشَّياطين مربوبة مخلوقة مقهورة لله، وقد أعلمنا الله بضعفها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، ومن وحَّد الله وأطاعه واعتصم به فقد آوىٰ إلىٰ القوي العزيز، فتوحيد الله طمأنينة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال تعالىٰ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، والمسلم يحقِّق توحيده في السرَّاء والضرَّاء، قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وهكذا أتباعه الحنفاء يعرفون أنَّ الله هو الشَّافي، لا شفاء إلا شفاؤه.

والله عَزَّوَجَلَّ لم يجعل شفاء أمَّته فيما حرَّم عليها، وابن آدم إنَّما خُلق لتوحيد الله، فلا يطلب العافية بالشِّرك ووسائله، والشِّفاء من الله، ولا يُنال ما عند الله بأعظم ما يسخطه وهو الشِّرك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وليحذر المسلم من التعاويذ والرُّقىٰ والتَّمائم المكتوبة بالطَّلاسم والكلام الذي لا يعرف معناه؛ فإنَّ المشركين عدلوا إلىٰ هذه الجهالات بسبب شركهم، فهذه داء وليست بدواء، ولا يعدل عن الكلام الواضح إلا مشعوذ من إخوان الشَّياطين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أما الاستعانة عليهم – الجن – بما يُقال ويُكتب مما لا يُعرف معناه؛ فلا يُشرع، لا سيما إن كان فيه شرك؛ فإن ذلك محرَّم وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه شرك، وقد يقرءون مع ذلك شيئًا من القرآن ويظهرونه، ويكتمون ما يقولونه من الشرك. وفي الاستشفاء بما شرعه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ما يغني عن الشرك وأهله».

فالمسلم توحيده هو سلاحه الذي يدفع به شرَّ السَّحرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هو – سبحانه – وحده الذي يكفي عبده وينصره ويرزقه ويكْلؤه».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إن المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضرٌّ، ولا عطاء ولا منع، ولا هدًىٰ ولا ضلال، ولا نصر ولا خِذلان، ولا خفض ولا رفع، ولا عزٌّ ولا ذلٌّ؛ بل الله – وحده – هو الذي يملك له ذلك كله، قال تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]».

وهذه العقيدة توجب الطمأنينة للمسلم في دفع الأمراض ومن جملتها السِّحر،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٦١).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٨٣).

(٣) إغاثة اللَّهفان (١/ ٨٢).

وإذا كانت النَّفس مطمئنة بالله؛ قويت علىٰ دفع الشُّرور بالاستعانة بالله، والله يمدُّها بالصَّبر والأجر والعافية والنَّصر(١).

سلاحك ودرعك أيُّها المسلم، الذي تتحصَّن به من أذىٰ شياطين الإنس والجنِّ؛ هو تقوىٰ الله، قال تعالىٰ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، وبمقدار إيمانك وتقواك يدفع الله عنك، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «بحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه».

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «في هذه الآية دلالة علىٰ أنَّ سهام الكيد لا تنفذ في دروع الصبر والتقوىٰ، وإرشاد للعباد أن يستعينوا بهما في غمرات المهالك، ومخاوف المسالك، وإلىٰ هذا أشار النبيُّ ﷺ بقوله: «**احفظ الله يحفظك**»». فالثِّقة بكفاية الله هي عُدَّةُ الموحِّدين وذخيرة المتَّقين.

وتسلُّط الشيطان علىٰ الإنسان بأذيَّته بالسِّحر؛ هو أذًىٰ عارض، والشدَّة والعسر والضِّيق والمرض يعقبه اليسر والفرج والسَّعة والعافية، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦﴾ [الشَّرح: ٥، ٦].

وأعظم ما ينبغي علىٰ المسلم حفظه من الشيطان؛ هو حفظ قلبه من إفساد

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٢).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٩).

(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٧٨).

الشَّيطان لدينه، فإنَّ وسوسته للمسلم بما يُفسد عليه دينه أذًىٰ وعدوان لا يفتر عنه الشَّيطان لحظة؛ ليخرجه من عبوديَّة الله إلىٰ عبوديَّته فيكون من أصحاب السَّعير؛ فاحفظ دينك بالاستعانة بالله، وادفع وسوسته بالاستعاذة بالله منه وبذكر الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في الحديث المشهور [2]: «إنَّ للملَك بقلب ابن آدم لَمَّةً، وللشَّيطان لَمَّةً، فلمَّة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، ولَمَّة الشَّيطان: إيعاد بالشَّرِّ، وتكذيب بالوعد»، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فالملك والشَّيطان يتعاقبان علىٰ القلب تعاقُبَ الليل والنَّهار، فمن النَّاس من يكون ليله أطول من نهاره، وآخر بضدِّه، ومنهم من يكون زمنه نهارًا كلّه، وآخر بضدِّه، نستعيذ بالله تعالىٰ من شرِّ الشَّيطان».

ولا أنفع للمسلم في حفظ دينه وبدنه وعقله من التوكُّل علىٰ الله والاستعانة به، وملازمة ذكره، والتحصُّن بالأذكار، وتلاوة القرآن، والعمل الصَّالح.

ومن ابتُلي بشيء من تسلُّط الشَّياطين وأذىٰ السَّحرة؛ فلا أنفع له من دفع عدوانهم بالاعتصام بالله والالتجاء إليه، والتعوُّذ به من كل شرٍّ.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٧).

(٢) هو من كلام ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أكثر تسلُّط الأرواح الخبيثة علىٰ أهله تكون من جهة قلَّة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذِّكر، والتعاويذ، والتَّحصُّنات النبويَّة والإيمانيَّة، فتلقىٰ الروح الخبيثة الرَّجل أعزل لا سلاح معه».

ومن أسباب الوقاية من السِّحر التصبُّح بسبع تمرات، ففي الصَّحيحين من حديث سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصبَّح بسبع تمرات ممَّا بين لابتيها** - الحرَّتين - **حين يُصبحُ؛ لم يضرُّه ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحْر**».

قال العلَّامة أبو المظفّر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٦٠هـ)[(٢)]: «الذي أراه في هذا الحديث أن التصبُّح بالتمر علىٰ الإطلاق فيه بركة؛ لأنه إذا أكله المؤمن مفكرًا في قدرة الله عَزَّوَجَلَّ التي أخرجته من حيث أخرجته، فقد أتىٰ من الإيمان ما تذرع به قلبه عن أن يعمل فيه سحر، وكذلك إذا كان أول طعام يتناوله؛ فإنه يدفع الله به السُّمَّ؛ لأن السموم مخلوقة علىٰ مضادَّة أجزاء الإنسان، وما خلقه الله تعالىٰ في التمر علىٰ مناسبة أجزاء الإنسان».

والنبيُّ ﷺ تداوىٰ بالحجامة من السُّمِّ الذي جعلته اليهوديَّة في الطَّعام الذي أهدته إليه، واستشفىٰ بالمعوِّذتين من سحر لبيد بن الأعصم اليهودي له، واستعمل الحجامة كذلك.

---

(١) زاد المعاد (ص٦١٣).

(٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (١/ ٣٢٩).

والأرواح الشَّيطانيَّة تقهرها الأرواح الملكيَّة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكَّن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوىٰ من هذه الأسباب، من: الذكر، والدعاء، والابتهال، والتضرع، والصدقة، وقراءة القرآن؛ فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويُبطل شرَّها، ويدفع تأثيرها».

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد (ص٦٠٢).

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

الشَّرح:

لا تجوز مظاهرة المشركين علىٰ المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦].

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فيه تحريمُ مظاهرة الكفَّار، أي: مُعاونتُهم؛ لأنَّ النَّهْيَ للتحريم، لا سِيَّما وقد أُكِّدَ بنون التَّوكيد؛ لأنَّ النُّون هنا للتوكيد، والدَّليل علىٰ التوكيد أَنَّ الفِعْلَ بُني علىٰ الفتح.

والمعاونة للكفَّار تكون معاونةً عسكرية، ومعاونةً فكريَّة، ومعاونةً ماليَّةً ومعنويةً، فكل ما فيه معاونة الكفَّار ومساعدتهم وتقويتهم فإنَّه محرَّمٌ».

وواجب المسلمين موالاة بعضهم بعضًا، فإن هذا ما يوجبه الولاء لله، وهذا ما يكون من أسباب اجتماع كلمة المسلمين وقوَّتهم حتىٰ يكونوا أمَّة واحدة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥]، قال شيخ الإسلام ابن

---

(١) تفسير سورة القصص (ص٣٩٥).

تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «المؤمنون لا تتمُّ موالاتهم إلا بطاعة أمرهم، وهذا لا يكون إلا إذا كان أمرهم أمرًا متفقًا(٢)، فإن أمر بعضهم بشيء وأمر آخر بضدِّه؛ لم يكن موالاة هذا بأولىٰ من موالاة هذا، فكانت الموالاة في حال النِّزاع بالردِّ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والرسول ﷺ».

ومن تولىٰ الله فقد تولىٰ القوي العزيز، ومن تولىٰ الله هداية ونصرًا ورزقًا؛ كفاه الله، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٧]؛ فالله يتولىٰ عباده المؤمنين حفظًا وتدبيرًا ونصرًا ورزقًا بأعمالهم من التَّوحيد والطَّاعة.

وقد حثَّنا الله علىٰ ابتغاء فضله وطلب ما عنده، فقال سبحانه: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وأخبرنا الله أن ما عنده إنَّما يُنال بطاعته، فمن تولَّىٰ الله بالطَّاعة والاستعانة والعبادة تولَّاه الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٢/ ٥٠٢).

(٢) علىٰ الحق.

ومن أعظم أسباب موالاة الله لعباده؛ هو طاعته في موالاة المؤمنين، وقد حذَّرنا الله من أسباب سخطه وإعراضه وتوليه عنا إن تولينا أعداءه الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

ومن تولىٰ من دون الله فليس له من ولي ولا نصير، وقد تولىٰ ضعفًا، وتولىٰ مربوبًا لله ناصيته بيد الله وحده، والشيطان يُوسوس للمؤمنين بالخوف من أوليائه الكافرين والمشركين، والمؤمنون لا يخافون أولياء الشَّيطان فإن كيد الشيطان كان ضعيفًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ﴾ [العنكبوت: ٤١] فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها.

وتحت هذا المثل أنَّ هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ

(١) إعلام الموقعين (١/ ٣١٥).

عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [يس: ٧٤، ٧٥]، وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: ١٠١]. فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل علىٰ أنَّ من اتخذ من دون الله وليًّا يتعزَّز به ويتكثَّر به ويستنصر به؛ لم يحصل له به إلا ضد مقصوده».

والمسلم الشَّكور هو الذي يتولَّىٰ ربّه الذي خلقه وأوجده وهداه وفطره علىٰ الفطرة، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، قال موسىٰ عليه السلام ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٥٠].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الله هو الذي أوجد عبده وخلقه وكوَّنه، وأسبغ عليه نعمه، وهو يحبّ أن يتمها عليه، فيصير مظهرًا لنعمه، قابلًا لها، شاكرًا لها، محبًّا لوليِّها، مطيعًا له، عابدًا له، معاديًا لعدوِّه، مبغضًا له، عاصيًا له.

والله يحبُّ من عبده معاداة عدوّه ومعصيته ومخالفته، كما يحب أن يوالي الله مولاه سبحانه ويطيعه ويعبده، فتنضاف محبَّته لعبادته وطاعته والإنابة إليه إلىٰ محبَّته لعداوة عدوِّه ومعصيته ومخالفته».

وحقيقة موالاة الله ومحبَّته وطاعته واتِّباع رسله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، والسَّعي في أن تكون كلمة الله هي العليا.

---

(١) مدارج السَّالكين (١/ ١٧١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قال تعالىٰ ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فاتِّباع سنَّة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا هي موجب محبَّة الله، كما أنَّ الجهاد في سبيله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها، كما في الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان الحبُّ في الله، والبغض في الله**»».

والمسلم هو الذي يتولَّىٰ الله، فيكون معه ومن أوليائه، فتتأسس عقيدته وأعماله علىٰ هذا الأصل، فيتولَّىٰ الله، فتكون أعماله في مراضيه، ويتولَّىٰ أولياء الله ولا يتولَّىٰ أعداءه، والكافر بضدِّ ذلك يتولَّىٰ الشَّيطان وأعداء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ المؤمن دائمًا مع الله علىٰ نفسه وهواه وشيطانه وعدوِّ ربه، وهذا معنىٰ كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، فهو مع الله علىٰ عدوِّه الداخل فيه والخارج عنه، يُحارِبهم ويُعاديهم ويُغْضِبُهم له سبحانه، كما يكون خواصُّ الملك معه علىٰ حرب أعدائه، والبعيدون منه فارغون من ذلك غير مهتمِّين به، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه علىٰ ربِّه، وعبارات السلف علىٰ هذا تدور:

ذكر ابن أبي حاتم، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير قال: عونًا للشيطان علىٰ ربِّه بالعداوة والشِّرك. وقال ليث عن مجاهد قال: يُظاهر الشيطان

---

(١) التُّحفة العراقية في أعمال القلوب (ص٤٤٦).

(٢) الفوائد (ص١١٤، ١١٥).

علىٰ معصية الله، يُعينُه عليها. وقال زيد بن أسلم: ﴿ظَهِيرًا﴾، أي: مواليًا. والمعنىٰ: أنه يُوالي عدوَّه علىٰ معصيته والشرك به، فيكون مع عدوِّه معينًا له علىٰ مساخط ربه.

فالمعيَّة الخاصَّة التي للمؤمن مع ربِّه وإلهه قد صارتْ لهذا الكافر والفاجر مع الشيطان، ومع نفسه وهواه وقُربانه، ولهذا صدَّر الآية بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥]، وهذه العبادة هي الموالاة والمحبة والرضا بمعبوديهم، المتضمِّنة لمعيَّتهم الخاصَّة، فظاهروا أعداء الله علىٰ مُعاداته ومخالفته ومساخطه، بخلاف وَليِّه سبحانه، فإنه معه علىٰ نفسه وشيطانه وهواه».

ومعاداة الشيطان موالاة لله عَزَّوَجَلَّ، فالشَّيطان عصىٰ الله فلم يسجد لأبينا آدم حسدًا، وناصب ذريَّة آدم العداوة، ونصب نفسه لحربهم بإغوائهم عن صراط الله المستقيم ليجعلهم من أصحاب السَّعير.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يقول سبحانه لعباده: أنا أكرمت أباكم، ورفعت قدره، وفضَّلته علىٰ غيره، فأمرت ملائكتي كلهم أن يسجدوا له؛ تكريمًا له

---

(١) الجواب الكافي (ص٢٢٠، ٢٢١).

وتشريفًا، فأطاعوني وأبىٰ عدوي وعدوه؛ فعصىٰ أمري، وخرج عن طاعتي، فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني، فتطيعونه في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي، وهم أعدىٰ عدو لكم؟! فواليتم عدوي وقد أمرتكم بمعاداته، ومن والىٰ أعداء الملك كان هو وأعداؤه عنده سواءً؛ فإن المحبة والطاعة لا تتم إلا بمعاداة أعداء المطاع وموالاة أوليائه، وأما أن توالي أعداء الملك ثم تدعي أنك موالٍ له؛ فهذا محال. هذا لو لم يكن عدو الملك عدوًّا لكم، فكيف إذا كان عدوكم علىٰ الحقيقة، والعداوة التي بينكم وبينه أعظم من العداوة التي بين الشاة والذئب، فكيف يليق بالعاقل أن يوالي عدوه وعدو وليه ومولاه الذي لا مولىٰ له سواه؟! ونبَّه سبحانه علىٰ قبح هذه الموالاة بقوله: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠] كما نبه علىٰ قبحها بقوله تعالىٰ: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، فتبيَّن أن عداوته لربِّه وعداوته لنا كل منهما سبب يدعو إلىٰ معاداته، فما هذه الموالاة؟! وما هذا الاستبدال؟! بئس للظالمين بدلًا».

ومن تولَّىٰ الله فقد دخل في حصنه الآمن، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، فالمؤمنون الذين تولوا الله بتوحيده وطاعته يتولَّاهم الله بحفظ دينهم وينصرهم ويهديهم، ويزيدهم هدًىٰ، وتكون لهم أحسن العواقب في الدُّنيا والآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كل من كان تقيًّا كان لله وليًّا».

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦١٥).

وقال **الحافظ عبد الرزَّاق الرسعني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾، وهم الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة».

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ طمأنينة وبشارة لأولياء الله، وهي من أسباب إقبالهم علىٰ موالاة الله أكثر، فمن علم أن وليَّه ينصره ولا يخذله زاد ولاؤه له.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا يحزنون؛ ثبت لهم الأمن والسَّعادة والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله».

ومن تولَّىٰ الشَّيطان فهو الخاسر، فالشَّيطان لا يأمر إلا بالسُّوء والفحشاء، وهو شديد الخذلان لأوليائه، يتبرَّأ منهم أحوج ما يكونون إلىٰ ولايته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١١٩، ١٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قوله تعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٨٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٧٨٣).

ﵟٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًاﵞ، وهذا إخبار عن الواقع؛ فإن الشَّيطان يعِدُ أولياءه ويُمَنِّيهم بأنَّهم هم الفائزون في الدُّنيا والآخرة، وقد كذب وافترىٰ في ذلك، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﵟوَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ﵞ».

وقال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يمنِّيهم الباطل والغرور، ﵟوَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ﵞ باطلًا وتمويهًا؛ فيُخْرِج لهم ما يضرُّهم في صورة ما يسرُّهم، ويَغُرُّهم بالعاجل عن الآجل، فبينا هم يتردَّدون في أودية الأماني اعترضتهم المنيَّة دون بلوغ الأمنيَّة».

وما يدركه أولياء الشيطان قبل المنية هو في الحقيقة الخسران من الشرك والبدع والذُّنوب.

وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ **في الحديث القدسي: «من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»**، رواه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وعيد وتهديد شديد من معاداة أولياء الله؛ لأنَّها معاداة لله، ومن حارب الله فإنَّه مغلوب.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّه أحقر وأقل من أن يحارب ربه، لكنَّها خيلت له نفسه الأمَّارة بالسُّوء هذا الخيال الباطل، فعادىٰ من أمره الله بموالاته ومحبَّته، مع علمه بأن ذلك ممَّا يُسخط الرَّبَّ، ويوجب حلول العقوبة عليه وإيقاعه في المهالك التي لا ينجو منها.

---

(١) رموز الكنوز (١/ ٦٣١).

(٢) قطر الولي علىٰ حديث الوليِّ (ص٣٦٥).

قال الفاكهاني: «في هذا الحديث تهديد شديد؛ لأنَّ من حاربه الله تعالىٰ أهلكه»».

وسادات أولياء الله هم الصَّحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه، فهم «**خير النَّاس**» بخبر الذي لا ينطق عن الهوىٰ، وأحقُّ المؤمنين بالولاء الذين اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ لنصرة دينه وصحبة رسوله ﷺ، وأداء الدِّين للأمَّة كلِّها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من كان من أولياء الله المتَّقين؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وغيرهم؛ فمحبَّة هؤلاء من أوثق عرىٰ الإيمان وأعظم حسنات المتَّقين».

وأهل السُّنَّة والجماعة وسط في موالاة سادات المؤمنين وأولياء الله المتَّقين، يوالون الصَّحابة وآل البيت جميعًا؛ فهم وسط بين النَّاصبة الذين يبغضون آل البيت والرَّافضة الذين يكفِّرون ويبغضون الصَّحابة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أهل السُّنَّة في الإسلام كأهل الإسلام في الأديان، يتولَّون أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته، ويعرفون حقوق الصَّحابة وحقوق القرابة، كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بذلك ورسوله ﷺ».

وسادات الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا يتولَّون قرابة رسول الله ﷺ أهل بيته، قال أبو بكر الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي. رواه البخاري.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣١٥).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الخامسة (ص١٥٢).

وكان الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُدني عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في مجلسه ومشورته.

وسادات آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتولون الصَّحابة، قال عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «خير النَّاس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا». رواه البخاري.

وقال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **عن ذي النُّورين عثمان بن عفَّان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان من الذين آمنوا، ثم اتَّقوا وآمنوا[(١)].

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: حدَّثني رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر... رواه البخاري ومسلم.

وكل ما ورد في القرآن من الثَّناء علىٰ الصَّحابة المرضيين؛ فإنَّه يشمل آل البيت الذين آمنوا به وصحبوه.

قال العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[(٢)]: «من جاء إلىٰ أصحاب رسول الله ﷺ حتىٰ يطعن في بعضهم ويهوىٰ بعضهم، ويذم بعضًا ويمدح بعضًا؛ فهذا رجل طالب فتنة، وفي الفتنة وقع؛ لأنَّه واجب عليه محبَّة الجميع والاستغفار للجميع، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

والعلماء سادات أولياء الله، جمعوا - مع ما جمعه عموم الأولياء من توحيد

---

(١) الشريعة للآجري (ص٦٥٤).

(٢) الشريعة (ص٧١٠)، ط: دار الحديث - القاهرة.

الله وتقواه - أداء العلم للنَّاس الذي يُحفظ به الدِّين، وأقاموا شعائر وشرائع الإسلام، وأحيوا ما اندرس من أحكامه وعباداته وسننه، وحفظوا الدِّين من التَّحريف والتَّبديل.

قال العلامة محمد بن عليٍّ الشَّوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا الأسباب التي نال بها العلماء ولاية الله[1]: «يصاولون أعداء الدِّين الملحدين والمبتدعين».

والعلماء ورثة الأنبياء يؤدُّون للنَّاس ميراثهم، ويبيِّنون لهم صراط الله الذي من أخذ به؛ فقد سار في طريق الجنة.

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إن لم يكن الفقهاء أولياء الله في الآخرة، فما لله ولي».

فموالاة العلماء دين، قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «محبة العالم دين يُدان به»، رواه الخطيب البغدادي[3]، وحسنه[4].

فالعلماء بذلوا أعمارهم وأوقاتهم في طلب العلم وأدائه للنَّاس، جزاهم الله عن الإسلام خيرًا.

قال العلَّامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]: «فإذا فتح الله عليهم

(١) قطر الوليِّ عن حديث الوليِّ (ص٣٠٩).

(٢) مناقب الشافعي (٢/ ١٥٥).

(٣) الفقيه والمتفقِّه (١/ ١٨٢).

(٤) الفقه والمتفقِّه (١/ ١٨٤).

(٥) قطر الوليِّ علىٰ حديث الولي (ص٣٠٧).

بالمعارف العلميَّة، ثم منحهم العمل بها، ونشرها في النَّاس، وإرشاد العباد إلىٰ ما شرعه الله لأمَّته، والقيام بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ فهذه رتبة عظيمة، ومنزلة شريفة، ولهذا ورد أنَّهم ورثة الأنبياء، وهم الذي قال الله سبحانه فيهم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]».

العلماء بركة الدُّنيا، حفظوها عن أسباب ذهابها، فبقاؤها ببقاء نور الوحي الذي يحيونه، فإذا لم يبق في الأرض من يقول: الله، الله؛ أقام الله القيامة.

قال تعالىٰ عن بركة نبيِّه عيسىٰ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جعلني مُعلِّمًا للخير[١].

وأولياء الله طبقات، والمؤمنون خير وأفضل المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، والمؤمنون يتفاضلون في إيمانهم بحسب ما تحقَّقوا به من شُعبه؛ فالإيمان بضع وستون شعبة، والمؤمن هو الذي تحقق بأركان الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعمل بأركان الإسلام، بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا.

وذكر الله طبقات المسلمين بحسب ما قاموا به من الإسلام، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٥).

﴿سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر: ٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد قسم الله سبحانه الأمَّة التي أورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الظالم لنفسه: الذي ترجَّحَتْ سيئاته علىٰ حسناته، والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته، والسَّابق: من ترجَّحت حسناته علىٰ سيئاته».

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هذا القول أشهر الأقوال في التفسير، وأشبه بالأحاديث والآثار».

فكل من كان أمكن في حقائق الإسلام والإيمان؛ فالولاء له بقدر تمكُّنه في ذلك، قال النبيُّ ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، متَّفق عليه.

وقال النبيُّ ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «السعيد من اعتصم بكتاب الله، واتَّبع الرسول ﷺ في سنَّته وشريعته، والمهتدي بمناره المقتفي لآثاره؛ هو أفضل الخلق في دنياه وآخرته».

---

(١) شرح حديث جبريل (ص٣٢٩، ٣٣٠).

(٢، ٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٢٩٣).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٢٤٥).

فالمقصود أن موالاة المؤمنين تكون تبعًا لتمكُّنهم في وصف الإيمان الموجب للولاء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، فمن كان أمكن إيمانًا كانت ولايته بقدرها.

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الحكم إذا عُلِّق بوصف؛ كان ثبوته قوةً وضعفًا ووجودًا وعدمًا بحسب ذلك الوصف».

وبعض من اهتدىٰ بعد ضلالة أو كان ناشئًا في الطاعة؛ يجهل علىٰ عصاة المسلمين، سبًّا وإساءةً وتبكيتًا، وغلاة الخوارج يعاملونهم معاملة الكافرين في البراءة منهم براءة كلِّيَّة، وهذا ضلال في العقيدة والمنهج؛ فالمسلم له حق الولاء لإسلامه بقدره، ومع هذا من حقِّه علينا معاملته بالمعروف ومعاملته بالحكمة، قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وفي قول النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ حثَّ علىٰ تنمية الخير في المؤمنين، فيقوىٰ بذلك إيمان الضَّعيف، ويزداد القوي قوة.

فقوله ﷺ: «**وفي كل خير**»؛ دليل علىٰ وجوب موالاة جميع المسلمين، فالتَّوحيد الذي معهم هو أساس الخير، والمصلحون إنَّما يسعون لتنمية الخير الذي في المسلمين.

---

(١) تفسير سورة القصص (ص١٧٢).

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ لنا كيف تنبغي معاملة عصاة المسلمين، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وإذا جاءك المؤمنون، فحَيِّهم ورحِّب بهم ولَقِّهم منك تحية وسلامًا، وبشِّرهم بما يُنشط عزائمهم وهممهم، من رحمة الله وسَعة جوده وإحسانه، وحُثهم علىٰ كل سبب وطريق يوصل لذلك.

ورَهِّبْهم من الإقامة علىٰ الذنوب، وأْمُرْهم بالتوبة من المعاصي؛ لينالوا مغفرة ربهم وجوده».

وصفة المؤمنين التراحم فيما بينهم، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالتواصي مع المسلمين بالحق والمرحمة هو الذي يحصل به الخير للمسلمين وأمّتهم، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «المؤمن الفاسق نواليه من جهة إيمانه، فنحبُّه علىٰ ما معه من الإيمان، ونناصره علىٰ ما معه من الإيمان،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٢٦١).

(٢) التعليق علىٰ صحيح مسلم (١/ ٦٤٢، ٦٤٣).

ونكرهه علىٰ ما معه من الفسوق، وكذلك نعاديه علىٰ ما معه من الفسوق، ولا نناصره علىٰ ذلك، أي: علىٰ فسوقه.

فإن قال قائل: وهل يمكن أن يجتمع في القلب حبٌّ وبغض، وموالاة ومعاداة؟

قلنا: نعم، يمكن ذلك، ألست تتناول الدَّواء، وهو كريه الرائحة، مرُّ الطَّعم؛ فتحبه من وجه، وتكرهه من وجه؟

فمن جهة أن الله تعالىٰ يجعل فيه الشفاء؛ تحبُّه، ومن جهة مرارة الطَّعم؛ تكرهه.

وهذا الرَّجل كذلك، نحبُّه علىٰ ما معه من الإيمان، ولولا أني لم أحبه علىٰ ما معه من الإيمان؛ لكان هو والكافر علىٰ حدٍّ سواء، وأكرهه علىٰ ما معه من الفسق، ولولا ذلك لكان هو وكامل الإيمان علىٰ حدٍّ سواء، وهذا خلاف القِسط، وخلاف العدل.

وهذا بالنسبة للفاعل، وإذا شئت فقل: بالنسبة للعامل؛ أما العمل فنكره الباطل مطلقًا، ولهذا نقول: البراءة من العامل غير البراءة من العمل، فالعمل الذي هو الفسوق نتبرأ منه مطلقًا، وكل المعاصي نتبرأ منها وإن لم تبلغ حد الكفر، وكل الطَّاعات نواليها ونقبلها ونُحبُّها.

وهذا فرق يجب اعتباره، وهو التَّفريق بين العمل والعامل».

وموالاة المؤمنين تكون فيما وافقوا فيه الحقَّ من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وما أخطئوا فيه يكون الولاء لله عَزَّوَجَلَّ بالتحيُّز إلىٰ فئته بتبيين الحق للمؤمنين، بالنَّصيحة لله عَزَّوَجَلَّ وكتابه ورسوله ﷺ وسنَّته، ويكون في ذلك حفظ

الدِّين من التَّحريف، والتَّواصي مع المؤمنين علىٰ الحقِّ لا علىٰ الباطل، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وبهذا المنهج حُفظ الدين من التَّحريف، وبقيت الطائفة المنصورة تؤدي الدين إلىٰ الأمَّة كما توارثته عن السَّابقين الأولين، وهذا هو حقيقة موالاة الله عَزَّوَجَلَّ واتباع السَّابقين الأولين بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله**»، رواه البخاري ومسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يُشرَع اجتماع طائفة وتحزُّبُهم علىٰ التناصر المطلق، بحيث ينصر بَعضُهم بعضًا في الحق والباطل، بل الواجب علىٰ كل أحدٍ اتباع كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، والمؤمنون إخوة يجب موالاة بعضهم بعضًا، وتناصرهم وتعاونهم علىٰ البر والتقوىٰ».

والجهَّال والمبتدعة ينصرون ضلالهم ويتحزَّبون لباطلهم، وهذا بعض من ضلالهم عن اتباع الرَّسول ﷺ، وشأن المسلم اتباع الرسول ﷺ، والتحيُّز للحقِّ الذي أدَّاه إلينا فَهْم الصَّحابة لمعاني القرآن والسُّنَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ

---

(١) جامع المسائل، المجموعة الأولىٰ (ص١٩١).

وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «شأن أهل البدع أنهم يبتدعون بدعةً، ويُوالونَ عليها ويُعادُون، ويَذُمُّون بل يُفسِّقون بل يُكفِّرون من خالفهم، كما يَفعلُ الخوارجُ والرافضةُ والجهميةُ وأمثالُهم. وأما أهل العلم والسنَّة فيتبعون الحقَّ الذي جاءَ به الكتابُ والسنَّة، ويَعذُرونَ مَن خالفَهم إذا كان مجتهدًا مخطئًا أو مقلدًا له؛ فإنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ تجاوَز لهذه الأمَّة عن الخطأ والنسيان، وقد قال في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقد ثبتَ في الصحيح أنَّ الله استجابَ هذا الدعاء، وقال: «**قد فَعلتُ**»».

وما انقسمت الأمَّة إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة إلا بسبب الإصرار علىٰ الباطل والعناد للحق، وإيثار الحزبيَّة.

وهل انتصر كفَّار قريش لعبادة الحجر إلا بسبب حمية الجاهلية، فاحذر أيها المسلم الانتصار للباطل والإصرار عليه، واجتنب الحزبيَّة وفارقها؛ فإنَّها تصد عن العدل والإنصاف واتباع الحق.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن من أطاع الرسول، ووحَّد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب؛ والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ

(١) جامع المسائل، المجموعة الخامسة (ص١٢٢).

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ٥، ٦).

كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

فقد أبان الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة التوحيد وأنها تأسست علىٰ البراء من الشرك والمشركين؛ وقال أيضًا في تأكيد بيان هذه العقيدة[١]: «الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، **والخلوص من الشرك**».

وقال مقررًا لذلك في معنىٰ ركن كلمة التوحيد[٢]: «"لا إله": نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله، "إلا الله" مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه، وتفسيرها الذي يوضِّحها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]».

وقال مبينًا منهج النبي ﷺ في دعوته[٣]: «نُبئ بـ"اقرأ"، وأُرسل بـ"المُدَّثر"، وبلده مكة بعثه الله بالنِّذارة عن الشرك، ويدعو إلىٰ التوحيد».

وقال الإمام أيضًا[٤]: «ومعنىٰ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ٢] يُنذر عن الشِّرك، ويدعو إلىٰ

(١) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ١٥).

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ١٦).

(٣) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ٢٤).

(٤) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ٢٤، ٢٥).

التَّوحيد».

وقال زيادةً في البيان[١]: «﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، الرُّجز: الأصنام، وهجرها: تركها، والبراءة منها وأهلها».

وقال أيضًا مبينًا واجب المسلمين في مفارقة ديار الشرك[٢]: «والهجرة فريضة علىٰ هذه الأمة من بلد الشِّرك إلىٰ بلد الإسلام، وهي باقية إلىٰ أن تقوم الساعة».

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ **مبيّنًا حقيقة دعوة المرسلين**[٣]: «وكلُّ أمة بعث الله إليها رسولًا - من نوح إلىٰ محمد - يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت؛ والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وافترض الله علىٰ جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله».

وقال موضحًا ومقررًا ومبيّنًا ذلك في كتاب التوحيد باب [تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله][٤]، في المسائل[٥]: «قول الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للكفار ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فاستثنىٰ من المعبودين ربَّه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسيرة شهادة أن لا إله إلا

---

(١) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ٢٥).

(٢) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ٢٥، ٢٦).

(٣) الأصول الثلاثة وأدلتها (ص ٣١، ٣٢).

(٤) كتاب التوحيد (ص٣٣).

(٥) كتاب التوحيد (ص٣٤).

الله، فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨]».

والإيمان بالله وتوحيده لابد فيه من الولاء لله وللمؤمنين والبراء من الشرك والمشركين.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الإيمان بالله والنبي وما أُنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم.

وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فأخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يوادّ كافرًا، فمن وادّ الكفار فليس بمؤمن، فالمشابهة الظاهرة مظنة المودة؛ فتكون محرمة».

والموالاة هي المحبَّة في الله للمؤمنين ومودَّتهم ونصرتهم، والمعاداة هي البغض في الله للكافرين وعداوتهم وعدم نصرتهم في المضارة بالإسلام والمسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الموالاة تقتضي التحابَّ والجمع،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٣١).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٢/ ٥٠٢).

والمعاداة تقتضي التباغض والتفرق، والله سبحانه قد ذكر الموالاة والجمع بين المؤمنين، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وذكر العداوة بينهم وبين الكفار فقال: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ثم ذكر حال المستنصرين بهم؛ فإن الموالاة موجبها التعاون والتناصر».

والتشبه بالكافرين مضاد للبراء منهم وكيف يتشبه المسلمون بالكافرين وقد أخبرنا الله بما تكنُّه صدورهم نحونا؟! قال سبحانه: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

والكفار فرحهم عظيم بتشبه المسلمين بهم، وكلما عظم تشبه المسلمين بهم عظم فرحهم، ولا يرضيهم إلا أن نكون علىٰ دينهم، قال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

والتشبه بالكافرين يُضعف الدين، ويفسد عقيدة البراء من الكافرين، ويجعل المسلم مجافيًا لدينه متوليًا أعداءه، ساخرًا بقومه، منبهرًا بالكافرين الذين نعتهم الله بأنهم أعداؤه، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

والتشبه بالكافرين هو دهليز المروق من الدين والكفر برب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله: ﴿كَـٰفِرِينَ﴾، المراد به: الكفر المخرج عن الملة، لكنهم قد لا يستطيعون أن يخرجونا من الإيمان بالكلية، لكن بالتدريج مما يلقونه أمامنا من معوقات كمال الإيمان، حتىٰ ينحل الإيمان شيئًا فشيئًا، ولا يبقىٰ في القلوب شيء، وحينئذ يكون الكفر المحض».

والتشبه بالكافرين يُوقع في الشرك، وقد نص النبي ﷺ علىٰ هذا المعنىٰ بعينه؛ حتىٰ يحفظ المسلمون عقيدتهم وتوحيدهم وإيمانهم، ففي «صحيح مسلم» من حديث جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وصف ﷺ أن الذين كانوا قبلنا كانوا يتخذون قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وعقّب هذا الوصف بالأمر بحرف الفاء، أن لا يتخذوا القبور مساجد، وقال إنه ﷺ ينهانا عن ذلك، ففيه

---

(١) تفسير سورة آل عمران (١/ ٥٧٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٩٨، ١٩٩)، ط: دار الفضيلة.

دلالة علىٰ أن اتخاذ من قبلنا سبب لنهينا، إما مظهر للنهي، وإما موجب للنهي، وذلك يقتضي: أن أعمالهم دلالة وعلامة علىٰ أن الله ينهانا عنها، أو أنها علة مقتضية للنهي».

ومن أوضح الأدلة علىٰ أن التشبه بالكافرين يُوقع في الشرك: حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السنن، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**»، رواه مالك، والنسائي، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والبراءة من الشرك والكفر والكافرين، وترك موالاتهم وموادتهم والتشبه بهم؛ من أوضح شعائر الإسلام، وهي صفة المؤمنين الذين تحققوا بالإيمان والتوحيد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ونظائر هذا في غير موضع من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١١٦).

القرآن: يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقًّا - الذين هم حزبه وجنده - ويُخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين، ولا يوادونهم».

وظهور هذه العقيدة في شرع الإسلام ووضوحه يعرفه المشركون معرفة ظاهرة، فضلًا عن أهل الإسلام أنفسهم، فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبيَّ ﷺ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلَّا خالفنا فيه.

ومخالفة الشرك والكفر والمشركين هو من تحقيق التوحيد ولزوم الدين، ومن أسباب ظهوره وظهور شرائعه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «**لا يزال الدين ظاهرًا ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارىٰ يؤخرون**»، رواه أبو داود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارىٰ.

وإذا كان مخالفتهم سببًا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله علىٰ الدين كله، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ١٣١).

ومع كثرة الأدلة من القرآن والسنة الآمرة بالبراء من الكافرين ومخالفتهم، فالعقل يقتضي ذلك، فالتوحيد والصلاة وقراءة القرآن تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، قال تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، والكفر والأهواء لا تبعث ولا تدعو إلا إلىٰ الأعمال الفاسدة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «فالكفر بمنزلة مرض القلب، وأشد، ومتىٰ كان القلب مريضًا، لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة، وإنما الصلاح: أن لا تُشبه مريض القلب في شيء من أموره، وإن خفي عليك مرض ذلك العضو، لكن يكفيك أن فساد الأصل لا بد أن يؤثر في الفرع».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شأن أعمال الكافرين**[(٢)]: «إن جميع ما يعملونه - مما ليس من أعمال المسلمين السابقين - إما كفر، وإما معصية، وإما شعار كفر، أو معصية، وإما مظنة للكفر والمعصية، وإما أن يخاف أن يجر إلىٰ معصية، وما أحسب أحدًا ينازع في جميع هذا».

والواجب علىٰ المسلمين التأسي والتشبه بخير خلق الله أجمعين، الأسوة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٢٥). (٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٦١).

الحسنة، المعصوم، المصطفىٰ - صلوات الله وسلامه عليه - ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، والتشبه بالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم**»، متفق عليه من حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «وقد قال تعالىٰ لنبيه عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وذلك يقتضي تبرّؤه منهم في جميع الأشياء. ومن تابع غيره في بعض أموره، فهو منه في ذلك الأمر، لأن قول القائل: أنا من هذا، وهذا مني. أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي؛ لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وقوله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أنت مني وأنا منك**».

فقول القائل: لست من هذا في شيء. أي: لست مشاركًا له في شيء، أنا متبريء من جميع أموره.

وإذا كان قد برّأ الله رسوله ﷺ من جميع أمورهم، فمن كان متبعًا للرسول ﷺ حقيقة كان متبرئًا من جميع أمورهم، فمن كان متبعًا للرسول ﷺ كان متبرئًا كتبرُّئه، ومن كان موافقًا لهم كان مخالفًا للرسول ﷺ بقدر موافقته لهم، فإن الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما، كلما شابهت أحدهما، خالفت الآخر».

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن أعمال الكافرين ضلال، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١١٢).

﴿كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٨]، وهذا كافٍ في الزجر عن التشبه بالكافرين، قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿وَأَضَلَّ﴾ الله ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ أي: أبطلها وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله؛ أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يُدركوا مما قصدوا شيئًا، وأعمالهم التي يرجون أن يُثابوا عليها، أن الله سيُحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يُراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان، والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة؛ كانت الأعمال لأجلها باطلة».

والموالاة للمؤمنين والبراءة من الكافرين باعثها حب الله والإيمان به، وكلما قوي إيمان العبد قويت محبته للمؤمنين وموالاته لهم، فإن «**أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»، كما قال النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وإنما عبد الله من يرضيه ما يُرضي الله، ويُسخطه ما يُسخط الله، ويُحبُّ ما أحبه الله ورسوله ﷺ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ﷺ، ويوالي أولياء الله، ويُعادي أعداء الله تعالىٰ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان، كما في الحديث: «**من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»، وقال: «**أوثق عُرىٰ الإيمان: الحُبُّ في الله،**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٥٠، ٧٥١).

(٢) العبودية (ص ٨٢، ٨٣).

والبُغض في الله»، وفي الصحيح عنه ﷺ: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله ﷺ أحبَّ إليه مما سواهما، ومن كان يُحبُّ المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُلقىٰ في النار**». فهذا وافق ربَّه فيما يُحبُّهُ وما يكرهه، فكان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأحبَّ المخلوق لله لا لغَرَضٍ آخر، فكان هذا من تمام حُبِّه لله، فإنَّ محبَّة مَحْبُوبِ المحبوب من تمام محبة المحبوب، فإذا أحبَّ أنبياء الله – عليهم السلام – وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحقِّ، لا لشيء آخر، فقد أحبَّهم لله لا لغيره، وقد قال تعالىٰ: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [المائدة: ٥٤]، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فإن الرسول ﷺ يأمر بما يُحبُّ الله، وينهىٰ عمَّا يبغضه الله، ويفعل ما يُحبُّه الله، ويُخبر بما يُحبُّ الله التصديق به.

فمن كان مُحبًّا لله لزم أن يتَّبع الرَّسول ﷺ، فيُصدِّقه فيما أخبر، ويُطيعه فيما أمر، ويتأسَّىٰ به فيما فَعَلَ، ومن فعل هذا فقد فعل ما يُحبُّه الله؛ فيُحبُّه الله».

والأخوَّة في الله، والموالاة فيه ألغت حِلْف الجاهليَّة الذي كان يتناصر أهل الجاهلية بموجبه علىٰ الحق والباطل، وجاء الإسلام بالتَّناصر بالحقِّ لتكون كلمة الله هي العليا.

عن جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**لا حِلْفَ في الإسلام، وأَيُّما حِلْفٍ كان في الجاهليَّة لم يزده الإسلام إلَّا شدَّةً**»، رواه مسلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ المراد بالحديث: أنَّ الله تعالىٰ قد ألَّف بين المسلمين بالإسلام، وجعلهم به إخوةً متناصرين متعاضدين، يدًا واحدة، بمنزلة الجسد الواحد، فقد أغناهم بالإسلام عن الحلف.

بل الذي توجبه أخوَّة الإسلام لبعضهم علىٰ بعض أعظم مما يقتضيه الحلف؛ فالحلف إن اقتضىٰ شيئًا يخالف الإسلام فهو باطل، وإن اقتضىٰ ما يقتضيه الإسلام فلا تأثير له، فلا فائدة فيه.

وإذا كان قد وقع في الجاهلية ثم جاء الإسلام بمقتضاه؛ لم يزده إلا شدةً وتأكيدًا.

وأما قول النبيِّ ﷺ: «**شهدت حِلْفًا في الجاهلية ما أحب أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم، لو دُعيتُ إلىٰ مثله في الإسلام لأجبت**»، فهذا - والله أعلم - هو حلف المطيَّبين؛ حيث تحالفت قريش علىٰ نصر المظلوم، وكفِّ الظالم ونحوه، فهذا إذا وقع في الإسلام كان تأكيدًا لموجب الإسلام وتقوية له.

وأما الحلف الذي أبطله؛ فهو تحالف القبائل بأن يقوم بعضها مع بعض وينصره، ويحارب من حاربه، ويسالم من سالمه؛ فهذا لا يُعقَد في الإسلام. وما كان منه قد وقع في الجاهلية؛ فإنَّ الإسلام يؤكِّده ويشده؛ إذ صار موجَبُه في الإسلام التناصر والتعاضد والتساعد علىٰ إعلاء كلمة الله تعالىٰ وجهاد أعدائه، وتأليف الكلمة وجمع الشمل».

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٣٢٢، ٣٢٣).

والبراءة من الشرك والمشركين والكفر والكافرين هو من تجريد التأله لله رب العالمين، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ تحقق القلب بمعنىٰ «لا إله إلا الله»، وصدقه فيها، وإخلاصه بها يقتضي أنْ يرسخَ فيه تألُّهُ الله وحده؛ إجلالًا، وهيبةً، ومخافةً، ومحبَّةً، ورجاءً، وتعظيمًا، وتوكُّلًا، ويمتلئَ بذلك، وينتفيَ عنه تألُّه ما سواه من المخلوقين، ومتىٰ كان كذلك، لم يبقَ فيه محبَّةٌ، ولا إرادةٌ، ولا طلبٌ لغير ما يُريدُهُ الله ويحبُّه ويطلبه، وينتفي بذلك مِنَ القلب جميعُ أهواءِ النُّفوس وإراداتها، ووساوس الشيطان، فمن أحب شيئًا وأطاعه، وأحبَّ عليه وأبغض عليه؛ فهو إلههُ، فمن كان لا يحبُّ ولا يبغُض إلا لله، ولا يُوالي ولا يُعادي إلا له، فالله إلههُ حقًّا، ومن أحبَّ لهواه، وأبغض له، ووالىٰ عليه، وعادىٰ عليه، فإلهه هواه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، قالَ الحسن: هوَ الذي لا يهوىٰ شيئًا إلا ركبه. وقال قتادة: هوَ الذي كلما هَوِيَ شيئًا ركبه، وكلما اشتهىٰ شيئًا أتاه، لا يَحجزُهُ عن ذلك ورعٌ ولا تقوىٰ».

وهل تغيّرت ملة إبراهيم في جزيرة العرب ووقع الشرك وحُرّم الحلال إلا بسبب التشبه بالكافرين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت، ويُقال: إنه جلبها من البلقاء، من أرض الشام، متشبهًا بأهل البلقاء، وهو أول من سيّب السائبة، ووصل الوصيلة،

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٣٩٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٠٩).

وحمىٰ الحامي، فأخبر النبي ﷺ أنه رآه «**يجر قصبه في النار**»، وهي الأمعاء، ومنه سُمي القصاب بذلك، لأنها تُشبه القصب، ومعلوم أن العرب قبله كانوا علىٰ ملة أبيهم إبراهيم، علىٰ شريعة التوحيد، والحنيفية السمحة، دين أبيهم إبراهيم.

فتشبّهوا بعمرو بن لحي وكان عظيم أهل مكة يومئذ، لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش، وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة؛ لأن فيها بيت الله، وإليها الحج، ما زالوا مُعظّمين من زمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتشبه عمرو بمن رآه في الشام، واستحسن بعقله ما كانوا عليه، ورأىٰ أن في تحريم ما حرّمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي تعظيمًا لله ودينًا، فكان ما فعله أصل الشرك في العرب، أهل دين إبراهيم، وأصل تحريم الحلال، وإنما فعله متشبهًا فيه بغيره من أهل الأرض، فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتىٰ غلب علىٰ أفضل الأرض الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وتغير دينه الحنيف، إلىٰ أن بعث الله رسوله ﷺ فأحيا ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأقام التوحيد، وحلّل ما كانوا يحرمونه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من كانت له خبرة بالسيرة علم يقينًا أن المسلمين علىٰ عهده ﷺ ما كانوا يشركونهم –الكفار– في شيء من أمرهم».

وقال[2]: «ثم علىٰ هذا جرىٰ عمل المسلمين علىٰ عهد الخلفاء الراشدين».

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٠٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كلما كثرت المخالفة بينك وبين أصحاب الجحيم، كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم».

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لأنَّ التَّولِّي التَّام يوجب الانتقال إلىٰ دينهم، والتَّولِّي القليل يدعو إلىٰ الكثير، ثم يتدرَّج شيئًا فشيئًا، حتىٰ يكون العبد منهم».

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «لأنَّ التَّولِّي التَّام يوجب الانتقال إلىٰ دينهم، والتولي القليل يدعو إلىٰ الكثير، يم يتدرَّج شيئًا فشيئًا، حتىٰ يكون العبد منهم».

والنهي عن مشابهة الكافرين، هذا عام في كل ما اختصوا به، وإذا كان من شعارهم، فالنهي أغلظ وأشد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «إن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، وأظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٠٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٣٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٣٧).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣١٧).

تنتهي إلىٰ الكفر في الجملة بشروطه».

ومشابهة الكفار في صغير أمورهم يفضي إلىٰ مشابهتهم في شعائرهم وأمورهم الكبيرة؛ فلا ريب في تحريم هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة إلىٰ بعض هذه القبائح، كانت محرمة، فكيف إذا أفضت إلىٰ ما هو كفر بالله؛ من التبرك بالصليب والتعميد في المعمودية، أو قول القائل: المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة. ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية المبدلتين المنسوختين موصلة إلىٰ الله، وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله، أو التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك، وأصل ذلك المشابهة والمشاركة.

وبهذا يتبين لك **كمال موقع الشريعة الحنيفية**، وبعض حكمة ما شرعه الله لرسوله ﷺ من **مباينة الكفار ومخالفتهم في عامة أمورهم؛ لتكون المخالفة أحسم لمادة الشر، وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس**».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا علّة النهي عن التشبه بالكفار مطلقًا[2]: «استدلالنا بأصول الشريعة يوجب النهي عن هذه الذريعة، فكيف وقد

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢٥).

رأينا من المنكرات التي أفضت إليها المشابهة ما قد يوجب الخروج من الإسلام بالكلية؟!

وسر هذا الوجه: أن المشابهة تفضي إلىٰ كفر، أو معصية غالبًا، أو تفضي إليهما في الجملة، وليس في هذا المفضي مصلحة، وما أفضىٰ إلىٰ ذلك كان محرمًا، فالمشابهة محرّمة. والمقدمة الثانية لا ريب فيها، فإن استقراء الشريعة في مواردها ومصادرها دال علىٰ أن ما أفضىٰ إلىٰ الكفر - غالبًا - حرم، وما أفضىٰ إليه علىٰ وجه خفي حرم، وما أفضىٰ إليه في الجملة ولا حاجة تدعو إليه حرم، كما قد تكلمنا علىٰ قاعدة الذرائع في غير هذا الكتاب».

وشريعة الإسلام كمالها يغني عن التشبه بأهل الشرائع المنسوخة والمُحرّفة والمبدّلة، وليت الناس أخذوا ما آتاهم الله بقوة من الشريعة الكاملة الناسخة لما سبقها من الشرائع حتىٰ يأخذوا مما لا يجوز من أعمال الضالين والمغضوب عليهم، ولكن ضيّعوا، إلا ما شاء الله.

ومعلوم أن من تشبّه بالكفار ضعف دينه وإيمانه وربما ذهب بالكلية بحسب ما تشبّه بهم فيه، ومن كان هذا شأنه ضعفت رغبته في الأخذ بالشريعة الكاملة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن الله شرع علىٰ لسان خاتم النبيين من الأعمال ما فيه صلاح الخلق علىٰ أتم الوجوه، وهو الكمال المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] ولهذا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢٦).

أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية، فإنه لا عيد في النوع أعظم من العيد الذي يجتمع فيه المكان والزمان وهو عيد النحر، ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله ﷺ بعامة المسلمين، وقد نفىٰ الله تعالىٰ الكفر وأهله. والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ويُروىٰ مرفوعًا: «إن كل آدب يُحب أن تؤتىٰ مأدبته، وإن مأدبة الله هي القرآن».

ومن شأن الجسد إذا كان جائعًا فأخذ من طعام حاجته، استغنىٰ عن طعام آخر، حتىٰ لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشم، وربما ضره أكله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمَّته إلىٰ المشروع، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه ويكمل إسلامه».

ومشابهة الكفار في الظاهر تُوقع في المشابهة في الباطن، ناهيك عما يورثه ذلك من محاكاتهم في أخلاقهم وصفاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الله تعالىٰ جبل بني آدم - بل سائر المخلوقات - علىٰ التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتىٰ يؤول الأمر إلىٰ أن لا يتميّز

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢٩، ٣٣٠).

أحدهما عن الآخر إلَّا بالعين فقط، ولما كان بين الإنسان وبين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص كان التفاعل فيه أشد، ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط، فلا بد من نوع تفاعل بقدره، ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلًا، فلا بد من نوع ما من المفاعلة.

ولأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه، ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل الإبل، وصارت السكينة في أهل الغنم، وصار الجمّالون والبغّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وكذلك الكلّابون، وصار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق الناس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة علىٰ وجه المسارقة والتدريج الخفي.

وقد رأينا اليهود والنصارىٰ الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرًا من غيرهم[1]، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارىٰ هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرّد الإسلام، والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضًا مناسبة وائتلافًا وإن بعُد المكان والزمان».

والتشبه بالكافرين قد يكون كفرًا وقد يكون معصية؛ بحسب ما تُشبه بهم

(١) لا يخالطهم بقصد دعوتهم للإسلام إلا من كان قويًّا في دينه وعلمه.

فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ولحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تشبّه بقوم فهو منهم**»، رواه أحمد، وجوّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

وقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «من بنىٰ بأرض المشركين، وصنع نيروزهم، ومهرجانهم، وتشبّه بهم حتىٰ يموت؛ حُشر معهم يوم القيامة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قد يُحمل هذا علىٰ التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد **يُحمل علىٰ أنه منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرًا، أو معصية، أو شعارًا لها، كان حكمه كذلك**».

وحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فيه تحذير من إعانة المسلم للكافرين علىٰ إقامة أعيادهم الشركيَّة؛ خشية أن يُحشر معهم، والمسلم تجب عليه مفارقة الكفَّار عن مشاركتهم في أمور دينهم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وليحذر المسلم من الإقامة في بلاد الكفَّار؛ فإنَّ ذلك من أسباب التشبُّه بهم، ومن أسباب ضعف الدِّين، وربَّما انسلخ المسلم من دينه بسبب الشرِّ والانحلال الذي اعتاد علىٰ مشاهدته وهو مقيم بين ظهراني الكفَّار.

ويجب علىٰ المسلم مفارقة بلاد الكفَّار حتىٰ لا تجري عليه أحكامهم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٦٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٦٤).

والمسلم موالاته للإسلام وديار الإسلام والمسلمين؛ لأنَّها ديار التَّوحيد، والمسلمون بقيامهم بالإسلام وشعائره وشرائعه إنَّما يدعون إلىٰ الجنَّة، والكفَّار وبلاد الكفر بضدِّ ذلك يدعون إلىٰ النَّار.

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال**: «**أنا بريء من كلِّ مسلم يُقيم بين أظهر المشركين**»، قالوا: يا رسول الله ! لم؟ قال: «**لا ترايا ناراهما**». رواه النَّسائي وأبو داود والتِّرمذي، ورجَّح هو وشيخه البخاري أنَّه مرسل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «الذي يظهر من معنىٰ الحديث أن النار هي شعار القوم عند النزول وعلامتهم، وهي تدعو إليهم، والطارق يأنس بها، فإذا ألمَّ بها جاور أهلها وسالمهم.

فنار المشركين تدعو إلىٰ الشيطان وإلىٰ نار الآخرة؛ فإنها إنما تُوقد في معصية الله، ونار المؤمنين تدعو إلىٰ الله وإلىٰ طاعته وإعزاز دينه، فكيف تتفق الناران وهذا شأنهما؟! وهذا من أفصح الكلام وأجزله، المشتمل علىٰ المعنىٰ الكثير الجليل بأوجز عبارة».

والموالاة للكافر قد تكون كفرًا مخرجًا من الملة وقد تكون ذنبًا؛ بحسب نية من والاهم ونوع موالاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟

---

(١) تهذيب سنن أبي داود (٢/ ٢٤٠).

(٢) شرح حديث جبريل (ص ٤٠٣، ٤٠٤).

ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقد يحصل من الرجل نوع من موادتهم لرحم أو حاجة، فيكون ذنبًا ينقص به إيمانه، ولا يكون به كافرًا، كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [الممتحنة: ١].

وكما حصل من سعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما انتصر لابن أُبَيٍّ، نوبة الإفك، فقال لسعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كذبت، لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله.

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية.

ولهذه الشبهة سمى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حاطبًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ منافقًا، فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال له: «**إنه قد شهد بدرًا**». فكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ متأولًا في تسميته منافقًا للشعبة التي فعلها، وكذلك قول أسيد بن حضير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لسعد بن عبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كذبت لعمر الله لنقتلنه، إنما أنت منافق تجادل عن المنافقين. هو من هذا الباب.

وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشن: منافق. إن كان قال ذلك، لما رأى فيه من نوع معاشرة، ومودة للمنافقين.

ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب، وفيه شعبة من النفاق، وكان

كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان، ولما قوي الإيمان - وظهور الإيمان وقوته عام تبوك -؛ صاروا يتعاقبون من النفاق علىٰ ما لم يكونوا يتعاقبون عليه قبل ذلك».

وقال شيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والنفاق كالكفر، نفاق دون نفاق ولهذا كثيرًا ما يقال: كفر ينقل من الملة، وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر، ونفاق أصغر، كما يقال: الشرك شركان: شرك أكبر وأصغر».

وإذا كان الكافر معهودًا بالنَّصيحة للمسلمين، موادًّا لهم، قائمًا بنصرتهم، ساعيًا في دفع شرور أعدائهم عنهم؛ فمحالفة من كان كذلك هو من دفع الشُّرور عن المسلمين، وتخفيف تعاضد الكافرين ضدَّ المسلمين.

عن المسور بن مخرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ خرج زمن الحديبية، فنزل بأقصىٰ الحديبية، فجاءه بديل بن ورقاء الخزاعي[2] في نفر من قومه خزاعة - وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال: إنِّي تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل[3]، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت؛ فقال الرسول ﷺ: «**إنَّا لم نجئ لقتال أحد، ولكنَّا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدَّة ويُخلُّوا بيني وبين النَّاس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه**

(١) شرح حديث جبريل (ص ٤٠٥).

(٢) بديل بن ورقاء الخزاعي، أسلم هو وابنه عبد الله يوم فتح مكة. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ص١٠٨).

(٣) العوذ جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها.

الناس فعلوا، وإلا فقد جمُّوا، وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم علىٰ أمري هذا حتىٰ تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره»، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول[١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «العيبة، بفتح المهملة وسكون التحتانيَّة بعدها موحدة: ما توضع فيه الثِّياب لحفظها، أي أنَّهم موضع النصح له والأمانة علىٰ سرِّه».

وقال الحافظ ابن حجر أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الأصل في موالاة خزاعة للنبيِّ ﷺ أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة، فاستمروا علىٰ ذلك في الإسلام. وفيه جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمَّة إذا دلت القرائن علىٰ نصحهم، وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام علىٰ غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم، ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارًا علىٰ غيرهم، ولا يُعدُّ ذلك من موالاة الكفار ولا موادة أعداء الله، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم ببعض، ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين علىٰ الإطلاق».

والأمة - ولله الحمد - مجمعة علىٰ مقتضىٰ الدليل من الكتاب والسنة من تحريم التشبه بالكافرين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «عامة علماء

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (ص٤٤٧ - رقم ٢٧٣١).

(٢) فتح الباري (٥/ ٣٩٧).

(٣) فتح الباري (٥/ ٣٩٧، ٣٩٨).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٣٣).

الإسلام من المتقدمين، والأئمة المتبوعين وأصحابهم في تعليل النهي عن أشياء بمخالفة الكفار، أو مخالفة النصارىٰ، أو مخالفة الأعاجم، وهو أكثر من أن يمكن استقصاؤه، وما من أحد له أدنىٰ نظر في الفقه إلَّا وقد بلغه من ذلك طائفة، وهذا بعد التأمل والنظر يورث علمًا ضروريًّا باتفاق الأئمة علىٰ النهي عن موافقة الكفار والأعاجم، والأمر بمخالفتهم».

وقبل كلام الفقهاء إجماع الصحابة السابق، كما جاء في شروط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أهل الذمة من نهيهم عن إظهار شعائرهم وشرائعهم، ونهيهم عن التشبه بالمسلمين.

فالمؤمن ينظر في علو الكافرين وظهورهم في هذه الأيام في ضوء قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٧].

ومهما أوتي الكفار من حذق في تدبير أمورهم، فإن مآلهم إلىٰ الضعف، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]، بينما أولياء الله يدبّر أمورهم الله الذي قال حاثًّا علىٰ التوكل عليه: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

والمبتدع كذلك لا يجوز التشبه به وتجب البراءة من بدعته وردّها ونصيحة المسلمين في ذلك، فإن إقرارها سبب لتغيير الشريعة، والبدع بريد الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إن من أصل دروس دين الله

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢١٠).

وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي؛ التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير المحافظة علىٰ سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبُّه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين؟».

وقال أيضًا(١): «أما مشابهة الكفار فكمشابهة أهل البدع وأشد».

علىٰ كل حال: البدع منهي عنها وعن التشبه بأهلها سواء وافقت الكافرين أم لم توافقهم، فكل من البدعة والكفر منهي عنه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «جميع الأدلة الدالة من الكتاب والسنة والإجماع علىٰ قبح البدع، وكراهتها تحريمًا أو تنزيهًا؛ تندرج هذه المشابهات فيها، فيجتمع فيها أنها بدع محدثة، وأنها مشابهة للكافرين، وكل واحد من الوصفين موجب للنهي؛ إذ المشابهة منهي عنها في الجملة ولو كانت في السلف(٣)، والبدع منهي عنها في الجملة، ولو لم يفعلها الكفار، فإذا اجتمع الوصفان صارا علتين مستقلتين في القبح والنهي».

وعند الحديث عن موالاة الكفار والبراءة منهم، لا بد أن يُميّز طالب العلم بين موالاة الكافر ومعاملة الكافر، فمعاملة الكافر وفق قوله تعالىٰ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، لا شيء فيها إذا لم تتضمن محظورًا، فهذا ليس كحبهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣١٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٨٦).

(٣) أي في زمنهم.

وحب ظهور دينهم.

والاستعانة بالكافر حيث تقتضيه الحاجة أو الضرورة لمصلحة الإسلام والمسلمين لا بأس بذلك، فالنبي ﷺ استعان بعمه الكافر أبي طالب في بداية الدعوة عند تسلط كل الأعداء عليه، وأبو بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمكة دخل في جوار ابن الدغنة وهو كافر، رواه البخاري.

والنبي ﷺ أمر بعض أصحابه بالهجرة إلىٰ الحبشة، وكان النجاشي نصرانيًّا، ولم يُسلم بعد.

والنبي ﷺ أعانه بنو هاشم وبنو عبد المطلب وأعيان قريش كالمطعم بن عدي في فك الحصار عنه وعن أصحابه في حصار الشعب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فحمىٰ الله رسوله بعمِّه أبي طالب، لأنه كان شريفًا مُعظَّمًا في قريش، مُطاعًا في أهله، وأهل مكة لا يتجاسرون علىٰ مكاشفته بشيء من الأذىٰ».

وقال ابن القيم في شأن قيام بعض كفَّار قريش بفكّ الحصار عن النبي ﷺ[2]: «وكانت قريش في ذلك بين راضٍ وكاره، فسعىٰ في نقض الصحيفة من كان كارهًا لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك، مشىٰ في ذلك إلىٰ المطعم بن عدي وجماعة من قريش، فأجابوه إلىٰ ذلك».

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٢).

(٢) زاد المعاد (٣/ ٣٠).

وقال تعالىٰ في شأن دفع بعض قوم شعيب الكفرة عنه: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَـٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

والنبي ﷺ في هجرته إلىٰ المدينة استأجر عبد الله بن أُريقط ليدله علىٰ طريق الهجرة، والهجرة كانت هي اللحظة الحاسمة في ظهور الإسلام وعزته وتأسيس دولته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «في استئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط الديلي هاديًا في وقت الهجرة وهو كافر دليل علىٰ جواز الرجوع إلىٰ الكافر في الطب والكحل والأدوية والكتابة والحساب والعيوب ونحوها، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة، ولا يلزم من مجرد كونه كافرًا أن لا يوثق به في شيء أصلًا، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق، ولا سيما في مثل طريق الهجرة».

واستعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية أدراعه وكان كافرًا يوم حنين، قال ابن القيم في «فوائده»[(٢)]: «إن الإمام له أن يستعير سلاح المشركين وعُدتهم لقتال عدوه، كما استعار رسول الله ﷺ أدراع صفوان، وهو يومئذ مشرك».

وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أدركت الأئمة - الفقيه منهم وغير الفقيه - يغزون بأهل الذمة فيقسمون لهم، ويضعون عنهم من جزيتهم».

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٠٨)، ط: دار الفكر.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٤٧٩).

(٣) المحلىٰ (٧/ ٣٣٤).

وسُئل قتادة عن أهل العهد يغزون مع المسلمين؟ قال: لهم ما صالحوا عليه، ما جُعل لهم فهو لهم[(١)].

وقال أبو حنيفة الإمام في الاستعانة بالكافر[(٢)]: «يجوز حيث يستقيمون علىٰ أوامر ونواهي الإمام».

وقال محمد بن عيسىٰ بن أصبغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «رُوي عن مالك أنه أجاز أن يُستعان بهم في القتال إذا كانوا ناحيةً، قال: ولا بأس أن يقوم بمن سالمه من الحربيين علىٰ من لم يُسالمه».

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «وإن كان مشرك يغزو مع المسلمين، وكان معه في الغزو من يطيعه من مسلم أو مشرك، وكانت عليه دلائل الهزيمة والحرص علىٰ غلبة المسلمين وتفريق جماعتهم لم يجز أن يغزو به، وإن غزا به لم يُرضخ له؛ لأن هذا إذا كان في المنافقين مع استتارهم بالإسلام كان في المكتشفين في الشرك مثله فيهم أو أكثر إذا كانت أفعاله كأفعالهم أو أكثر، ومن كان من المشركين علىٰ خلاف هذه الصفة فكانت فيه منفعة للمسلمين بدلالة علىٰ عورة عدو، أو طريق، أو ضيعة، أو نصيحة للمسلمين؛ فلا بأس أن يغزىٰ

---

(١) رواه عبد الرزاق عن معمر سمعت قتادة، المحلىٰ (٧/ ٣٣٤)، إسناده صحيح.

(٢) نيل الأوطار (٧/ ٢٤٤)، ط: دار الكتب العلمية.

(٣) الإنجاد في أبواب الجهاد (ص ١٥٣).

(٤) الأم (٤/ ١٦٦)، ط: دار المعرفة.

به، وأحب إليَّ أن لا يُعطىٰ من الفيء شيئًا، ويستأجر إجارة».

وأما بالنسبة لفقه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، فقد قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وعن أحمد ما يدل علىٰ جواز الاستعانة به، وكلام الخرقي يدل عليه أيضًا عند الحاجة».

ثم قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «ويُشترط أن يكون من يُستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم يجز الاستعانة به؛ لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يُؤْمَن من المسلمين، مثل المُخذّل والمُرْجِف، فالكافر أولىٰ».

وأما حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أنها قالت:** خرج رسول الله ﷺ قِبَلَ بدر، فلما كان بحَرَّة الوبرة - علىٰ مسافة ثلاثة أميال من المدينة -، أدركه رجل قد كان يُذكر منه جُرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: **لا!**

قال: «**ارجع، فلن أستعين بمشرك**»(٣).

فقد أجاب عنه الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله**(٤): «لعله ردّه رجاء إسلامه،

---

(١) المغني (١٣/ ٩٨).

(٢) المغني (١٣/ ٩٨).

(٣) رواه مسلم كتاب الجهاد، باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر (رقم ١٨١٧).

(٤) الأم (٤/ ١٦٧).

وذلك واسع للإمام أن يرد المشرك فيمنعه الغزو، ويأذن له».

فمعنىٰ كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأمر في ذلك إلىٰ رأي الإمام، وقيل: إن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رُخص فيها. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وهذا أقربها».

وعند الحديث عن موالاة الكافرين وعن معاملتهم لا بد من التمييز بين مداراة الكافر ومداهنة الكافر، فالمداراة بذل الدنيا من أجل الدين، والمداهنة بذل الدين من أجل الدنيا، وهذا لا يجوز.

ففي الصَّحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رجلًا استأذن علىٰ النبيِّ ﷺ، فلمَّا رآه قال: «**بئس أخو العشيرة**»، فلما جلس تطلَّق النبيُّ ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلمَّا انطلق الرَّجل؛ قالت له عائشة: يا رسول الله! حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه؛ فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، متىٰ عهِدْتِني فاحشًا؟! إنَّ شرَّ النَّاس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه النَّاس اتِّقاء شرِّه**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قولها: «أنَّ رجلًا»، قال ابن بطَّال: هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان يُقال له: الأحمق المطاع، ورجا النبيُّ ﷺ بإقباله عليه تألفه، ليُسلم قومه؛ لأنَّه كان رئيسهم».

---

(١) التلخيص الحبير (٤/ ١٠١).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٥٧).

وقال القرطبي في دلالة الحديث علىٰ حكم المداراة(١): «الفرق بين المداراة والمداهنة؛ أنَّ المداراة بذل الدُّنيا لصلاح الدُّنيا أو الدِّين، أو هما معًا؛ هي مباحة، وربَّما استحبَّت، والمداهنة ترك الدِّين لصلاح الدُّنيا، والنبيُّ ﷺ إنّما بذل له من دنياه حسن عشرته والرِّفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقولٍ، فلم يناقض قوله فيه فعله؛ فإنَّ قوله فيه قول حقٍّ، وفعله معه حسن عشرة».

فمداراة الكافر ليست من موالاته، بل هي من معاملته بما يكفُّ شرَّه عن الإسلام والمسلمين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ومعلوم أنَّ التّقاة ليست بموالاة، ولكن لمَّا نهاهم عن موالاة الكفَّار اقتضىٰ ذلك معاداتهم، والبراءة منهم، ومجاهرتهم بالعداوة في كلِّ حال، إلَّا إذا خافوا من شرِّهم؛ فأباح لهم التَّقِيَّة، وليست التَّقِيَّةُ موالاة لهم».

وقال العلَّامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ يعني: إلا أن يفعل ذلك المؤمن تُقاةً له من جَورهم وسلطانهم، ويخشىٰ شرهم، فيُجاملهم ويداريهم من باب المداراة واتِّقاء الشرِّ، لا من باب المحبة في

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٥٨).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٩٤٢)، ط: عالم الفوائد.

(٣) فوائد من التَّفسير (ص١٥٠).

الباطن، والله يعلم ما في القلوب».

ومعاملة المسلم للكافر تكون بالعدل، ومخالفتهم في الدِّين وعدم موالاتهم والبراءة منهم لا تبيح ظلمهم، فيعاملهم المسلم بالحقِّ الذي أمره الله به، وكم كانت هذه المعاملة سببًا في إسلام ملايين البشر من الأمم، كما حصل في إندونيسيا.

قال العلامة المجدِّد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الولاء والبراء معناه: محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم والبراءة منهم، ومن دينهم، هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] وليس معنىٰ بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدىٰ عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقلبك، ولا يكونوا أصحابًا لك، لكن لا تؤذهم ولا تضرهم، ولا تظلمهم، فإذا سلَّموا ترد عليهم السلام، وتنصحهم، وتوجِّههم إلىٰ الخير».

❁ ❁ ❁

---

(١) الفتاوىٰ البازية (٥/ ٢٤٦، ٢٤٧).

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

> **التَّاسِعُ**: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ فَهُوَ كَافِرٌ.

الشَّرْح:

من أعظم مقاصد إرسال الله عَزَّوَجَلَّ للرُّسل كلِّهم ومنهم خاتمهم ﷺ، هو إقامة الحجَّة علىٰ المخلوقين البشر، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، وكذلك تبيين صراط الله المستقيم، حتىٰ يسلكه العباد ويتَّخذوه سبيلًا إلىٰ الجنَّة ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

واتباع الرسول محمد ﷺ عصمةٌ من الضَّلال والزَّيغ والزَّلل؛ لأنَّه مبعوث بالوحي والهدىٰ والنور، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣].

وما جاء به الرسول ﷺ هو من عند الله، ومقصود خلق الخلق هو عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والله إنَّما يُعبد بما شرع وأمر، وليس من سبيلٍ إلىٰ معرفة هذا إلَّا عن طريق الوحي الذي بلَّغه رسول الله ﷺ.

ورضا الله والفوز بجنَّته لا يُدرَك إلَّا باتِّباع الرَّسول محمَّد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا يتحقَّق إسلام الإنسان إلا بالإسلام لله، والخضوع له، والمتابعة لرسوله

ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وأمرنا الله بطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واتِّباع رسوله ﷺ، وضَمِنَ لنا الهداية في ذلك؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]، وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله الذي أرسله وأوجب علينا تلقِّي الدِّين عنه، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

ونهانا الله عن التقدُّم بين يدي الله ورسوله، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

وشَرْعُ الله - ولله الحمد - تعضده الفطرة والعقل الصريح، قال تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود: ١٧]، قال العلَّامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؛ وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصَّحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حُسْنَهُ، فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

فمن كان عقله صحيحًا أدَّاه إلىٰ فهم الشَّرع، والتَّحقُّق بكمال الله الذي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٧٩).

أوحاه إلىٰ رسوله ﷺ.

هذا منهجُ أهل الحقِّ؛ بيان الطَّريق الذي يُعرف به الحقُّ، وهداية الخلق إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أهل العلم والحقِّ والسُّنَّة يعرفون الحقَّ الذي جاء به الرَّسول ﷺ، وهو الذي اتَّفق عليه صريح المعقول وصحيح المنقول، ويدعون إليه، ويأمرون به، نصحًا للعباد، وبيانًا للهدىٰ والسَّداد».

وصار في المسلمين من يُقدِّم عقله غير الصريح علىٰ الوحي المعصوم؛ كالمعتزلة وفروعهم من الأشاعرة وغيرهم من الفرق المبتدعة، ومن عَلِم فرق ما بينه وبين الله العليم؛ تبيَّن له أنَّ ردَّه علىٰ الله خبره وحكمه؛ جهلٌ لا يليق بمسلم.

لقد بلغ الغلوُّ في المعتزلة وفروعهم من تقديم العقل علىٰ النقل إلىٰ درجة جعلوا عقولهم حاكمةً علىٰ الله، تعالىٰ عن ضلالهم علوًّا كبيرًا.

قال الرازي[(٢)]: «الاستدلال بالسمع مشروط بأن لا يعارضه قاطع عقلي، فإذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه».

ولا ريب أن ما قاله الرازي مبطل للإيمان بالله الذي لا يقول إلَّا الحقَّ وهو يهدي السبيل، ومبطل للإيمان بالرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ.

قال العلَّامة أبو المظفر السمعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: « أهل السُّنَّة قالوا: الأصل

---

(١) النبوَّات (١/ ٤٢٠).

(٢) المطالب العالية، بواسطة مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ١٣٩).

(٣) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٨١، ٨٢).

الاتباع، والعقول تَبَعٌ، ولو كان أساس الدين علىٰ المعقول لاستغنىٰ الخلق عن الوحي وعن الأنبياء - صلوات الله عليهم -، ولبطل معنىٰ الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء.

ولو كان الدين بُني علىٰ المعقول؛ وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا شيئًا حتىٰ يَعْقِلُوا».

وصار فيمن ينتسب إلىٰ الإسلام من يُقدِّم ذوقه علىٰ الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا منشأ ضلال من ضلَّ من المفسدين لطريق القوم الصحيحة، حيث جعلوه حاكمًا فتحاكموا إليه فيما يسوغ ويمتنع، وفيما هو صحيح وفاسد.

وجعلوه محكًّا للحقِّ والباطل، فنبذوا لذلك موجب العلم والنصوص، وحكَّموا فيها الأذواق والأحوال والمواجيد، فعظم الأمر وتفاقم الفساد والشرُّ، وطُمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم، وانعكس السير، وكان إلىٰ الله فصيروه إلىٰ النفوس، فالناس المحجوبون عن أذواقهم يعبدون الله، وهؤلاء يعبدون نفوسهم».

وردُّ نصوص الوحي من القرآن والسنَّة بالمعقول غير الصَّريح، أو الذوق الباطل؛ هو نوع من تكذيب الوحي، والمسلم لا يردُّ علىٰ الله خبره وحكمه،

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٣١، ٥٣٢).

وإنَّما يقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: ٧].

والمقصود أن يتبع المسلم صراط الله المستقيم الذي تحصل به الهداية والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والصَّراطُ المستقيم قد جمع الخير كلَّه، فهو العلم النافع والعمل الصالح، ولضرورة كلِّ مسلم إليه فقد فرض الله علينا في كلِّ ركعة من كلِّ صلاة أن نسأله الهداية إليه، فالراغب عنه مبتغٍ للضلالة، ساعٍ في الجهالة.

فواجب المسلم تلقي نعمة الهداية للصراط المستقيم بالشُّكر؛ بالثَّبات علىٰ الصِّراط حتىٰ يمرَّ علىٰ صراط الآخرة بالأمن والسَّلامة.

فمن رغب عن الصِّراط فقد كفر نعمة الاهتداء بنور الوحي، وعدل إلىٰ ما يضلُّه ولا يهديه.

والمقصود أن يكون عند الإنسان فرقان بين الحقِّ والباطل، يهتدي بالقرآن والسنَّة المبيِّنة له؛ من الأحاديث الصحيحة بفهم السلف خير القرون.

فالقرآن فرقان يعرف به الحقُّ من الباطل، فالقرآن كلام الله: صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقد جمع الله في القرآن كلَّ ما يحتاجه الخلق في هدايتهم، قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فاستمسكْ به ولا ترغبْ عنه، قال تعالىٰ:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، قال العلَّامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «القرآن كلُّه صلاح، ويهدي إلىٰ الإصلاح، وإلىٰ أقوم الأمور وأرشدها وأنفعها في كلِّ شيء من دون استثناء، وهذا الوصف المحيط لا يخرج عنه شيء؛ فهو إصلاح للعقائد والقلوب، وللأخلاق والأعمال، ويهدي إلىٰ كلِّ صلاحٍ دينيٍّ ودنيويٍّ بحيث تقوم به الأمور، وتعتدل به الأحوال، ويحصل به الكمال».

وقول شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الناقض أراد به التحذير من الخروج عن شريعة الإسلام، والزَّجر عمَّن يعتقد باطلًا أنَّه يسعه ذلك، كما فعل ذلك الخضر مع أصحاب السفينة والغلام الذي قتله والجدار الذي أقامه، فإنَّ الخضر فعل ذلك عن أمر الله؛ كما قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، وأمر الله إلينا هو اتِّباع القرآن الذي أوحاه إلىٰ رسوله ﷺ، وأمرنا بالأخذ به، وقد نسخت شريعة الإسلام شريعة الخضر التي لم يوحَ إلىٰ نبيِّنا شيء من أخباره إلا الثلاثة أمور التي قصها الله علينا.

فالمعلوم المتيقَّن أنَّ كلَّ أحد بعد بعثة نبيِّنا محمَّد ﷺ مأمور باتباع الشريعة التي بُعث بها، وإن كان نبيًّا فضلًا عن أن يكون وليًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠

(١) تيسير اللطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن (ص٩).

﴿مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الخضر إن كان نبيًّا أو وليًّا، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حيًّا في زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه؛ لأنه إن كان وليًّا فالصِّدِّيق أفضل منه، وإن كان نبيًّا فموسىٰ عليه السلام أفضل منه.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لو أنَّ موسىٰ كان حيًّا ما وسعه إلَّا أن يتبعني**».

وهذا الذي يُقطع به ويُعلم من الدين علم الضرورة، وقد دلَّت عليه هذه الآية الكريمة: أنَّ الأنبياء كلَّهم لو فرض أنَّهم أحياء مكلَّفون في زمن رسول الله ﷺ، لكانوا كلهم أتباعًا له، وتحت أوامره، وفي عموم شرعه».

وأراد شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الناقض أن يحذِّر من ملاحدة الفلاسفة الذي يعتقدون أنَّ النبوَّة مكتسبة، حيث يعتقد ابن سينا أنَّه يكتسب النبوَّة بقوَّة الحدس الصائب، وقوَّة الحسِّ التي بها يسمع ويبصر المعقولات متخيَّلة في نفسه، وقوَّة التأثير في العالم بنفسه.

وجعل هو وبعض غلاة الصوفيَّة ما تفيضه عقولهم علىٰ قلوبهم كالوحي الذي أدَّاه جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ.

---

(١) قصص الأنبياء من البداية والنهاية (ص٤٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «صار كلُّ من سلك سبيلهم كالسهروردي المقتول، وابن سبعين المغربي، وأمثالهما يطلب النبوَّة، ويطمع أن يقال له: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾».

وصار في غلاة الصوفية - كابن عربي - من يعتقد اعتقاد الفلاسفة أنَّ الوحي والمعارف هو ما يفيضه العقل علىٰ القلب، فادعىٰ تبعًا لذلك أنَّه أدرك بذلك مرتبة الولاية التي هي عنده أعظم من مرتبة النبوَّة؛ لأنَّه يأخذ عن الله بلا واسطة، بينما النبيُّ يأخذ عن الله بواسطة الملك جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وكان من إفساد الصوفية لعقائد الإسلام تسمية الفلسفة ولاية، والفيلسوف بالولي، والتخيل بالوحي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لم يكفهم هذا البهتان حتىٰ ادَّعوا أنَّ جميع الأنبياء والرُّسل يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، الذي هو من أجهل الخلق بالله».

ولا شكَّ أنَّ هذا الاعتقاد كفر ومروق من الإسلام، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا نبيَّ بعدي**»، متَّفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والرِّسالة والنبوَّة اصطفاء من الله، وليست مكتسبة، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

---

(١) شرح حديث جبريل (ص٥٠٣).

(٢) شرح حديث جبريل (ص٥٠٨).

ومن أعظم ضلال الفلاسفة والصوفية؛ توهمهم أنَّ الولاية تُدرَك بالإلحاد الذي صنعوه من اعتقاد ما يفيضه العقل على القلب وحيًا، فالولاية لا تُنال إلا بالاعتقاد الصَّحيح وموافقة السُّنَّة، لا بالخروج عنها، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

وتمادىٰ بالفلاسفة وغلاة الصوفية الضَّلال حتىٰ جعلوا خوارق السَّحرة كمعجزات الأنبياء، وسوَّوا بين السَّاحر المشرك الكافر والنبيِّ المسلم التَّقيِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الكفر والسِّحر والكهانة كلٌّ هذا يناقض النبوَّة، لا يجتمع هو والنبوَّة».

وقال شيخ الإسلام أيضًا[٢]: «إنَّ الكهَّان والسحرة يأمرون: بالشِّرك، وعبادة الأوثان، وما فيه طاعة للشيطان.

والأنبياء لا يأمرون إلَّا بعبادة الله وحده، وينهون عن عبادة ما سوىٰ الله وطاعة الشَّياطين».

وهؤلاء الفلاسفة وغلاة الصوفية فيما اعتقدوه من النبوَّة والولاية، ضاهوا مسيلمة الكذَّاب في دعوىٰ النبوَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «كلُّ من جعل غير الرسول بمنزلة

(١) النبوَّات (١/ ١٤٤).

(٢) النبوَّات (١/ ٦٠٧).

(٣) السبعينية (ص٥٠٨).

الرسول في خصائص الرسالة؛ فهو مُضَاهٍ لمن جعل معه رسولًا آخر، كمسيلمة ونحوه، وإن افترقا في بعض الوجوه، ثم يكون هؤلاء شرًّا إذا فَضَّلوا متبوعهم علىٰ الرسول ﷺ، وقد يكون اتباع مسيلمة شرًّا إذا كان متبوع هؤلاء مؤمنًا بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ولم يفضِّلوه علىٰ الرسول ﷺ».

وكل من نبذ كتاب الله واتَّبع ما يخالفه؛ فقد آثر الضَّلالة علىٰ الهدىٰ، والباطل علىٰ الحقِّ، ونبذ كتاب الله لضلالات الشَّياطين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المسلمون الذين جاءهم كتاب الله القرآن، عدل كثير منهم ممن أضلَّه الشيطان من المنتسبين إلىٰ الاسلام إلىٰ أن نبذ كتاب الله وراء ظهره، واتبع ما تتلوه الشياطين؛ فلا يعظِّم أمر القرآن ولا نهيه، ولا يوالي من أمر القرآن بموالاته، ولا يعادي من أمر القرآن بمعاداته، بل يعظِّم من رآه يأتي ببعض الخوارق التي يأتي بمثلها السحرة والكهان بإعانة الشياطين، وهي تحصل بما تتلوه الشياطين.

ثم منهم من يعرف أن هذا من الشيطان، ولكن يعظِّم ذلك لهواه، ويفضِّله علىٰ طريقة القرآن؛ ليصل إلىٰ تقديس العامة، وهؤلاء كفار؛ كالذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

---

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ١٠٥٣، ١٠٥٤)، ط: المكتب الإسلامي.

وهؤلاء ضاهوا الكفار الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢] الآية، ومنهم من لا يعرف أن هذا من الشياطين.

وقد يقع في مثل هذا طوائف من أهل الكلام والعلم، وأهل العبادة والتصوف، حتىٰ جوَّزوا عبادة الكواكب والأصنام، لما رأوه فيها من الأحوال العجيبة التي تعينهم عليها الشياطين، لما يحصل لهم بها بعض أغراضهم من الظلم والفواحش، فلم يبالوا بشركهم بالله وكفرهم به وبكتابه إذا نالوا ذلك، ولم يبالوا بتعليم ذلك للناس وتعظيمهم لهم لرياسة ينالونها أو مال ينالونه، وإن كانوا قد علموا أنه الكفر والشرك؛ عملوه ودعوا إليه، بل حصل عندهم ريب وشك فيما جاء به الرسول ﷺ، أو اعتقاد أن الرسول ﷺ خاطب الجمهور بما لا حقيقة له في الباطن لأجل مصلحة الجمهور، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة والملاحدة الباطنية».

ومن أعظم ما حصل به الخروج عن شريعة الإسلام في عصرنا الحديث؛ هو اتِّباع سنن الكفَّار من اليهود والنَّصارىٰ، وذلك بسبب ظهور هؤلاء في بعض النَّواحي علىٰ بلاد المسلمين، وبسبب تفوُّق النصارىٰ في الصناعة؛ فاغترَّ بهم الجاهلون، وهذا إنَّما يحصل من ضعيف الإسلام، أو ممن كان إيمانه عن غير

يقين وكان عن تقليد؛ ككثير ممن اعتقد الشِّيوعيَّة أيَّام قوَّتها وظهورها علىٰ بلاد المسلمين.

أمَّا المؤمنون الموحِّدون المسلمون عن يقين بالله، وعن يقين بصحَّة الوحي من القرآن والسُّنَّة، فلم يزعزع إسلامهم وتوحيدهم علو الكفَّار، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، والموحِّدون يعلمون أن الله يداول الأيام بين الناس، وأنَّه لا يكون ظهور للكفَّار علىٰ المسلمين إلَّا حيث ضيَّع المسلمون دينهم أو انسلخوا منه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، ومتىٰ ما أخذ المسلمون بأسباب النَّصر ونصروا الله؛ نصرهم الله.

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمَّته من العدول عن الوحي إلىٰ ضلال اليهود والنَّصارىٰ، ففي الصَّحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتتَّبعنَّ سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتىٰ لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتَّبعتموهم**»، وهذا غاية في التَّحذير من أعظم ما يخشاه النبيُّ ﷺ علىٰ أمَّته، وفيه بيان للواقع أنَّ أعظم الخلل الذي يمكن أن تضلَّ به أمَّة الإسلام اتِّباع ومشابهة اليهود والنَّصارىٰ، ولعظم هذا الخطر علىٰ كل مسلم، والخشية من أن يسارع ذلك إلىٰ أديان المسلمين بالفساد؛ أمرنا الله أن ندعوه في كل ركعة من كل صلاة أن يجنبنا هدي اليهود والنصارىٰ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

فاتِّباع اليهود والنَّصارىٰ وطاعتهم يوقع في الكفر، ولا سبيل إلىٰ حفظ الإسلام إلا بالاستعانة بالله في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وذلك لحسدهم وبغيهم عليكم، وشدَّة حرصهم علىٰ ردِّكم عن دينكم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ثم ذكر تعالىٰ السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين علىٰ إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيقانهم».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله ﴿كَٰفِرِينَ﴾، المراد به: الكفر المخرج عن الملَّة، لكنَّهم قد لا يستطيعون أن يخرجونا من الإيمان بالكليَّة، لكن بالتَّدريج ممَّا يلقونه أمامنا من معوِّقات كمال الإيمان، حتىٰ ينحلَّ الإيمان شيئًا فشيئًا، ولا يبقىٰ في القلوب شيء، وحينئذ يكون الكفر المحض».

فالآيتان فيهما التَّحذير من اتِّباع اليهود والنَّصارىٰ، وفيهما الحثُّ علىٰ

---

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص١٣٥، ١٣٦).

(٢) تفسير سورة آل عمران (١/ ٥٧٢).

الاعتصام بالله، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾ يشمل الاعتصام به توكُّلًا عليه، والاعتصام به تعبُّدًا له؛ لأنَّ في كل منهما عصمة، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]».

والنبيُّ ﷺ في حجَّة الوداع أوصىٰ أمَّته - وهو يودِّعها حين قال لها: «**لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**» - بوصيَّة جامعة لأسباب الهداية وخيري الأفراد والأمَّة، وخيري الدُّنيا والآخرة، فقال: «**تركت فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله وسنَّتي**».

وقد حذَّر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رسوله ﷺ عن اتِّباع أهواء أهل الكتاب، وهو تحذير لأمَّته، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ [البقرة: ١٤٥].

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ إلىٰ آخر الآية؛ فيه من التهديد العظيم، والزجر البليغ ما تقشعرُّ له الجلود، وترجف منه الأفئدة. وإذا كان الميل إلىٰ أهوية المخالفين لهذه الشريعة الغراء، والملة الشريفة من رسول الله ﷺ الذي هو سيد ولد آدم يوجب عليه أن يكون - وحاشاه - من الظالمين، فما ظنك بغيره من أمته؟!

(١) تفسير سورة آل عمران (١/ ٥٧٥).

(٢) فتح القدير (١/ ١٥٤).

وقد صان الله هذه الفرقة الإسلامية بعد ثبوت قدم الإسلام وارتفاع مناره عن أن يميلوا إلىٰ شيء من هوىٰ أهل الكتاب، ولم تبقَ إلا دسيسة شيطانية، ووسيلة طاغوتية، وهي ميل بعض من تحمل حجج الله إلىٰ هوىٰ بعض طوائف المبتدعة».

وقال الشوكاني(١): «قد تكون مفسدة اتباع أهوية المبتدعة أشدَّ علىٰ هذه الملَّة من مفسدة اتباع أهوية أهل الملل؛ فإن المبتدعة ينتمون إلىٰ الإسلام، ويُظهرون للناس أنهم ينصرون الدين، ويتبعون أحسنه، وهم علىٰ العكس من ذلك، والضدّ لما هنالك، فلا يزالون ينقلون من يميل إلىٰ أهويتهم من بدعة إلىٰ بدعة، ويدفعونه من شنعة إلىٰ شنعة، حتىٰ يسلخوه من الدين ويخرجوه منه، وهو يظنُّ أنه منه في الصميم، وأن الصراط الذي هو عليه هو الصراط المستقيم».

فالمسلم مُنعم عليه بالهداية للإسلام، وبحفظ القرآن الذي يهتدي به المسلمون وبه يتداينون، فالموفق من حفظ هذه النِّعم التي تدخله الجنَّة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما المنعم عليهم فهم الذين منَّ الله عليهم بمعرفة الحق علمًا، وبالانقياد إليه وإيثاره علىٰ ما سواه عملًا، وهؤلاء هم الذين علىٰ سبيل النجاة، ومن سواهم علىٰ سبيل الهلاك، ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نقول كل يوم وليلة عدة مرات: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]. فإن العبد مضطر كل

(١) فتح القدير (١/ ١٥٤).

(٢) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص٥، ٦).

الاضطرار إلىٰ أن يكون عارفًا بما ينفعه في معاشه ومعاده، وأن يكون مؤثرًا مريدًا لما ينفعه، مجتنبًا لما يضره، فبمجموع هذين يكون قد هُدي إلىٰ الصراط المستقيم، فإن فاته معرفة ذلك؛ سلك سبيل الضالين، وإن فاته قصده واتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم، وبهذا يُعرف قدر هذا الدعاء العظيم، وشدة الحاجة إليه، وتوقف سعادة الدُّنيا والآخرة عليه».

فالمنعم عليهم علموا الحقَّ واتبعوه، واستمتعوا بالدُّنيا من حلالها، وجعلوها حرثًا للآخرة؛ فأدركوا سعادة الدَّارين، والضَّالُّون والمغضوب عليهم رغبوا عن الحقِّ، واتَّبعوا أهواءهم، واستمتعوا بالدُّنيا مما حلَّ وحرم، ولم يؤدوا حق الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

وحال كثير من الكفار في عصرنا هذا الحياة للتمتُّع بحظوظهم من لذَّات الدُّنيا العاجلة من غير عمل للآخرة، كأنَّما خلقوا عبثًا وسدًى، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

ودين الإسلام وسط، لم يُحرَّم فيه إلا الخبائث وما يضر الأديان والأبدان والعقول، وما مفسدته أرجح من مصلحته، وأحلَّ كل طيِّب، وشرع من الأحكام والحلال ما تكون ملذاتها لمصلحة الخلق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما خلق الشهوات في الأصل واللذات لتمام مصلحة الخلق؛ فإنَّهم بذلك يجتلبون ما ينفعهم، كما خلق الغضب ليدفعون به ما يضرُّهم. وحرَّم منها ما يضر تناوله، وذمَّ من اقتصر عليها، واشتغل بها عن مصلحة دينه، ومن أسرف فيها في النوع أو القَدْر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، حتىٰ حجرت الشريعة عند الجمهور علىٰ المبذِّر الذي يصرف المال فيما لا ينفعه.

وذمَّ أيضًا من ترك ما يحتاج إليه منها، حتىٰ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

وفي «**الصحيحين**» **عن النبيِّ** ﷺ **أنَّه لما بلغه عن أصحابه أنَّه قال بعضهم**: أمَّا أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوَّج النِّساء، وقال آخر: أما أنا فلا آكل اللَّحم؛ فقال النبيُّ ﷺ: «**لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»».

وقال شيخ الإسلام(٢): «وجعل من استعانه بالمباح الجميل علىٰ الحق من

---

(١) السياسة الشرعية (ص١٧٨، ١٧٩).

(٢) السياسة الشرعية (ص١٨٠).

الأعمال الصالحة، ولهذا قال النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح: «**في بِضْع أحدكم صدقة**»، قالوا: يأتي أحدنا شهوته، ويكون له أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام، أما كان ليكون عليه وزر؟**» قالوا: بلىٰ».

والله يبتلي عباده بالشهوات والشُّبهات؛ ليستخرج بها عبودية طاعتهم لله وصبرهم علىٰ ذلك، وصبرهم علىٰ لزوم الصراط المستقيم واتباعه ومحاذرة مضلات البدع، قال النبيُّ ﷺ: «**حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشَّهوات**»، رواه مسلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره، فبالصبر يدفع الشهوات، وباليقين يدفع الشبهات؛ فإن الشهوة والشبهة مضادتان للدين من كل وجه، فلا ينجو من عذاب الله إلا من دفع شهواته بالصبر وشبهاته باليقين، ولهذا أخبر – سبحانه – عن حبوط أعمال أهل الشهوات والشبهات، فقال تعالىٰ: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ٦٩]، فهذا الاستمتاع بالخلاق هو استمتاعهم بنصيبهم من الشهوات، ثم قال: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾، وهذا هو الخوض بالباطل في دين الله، وهو خوض أهل الشبهات».

---

(١) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص١٨).

والمسلم إنَّما يؤثر طاعة الله لا طاعة النَّفس والشَّيطان والهوىٰ عبوديةً لله، وتحقيقًا للتَّوحيد، وطلبًا لأسباب دخول الجنَّة بمعرفة صراط الله واتباعه والمداومة علىٰ ذلك، وطلبًا للسَّلامة من أسباب العطب في الدُّنيا والهلاك والنَّار في الآخرة؛ فإنَّ اليسر والسَّلامة في ملازمة الشَّرع، والعسر والحرج والهلاك في العدول عن الشَّرع؛ قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧].

فلزوم الشرع فيه سعادة الدُّنيا والآخرة، والله يهدي عباده إلىٰ معرفة الحقِّ والعمل به وإيثاره، ومن استعان بالله أعانه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

واتباع الكافر لهواه إنما هو عن سوء قصد وجهل، والمبتدعة أنواع؛ فمنهم من ابتدع بدعة خفيفة اتِّباعًا للهوىٰ، أو تفريطًا في طلب علم السُّنَّة والعمل بها، أو بسبب سلوك منهج لا يهدي للحقِّ، ومن المبتدعة من تغلَّظت بدعته بسبب غلظ هواه وغلبته له، وشرُّ المبتدعة من تجارت به الأهواء حتىٰ بلغت منه كل مفصل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «اتباع الهوىٰ درجات، فمنهم المشركون، والذين يعبدون من دون الله ما يستحسنون بلا علم ولا برهان، كما

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٩٢).

قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، أي: يتخذ إلهه الذي يعبده، وهو ما يهواه من آلهة، ولم يقل: إن هواه نفس إلهه فليس كل من يهوىٰ شيئًا يعبده؛ فإن الهوىٰ أقسام، بل المراد أنه جعل المعبود الذي يعبده هو ما يهواه، فكانت عبادته تابعة لهوىٰ نفسه في العبادة؛ فإنه لم يعبد ما يجب أن يُعبد، ولا عَبَد العبادة التي أُمر بها.

وهذه حال «أهل البدع» فإنهم عبدوا غير الله، وابتدعوا عبادات زعموا أنهم يعبدون الله بها؛ فهم إنما اتبعوا أهواءهم؛ فإن أحدهم يتبع محبة نفسه وذوقها ووجدها وهواها من غير علم ولا هدًىٰ ولا كتاب منير. فلو اتبع العلم والكتاب المنير؛ لم يعبد إلا الله بما شاء، لا بالحوادث والبدع».

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾: البدع والشُّبهات.

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «السَّبيل سبيل واحد، جماعُه الهدىٰ، ومصيره الجنَّة، وإنَّ إبليس شرع سبلًا متفرِّقة، جماعُها الضَّلال، ومصيرها إلىٰ النَّار».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «البدع إنَّما تنشأ من تقديم الهوىٰ علىٰ الشَّرع، ولهذا يُسمىٰ أهلُها أهل الأهواء».

(١، ٢) مختصر الحُجَّة علىٰ تارك المحجَّة (١/ ٥٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٩٧).

ومتىٰ كان مرجع المبتدع إلىٰ هواه وأهواء غيره من المبتدعين؛ فإنَّه يزداد ببدعه بُعدًا من الله، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥].

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:** «**إنَّ أهل الكتاب افترقوا في دينهم علىٰ اثنين وسبعة فرقة، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارىٰ بهم تلك الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَب بصاحبه، فلا يبقىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»، رواه أحمد وأبو داود.

والسلف الأخيار من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان ارتاضت جوارحهم علىٰ اتِّباع الوحي، وألزموا أنفسهم بالأخذ بالكتاب والسُّنَّة، حتىٰ صارت نفوسهم مطمئنة فلا تتبع الهوىٰ وتلزم صراط الله المستقيم.

وأفضل الأمَّة في ذلك بعد الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ما سلك فجًّا إلا وسلك الشيطان فجًّا غير فجِّه، وكان الفاروق مُلهمًا للحقِّ، يُلهم للحق من غير أن يُوحىٰ إليه.

وذكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الاتِّباع هو فصل ما بين السَّلف والخلف، فقال: «إنَّكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قُرَّاؤُه، تُحفظ فيه حدود القرآن، وتضيَّع حروفه، قليل من يسأل كثير من يُعطي، يُطيلون فيه الصلاة ويَقْصِرُون الخطبة، يُبَدُّون أعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي علىٰ الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قُرَّاؤُهُ، يحفظ فيه حروف القرآن وتضيَّع حدوده، كثير من يسأل قليل من يعطي، يطيلون

فيه الخطبة ويَقْصُرُون الصلاة يُبَدُّون فيه أهواءهم قَبْل أعمالهم»[(١)].

قال العلامة أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القُنَازعي القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]:

«قوله: «يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم»، يعني: يبدُّون فيه الحق بما افترض عليهم قبل اتِّباعهم لأهوائهم التي تقصر بهم عن الطَّاعات واكتساب الحسنات».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»، رواه الطبراني وصحَّحه النووي.

علىٰ كل حال: الحد الفاصل بين المسلم والكافر هو في الانقياد لشرع الله تعالىٰ ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾، والسنِّي والبدعي في الاتباع لرسول الله ﷺ السني راغب في سنَّة النبيِّ ﷺ، والمبتدع راغب عن سنة النبيِّ ﷺ، قال النبي ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس منِّي**»، متَّفق عليه.

وجميع ما يقطع الإنسان عن شريعة الله يرجع إلىٰ البدع والمعاصي، قال تعالىٰ: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

---

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة (١/ ١٧٣ – رقم ٨٨)، رواية يحيىٰ الليثي.

(٢) تفسير الموطأ (١/ ٢٢٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ الله أخبر أنَّ في هذه الأمَّة من يستمتع بخلاقه، كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، ويخوض كخوضهم، وأنَّ لهم من الذمِّ والوعيد كما للذين من قبلهم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «المقصود أنه سبحانه جمع بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض بالباطل؛ لأن فساد الدِّين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلُّم به، وهو الخوض، أو يقع في العمل بخلاف الحقِّ والصواب، وهو الاستمتاع بالخلاق؛ فالأول: البدع، والثاني: اتباع الهوىٰ، وهذان هما أصل كلِّ شرٍّ وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبت الرسل، وعُصي الربُّ، ودُخلت النار، وحَلَّت العقوبات؛ فالأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات».

وواجب المسلم التأله لله عَزَّوَجَلَّ وحده واتِّباع شرعه، ومخالفة هواه فيما يخالف الشَّرع، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّ اتِّباع الهوىٰ يُضِلّ عن سبيل الله، فمن اتَّبع ما تهواه نفسه أضلّ عن سبيل الله، فإنَّه لا يكون الله هو المقصود، ولا المقصود الحقّ الذي يوصل إلىٰ الله، فلا قصد الحقّ، ولا ما يوصل إلىٰ الحقّ،

(١) إعلام الموقعين (١/ ٢٨٩).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٢٨٦).

(٣) جامع المسائل، المجموعة السادسة (ص١٤٣).

بل قصد ما يهواه من حيث هو يهواه، فيكون كأنَّه يعبد نفسه، ومن يعبد نفسه فقد ضل عن سبيل الله قطعًا، فإنَّ الله ليس هو نفسه».

وقد أمرنا الله جميعًا بالعمل بشرائع الإسلام، وفي ذلك إقامة إسلامنا، وحفظ شرائع الإسلام، وظهور الدِّين، وعزَّة المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال العلامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا أمر من الله تعالىٰ للمؤمنين أن يدخلوا ﴿فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئًا، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوىٰ تبعًا للدِّين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه يلتزمه وينويه، فيدركه بنيَّته.

ولما كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصوَّر إلا بمخالفة طرق الشيطان، قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، أي: في العمل بمعاصي الله ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾، والعدو المبين لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم».

والنَّاس منهم الأصفياء الأتقياء الذين جعلوا أهوائهم تبعًا لمراضي الله، ومنهم من له هوىٰ في مخالفة الشَّرع في بعض أحكامه، ومنهم المستقيم علىٰ أمر الله ويغلبه طبعه نادرًا فيتَّبع هواه، ومنهم من هو تبع لهواه بل عبد له، أعماله تبع لإراداته.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٨٤، ٨٥).

قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أصل ذلك كلّه من خُلُوّ القلب من محبَّة الله - تعالىٰ -، والإخلاص له، والتَّشريك بينه وبين غَيرِه في المحبَّة، ومن محبَّة ما يحبّ لغير الله، فيقومُ ذلك بالقلب، ويعملُ بموجبه بالجوارح، وهذا هو حقيقة اتِّباع الهوىٰ».

❁ ❁ ❁

(١) إغاثة اللَّهفان (٢/ ٨٧١).

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

الشَّرْح:

لا يمكن للمسلم أن يكون مؤمنًا بالله إلَّا إذا كان مهتديًا علىٰ الصِّراط المستقيم، مجتنبًا طريق النصارىٰ الضَّالِّين الذين عبدوا الله بغير علم، والمغضوب عليهم اليهود الذين تركوا العمل بالحقِّ.

ولضرورة كلِّ مسلم للعلم بالله وعبادته، فرض الله علىٰ كلِّ مسلم في كلِّ صلاة، وفي كلِّ ركعة منها؛ أن يدعو ربَّه بقراءة سورة الفاتحة أن يهديه الصراط المستقيم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «سورة أمِّ القرآن أعظم سورة في القرآن، وأفرضها قراءةً علىٰ الأمَّة، وأجمعها لكل ما يحتاج إليه العبد، وأعمُّها نفعًا، ذكر فيها الأمرين: الضلال والشقاء؛ فأمرنا أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] فذكر الهداية والنعمة، وهما الهدىٰ والفلاح.

ثمَّ قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ فذكر «المغضوب عليهم» وهم أهل الشقاء، و«الضَّالِّين» وهم أهل الضلال، وكلٌّ من الطائفتين له

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٩، ١٠٠).

الضلالُ والشقاءُ، لكن ذكر الوصفين معًا لتكون الدَّلالةُ علىٰ كل منهما بصريح لفظه.

وأيضًا فإنَّه ذكر ما هو أظهر الوصفين في كلِّ طائفة؛ فإنَّ الغضب علىٰ اليهود أظهر؛ لعنادهم الحَقَّ بعد معرفته، والضلال في النصارىٰ أظهر؛ لغلبة الجهل فيهم، وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**اليهود مغضوب عليهم، والنصارىٰ ضالُّون**».

والإعراض عن دين الله وترك طلب علمه والعمل به؛ هو شأن الكافر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المعنىٰ: من أعرض عن كتابي ولم يتَّبعْه؛ فإنَّ القرآن يسمَّىٰ ذكرًا، قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]»، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم: ٥٢].

وكانت عقوبة المعرض عن الوحي، لا يتعلَّمه، ولا يعمل به؛ عمىٰ البصر والبصيرة في الآخرة جزاءً وفاقًا، فلا حجَّة له في يوم الحساب، ومأواه جهنَّم وبئس المصير.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّه جُوزي من جنس عمله، فإنَّه لمَّا أعرض عن الذِّكر الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وعَمِيَتْ عنه بصيرتُه؛ أعمىٰ اللهُ بصره يوم

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٢١).

القيامة، وتركه في العذاب، كما ترك الذِّكر في الدنيا، فجازاه علىٰ عمىٰ بصيرته عمىٰ بصره في الآخرة، وعلىٰ تركه ذكرَه تركَه في العذاب».

والإعراض عن تعلُّم الوحي والعمل به هو الذي أورد الكفَّار النَّار؛ حيث يقولون في الدَّار الآخرة: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، فقد كان لهم سمع وعقل وأفئدة في الدُّنيا، ولكنَّهم لم ينتفعوا بها في طلب علم الوحي، وتفهُّمه والعمل به، فكانوا كمن لم يُؤْتَهُ؛ إذ المقصود من آلة العلم طلب العلم والعمل به.

فالمسلم لا يصحُّ إسلامه إلا بتعلُّم التَّوحيد واعتقاده وتحقيق مستلزماته، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد: ١٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «العلم بوحدانيَّته تعالىٰ وأنَّه لا إله إلَّا هو؛ مطلوب لذاته، وإن كان لا يُكتفىٰ به وحده، بل لا بُدَّ معه من عبادته وحده لا شريك له، فَهُمَا أمران مطلوبان لأنفسهما: أن يُعْرفَ الربُّ تعالىٰ بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن يُعبد بموجبها ومقتضاها، فكما أنَّ عبادته مطلوبة مُرادةٌ لذاتها؛ فكذلك العلم به ومعرفته».

ولا يمكن للإنسان أن يكون مسلمًا إلَّا باتِّباع صراط الله المستقيم، فبعلم الوحي يعرفه، وبالعمل به يسير عليه؛ فيكون من المسلمين، وحقيقة الدِّين كلِّه توحيد الله بالعلم والقصد، وهو تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥١١، ٥١٢).

وشهادة أنَّ محمدًا رسول الله، وذلك لا يكون إلا بقصد الله وحده، وموافقة أمره، ولزوم صراطه، وذلك لا يكون إلَّا بالعلم بصراطه.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقًا لسنَّة رسول الله ﷺ، مرادًا به وجهُ الله، ولا يتمكَّن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلَّا بالعلم، فإنه إن لم يعلم ما جاء به الرسول ﷺ لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبودَه لم يمكنه إرادتُه وحده، فلولا العلم لما كان عمله مقبولًا؛ فالعلم هو الدليل علىٰ الإخلاص، وهو الدليل علىٰ المتابعة».

والهداية إلىٰ معرفة الصِّراط المستقيم، ودوام السير عليه، هي الموصلة إلىٰ الجنَّة، وهذا ما يتحدَّث به أهل الجنَّة إذا دخلوها ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال أبو حمزة البزَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «من علم طريق الحقِّ سهل عليه سلوكه علىٰ الطريق إلَّا متابعة الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله».

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٥٥).

والمعرض عن تعلُّم الوحي: القرآن والسُّنَّة، والعمل بهما؛ هذا لم يفرح بفضل الله ورحمته، فما أبعده عنهما!

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «فُسِّرَ فضلُ الله بالإيمان، ورحمته بالقرآن، والإيمان والقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح، وهما الهدىٰ ودينُ الحقِّ، وهما أفضل علم وأفضل عمل».

والمعرض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به؛ كافر بمنَّة الله عليه من الكتاب والحكمة التي بعث بها إلىٰ خلقه، قال تعالىٰ: ﴿**لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤**﴾ [آل عمران: ١٦٤]

ومن لم يهتدِ بنور الوحي في الدُّنيا، وأعرض عن تعلُّمه والعمل به، يسير في الآخرة بلا نور، فتتخطَّفه كلاليب الصراط، وتهوي به في النَّار.

والمعرض عن تعلُّم الوحي والعمل به لا خير فيه، قال النبيُّ ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، متَّفق عليه من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وهو شرٌّ من البهائم؛ فقد آتاه الله عقلًا وفهمًا، فأعرض عن استعمالهما في تعلُّم الوحي والعمل به.

قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٣٩، ١٤٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ الإنسان إنَّما يتميَّزُ علىٰ غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان، وإلا فغيرُه من الدَّوابِّ والسِّباع أكثر أكلًا منه، وأقوىٰ بطشًا، وأكثر جِماعًا وأولادًا، وأطول عمرًا، وإنَّما مُيِّزَ علىٰ الدَّوابِّ والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عدِمَ العلمَ بقي معه القدرُ المشتركُ بينه وبين سائر الدَّوابِّ، وهي الحيوانيَّة المحضة، فلا يبقىٰ فيه فضل عليهم، بل قد يبقىٰ شرًّا منهم».

والمعرض عن تعلُّم العلم والعمل به، هذا لم يشكر نِعَمَ الله عليه، فقد آتاه الله سمعًا وعقلًا وبصرًا، فما أدَّىٰ حقَّها ولا شُكرهَا لله بتعلُّم توحيده وتحقيقه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الله تعالىٰ أعطىٰ العبدَ السمعَ ليسمع به أوامر ربِّه ونواهيه وعهوده، والقلب ليعقلها ويفقهها، والبصر ليرىٰ آياته فيستدلَّ بها علىٰ وحدانيَّته وربوبيَّته، فالمقصود بإعطائه هذه الآلات العلمُ وثمرته ومقتضاه».

والإنسان لا يصير مؤمنًا إلَّا إذا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه، ولا يكون مسلمًا إلَّا بأن يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحجَّ البيت، وكان النبيُّ ﷺ يُعلِّم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حقائق ذلك، ويقيمها معهم، ومن جاء بعدهم فعليه أن يتلقىٰ علم ذلك عن الصَّحابة الذين بلَّغوا الدِّين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الدين هو ما بعث الله عَزَّوَجَلَّ به

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٥).

(٣) شرح حديث جبريل (ص٥٩٨).

رسوله ﷺ، وهو ما يجب على المرء تصديقه فيه، والعمل به.

وعلى كلِّ أحد أن يصدِّق محمدًا ﷺ فيما أخبر به تصديقًا عامًّا، ويطيعه فيما أمر طاعة عامَّة، وإذا ثبت عنه خبر كان عليه أن يصدقه به تصديقًا مفصَّلًا، فإن كان مأمورًا فيه بأمر كان عليه أن يطيعه طاعة مفصَّلة».

ولا يُعرض عن تعلُّم الوحي ويرغب عنه إلَّا مغبون عن معرفة أعظم النِّعم وأتمِّها، الموجبة لسعادة الدُّنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فأتمُّ النِّعم وأوَّلها وأولاها وأوفاها وأعظمها بركة نعمةُ علم الوحي والعمل به.

فالمُعرض عن تعلُّم الوحي والعمل به، ساعٍ في شقاء نفسه في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [لأنعام: ١٢٥].

فمن عاش لحياة بدنه ساعيًا في ملذَّاتها مُعرضًا عن تعلُّم الوحي والعمل به؛ فقد سعىٰ في شقاء نفسه وعذابها وهلاكها وخسارتها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أعظم عذاب الروح انغماسها وتدسيسها في أعماق البدن، واشتغالها بملاذِّه، وانقطاعها عن ملاحظة ما خُلقت له، وهُيِّئَتْ له، وعن وطنها ومحلِّ أُنْسِها ومنزل كرامتها، ولكنَّ سُكْر الشهواتِ يحْجبُها عن

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٢٣).

مطالعة هذا الألم والعذاب».

علم الوحي نور وزكاء وبركة ونماء، وبعلم الوحي والعمل به تُستدرُّ البركات، وتنمو المجتمعات، ويكثر خيرها، ويتولَّاها الله حِفْظًا وهدايةً ونصرةً ورزقًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ويُدرك الأفراد من النعم وأنواع الخيرات والمسرَّات بالعلم والعمل به ما يوجب تألُّهَهم لله الذي اصطفاهم لعلم الإسلام والعمل به، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن المسيح نبيِّ الله عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «معلِّمًا للخير».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذا يدلُّ علىٰ أنَّ تعليم الرجل الخيرَ هو البركة التي جعلها الله فيه، فإنَّ البركة حصول الخير ونماؤه ودوامه، وهذا في الحقيقة ليس إلَّا في العلم الموروث عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وتعليمه.

ولهذا يُسمِّي سبحانه كتابه مباركًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص: ٢٩]، ووصف رسوله ﷺ بأنَّه مبارك، كما في قول المسيح: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، فبركة كتابه ورسوله ﷺ هي سبب ما يحصل بهما من العلم والهدىٰ والدعوة إلىٰ الله».

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٩٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٠٠).

وكلُّ مخلوق فيه نوازع الخير والشرِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨]، والمخلوق إنَّما يتزكَّىٰ بنور الوحي، وبالعمل به يكون من المتَّقين.

وكلُّ من تزكَّىٰ بالقرآن قرب من الكمال، وحظُّ كلِّ مسلمٍ من ذلك بقدر زكائه بالعلم بالوحي والعمل به، وأكمل الخلق في ذلك رسول الله ﷺ، ثمَّ أقوم الناس تأسيًا به واهتداءً بسنَّته.

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقد سُئلت عن خُلُقِ الرسول ﷺ: «كان خُلقه القرآن»، رواه مسلم.

وثمرة الجهلِ الكفرُ، والشِّركُ، والفسادُ، والظلمُ، والعدوانُ، والإعراضُ عن الله(١).

وبالعلم يُدرك الإنسان خيري الدُّنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١]، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحسنة في الدُّنيا: العلم النَّافع والعمل الصَّالح، والحسنة في الآخرة: الجنَّة.

وعلم الوحي حياة القلوب، وزكاء النُّفوس، وصلاح للأفراد والمجتمعات، وتزكية ونماء لها، تأخذ بالأفراد والأمم إلىٰ حضارة تجمع خيري الدُّنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٢١).

[الأنعام: ١٢٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لو لم يكن في العلم إلَّا القربُ من ربِّ العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة، وصحبة الملأ الأعلىٰ، لكفىٰ به فضلًا وشرفًا، فكيف وعزُّ الدُّنيا والآخرة منوطٌ به ومشروط بحصوله؟!».

ومن أعرض عن طلب علم الوحي والاهتداء به؛ فهذا لم يرضَ بالله ربًّا؛ فربُّنا خلقنا وهو الذي يهدينا ويربِّينا إلىٰ خيري الدُّنيا والآخرة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الرب هو الذي يربي عبده، فيعطيه خلقه ثم يهديه إلىٰ جميع أحواله ومصالحه التي بها كماله، ويهديه إلىٰ اجتناب المفاسد التي بها فساده وهلاكه».

وعلم الوحي فيه كل ما أراد ربنا أن يهدينا به إلىٰ كل خير، ويربِّينا به إلىٰ صحيح الاعتقاد وأحسن الأقوال والأعمال، قال تعالىٰ: ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وفي الصَّحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكان منها**

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٨٦).

(٢) طريق الهجرتين (ص٥٦).

طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقىٰ الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنَّما هي قيعان لا تُمسك ماءً ولا تنبت كلأً؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدىٰ الله الذي أُرسلت به».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في المعرضين عن طلب علم الوحي**(١): «هذا حال أكثر الخلق، وهم الأشقياء، الذين لم يقبلوا هدىٰ الله، ولم يرفعوا به رأسًا، ومن كان بهذه المثابة فليس من المسلمين».

وعلم الوحي إنَّما يُعرض عنه كافر به، أو جاهل بما فيه من الخير والنُّور والبركة والهداية لكل عمل صالح ومصلحة دينية ودنيويَّة، وعلم الوحي إنَّما يُقبل عليه زكي النَّفس القاصد إلىٰ عبادة ربِّه والفوز بسعادة الدَّارين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الناس قسمان: علية، وسفلة. فالعلية من عرف الطريق إلىٰ ربِّه وسلكها قاصدًا الوصول إليه، وهذا هو الكريم علىٰ ربه. والسفلة من لم يعرف الطريق إلىٰ ربِّه ولم يتعرفها؛ فهذا هو اللئيم الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج: ١٨].

والطريق إلىٰ الله في الحقيقة واحد لا تعدد فيه، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصلًا لمن سلكه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا

---

(١) طريق الهجرتين (ص٩٩).

(٢) طريق الهجرتين (ص١٧٧).

تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فوحد سبيله؛ لأنه في نفسه واحد لا تعدد فيه، وجمع السبل المخالفة لأنها كثيرة متعددة، كما ثبت أن النبيَّ خطَّ خطًّا ثم قال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن يساره، ثم قال: «**هذه سبل، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فوحَّد النور الذي هو سبيله، وجمع الظلمات التي هي سبيل الشيطان».

والوحي نور تحصل به الهداية إلىٰ أقوم العقائد والعبادات والأحكام والأخلاق، فمن لم يهتد به؛ ضلَّ في الجهل وسار علىٰ غير هدًىٰ من الله، فمن رغب عن نور الوحي فأعرض عنه ولم يتعلَّمه، ولم يهتد به؛ فهو في ظلمات الجهل والغواية.

قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يقول تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ﴾ من قبل هداية الله له ﴿مَيۡتٗا﴾ في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي، ﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٢٧٦).

متبصرًا في أموره، مهتديًا لسبيله، عارفًا للخير مؤثرًا له، مجتهدًا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفًا بالشر مبغضًا له، مجتهدًا في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره، أفيستوي هذا بمَنْ هو في الظلمات؛ ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي؟!

﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغمُّ والحزن والشقاء. فنبَّه تعالىٰ العقول بما تُدركه وتعرفه؛ أنه لا يستوي هذا ولا هذا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات.

فكأنه قيل: فكيف يؤثر مَنْ له أدنىٰ مسكة من عقل أن يكون بهذه الحالة، وأن يبقىٰ في الظلمات متحيرًا؛ فأجاب بأنه ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾، فلم يزل الشيطان يُحسِّن لهم أعمالهم، ويزيِّنها في قلوبهم؛ حتىٰ استحسنوها ورأوها حقًّا، وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفةً راسخة ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح».

ومن أعرض عن طلب الهداية من علم الوحي؛ فقد أعرض عن الله، ومن أعرض عن الله؛ لم يكن له من دونه ولي ولا نصير، ومن طلب الهداية من الله وأخذ بها؛ تولَّاه الله وهداه ونصره.

قال تعالىٰ عن خطاب الرُّسل لقومهم: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا دليل علىٰ أنَّ الهداية والتوكُّل متلازمان: فصاحب الحق - لعلمه بالحق، ولثقته بأن الله ولي الحق وناصره - مضطرٌّ إلىٰ توكُّله علىٰ الله لا يجد بُدًّا من توكله؛ فإن التوكُّل يجمع أصلين: علم القلب، وعمله؛ أما علمه فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك؛ وأما عمله فسكونه إلىٰ وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه.

فبهذين الأصلين يتحقَّق التوكُّل، وهما جماعُه، وإن كان التوكُّل أدخل في عمل القلب من علمه، كما قال الإمام أحمد: التوكُّل عمل القلب، ولكن لا بُدَّ فيه من العلم، وهو إما شرط فيه وإما جزء من ماهيته.

والمقصود أن القلب متىٰ كان علىٰ الحق؛ كان أعظم لطمأنينته ووثوقه بأن الله وليه وناصره، وسكونه إليه، فما له ألا يتوكل علىٰ ربه؟!

وإذا كان علىٰ الباطل علمًا وعملًا أو أحدهما؛ لم يكن مطمئنًا واثقًا بربه؛ فإنه لا ضمان له عليه، ولا عهد له عنده؛ فإن الله لا يتولىٰ الباطل ولا ينصره، ولا يُنسب إليه بوجه، فهو منقطع النسب إليه بالكلية؛ فإنه سبحانه هو الموفِّق، وقوله الحق ودينه الحق، ووعده حق، ولقاؤه حق، وفعله كله حق، ليس في أفعاله شيء باطل، بل أفعاله سبحانه بريئة من الباطل كما أقواله كذلك.

فلما كان الباطل لا يتعلَّق به بل هو مقطوع البتة؛ كان صاحبه كذلك. ومن

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٥٧).

لم يكن له تعلُّق بالله العظيم، وكان منقطعًا عن ربِّه؛ لم يكن الله وليه ولا ناصره ولا وكيله. فتدبر هذا السر العظيم في اقتران التوكُّل والكفاية بالحقِّ والهدىٰ وارتباط أحدهما بالآخر».

والرَّاغب عن طلب علم الوحي راغب عن طريق الجنَّة، قال النبيُّ ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ييسِّر الله لطالب العلم العمل بمقتضىٰ ذلك العلم، إذا قصد بتعلُّمه وجه الله؛ فيجعله الله سببًا لهدايته والانتفاع به والعمل به، وذلك من طرق الجنة الموصلة إليها.

ومنها: أن الله تعالىٰ ييسر لطالب العلم الذي يطلبه للعمل به علومًا أُخر ينتفع بها؛ فيكون طريقًا موصلًا إلىٰ الجنة، وهذا كما قيل[2]: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ؛ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». وكما يقال: «ثوابُ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةُ بَعْدَهَا».

إلىٰ هذا إشارة الله بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

فمن التمس العلم ليهتدي به؛ زاده الله هدًىٰ وعلومًا نافعة، توجب له أعمالًا صالحة، وكلُّ هذه طرق موصلة إلىٰ الجنة.

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ١٣).

(٢) هو من قول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنها: أن الله تعالىٰ قد ييسِّر لطالب العلم الانتفاع به في الآخرة، وسلوك الطريق الحسنىٰ المفضية إلىٰ الجنة، وهو الصراط وما بعده، وما قبله من الأهوال العظيمة والعقبات الشديدة الشاقة.

وسبب تيسير طريق الجنة علىٰ طالب العلم - إذا أراد به وجه الله عَزَّوَجَلَّ وطلب مرضاته -: أن العلم يدل علىٰ الله من أقرب الطرق وأسهلها، فمن سلك طريقه ولم يعوج عنه؛ وصل إلىٰ الله وإلىٰ الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، فتسهلت عليه الطرق الموصلة إلىٰ الجنة كلها في الدنيا وفي الآخرة.

ومن سلك طريقًا يظنُّه طريق الجنة بغير علم؛ فقد سلك أعسر الطرق وأشقَّها، ولا يُوصل إلىٰ المقصود مع عسرة شديدة».

علىٰ كل حال؛ فإنَّ فصل ما بين المُنعم عليهم والضَّالين والمغضوب عليهم؛ هو طلب المُنعم عليهم للعلم والعمل به والدَّعوة إليه، والصبر علىٰ ذلك، وأمَّا الضَّالون فأعرضوا عن طلب العلم، ومنهم من كفر به بعد تعلُّمه، والمغضوب عليهم علموا الحقَّ وكفروا به.

والمُنعم عليهم سعدوا بما تزكُّوا به من العلم النَّافع والعمل به والدَّعوة إليه؛ فزكت أممهم وأفرادهم، فصاروا خير البريَّة بالعلم النَّافع والعمل الصَّالح، والضَّالون والمغضوب عليهم شقوا بشركهم في الدُّنيا والآخرة فصاروا شرَّ البريَّة.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ

﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ [يونس: ١٠٨، ١٠٩].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ربكم الذي من أعظم تربيته لكم، أن أنزل إليكم هذا القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، وفيه من أنواع الأحكام، والمطالب الإلهية، والأخلاق المرضية؛ ما فيه أعظم تربية لكم، وإحسان منه إليكم؛ فقد تبيَّن الرشد من الغي، ولم يبقَ لأحد شبهة.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بهدىٰ الله، بأن علم الحق وتفهمه، وآثره علىٰ غيره فلِنَفْسِهِ، والله تعالىٰ غني عن عباده، وإنما ثمرة أعمالهم راجعة إليهم.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الهدىٰ، بأن أعرض عن العلم بالحق، أو عن العمل به؛ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ولا يضر الله شيئًا، فلا يضرُّ إلا نفسه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أنا لكم نذير مبين، والله عليكم وكيل. فانظروا لأنفسكم ما دمتم في مدة الإمهال.

﴿وَٱتَّبِعْ﴾ أيها الرسول ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ علمًا، وعملًا وحالًا، ودعوة إليه، ﴿وَٱصْبِرْ﴾ علىٰ ذلك؛ فإن هذا أعلىٰ أنواع الصبر، وإنَّ عاقبته حميدة؛ فلا تكسل، ولا تضجر، بل دُم علىٰ ذلك، واثبت، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ بينك وبين من كذبك، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ فإن حكمه مشتمل علىٰ العدل التام، والقسط الذي يُحمد عليه».

❁ ❁ ❁

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٣٩١).

ثم قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا فرق في جميع هذه النَّواقض بين الهازل والجادّ والخائف، إلا المكره.

وكلُّها من أعظم ما يكون خطرًا، ومن أكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه.

نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلىٰ الله علىٰ خير خلقه، محمد وآله وصحبه وسلم.

الشَّرح:

في خاتمة المؤلِّف بعد أن ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نواقض الإسلام، ذكر من تجري عليه أحكام الردَّة إذا أتىٰ بناقض من النَّواقض التي ذكرها، واستثنىٰ المكره لأنَّه لم يكن له قصد في قوله، وقد عذره الله حيث كان منشرح الصَّدر بالإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وعذر النبيُّ ﷺ عمَّارًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث سبَّه؛ لإكراه الكفَّار له، وكان صدره منشرحًا بالإسلام.

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لو أنَّ رجلًا أسره العدوُّ فأكرهه علىٰ الكفر؛ لم تَبِنْ منه امرأته، ولم يُحكم عليه بشيء من حكم المرتد».

(١) الأم (٧/ ٤٠٥).

وقال العلَّامة **أبو عبد الله القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أجمع أهل العلم علىٰ أنَّ من أُكره علىٰ الكفر حتىٰ خشي علىٰ نفسه القتل؛ أنَّه لا إثم عليه إن كفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجه، ولا يُحكم عليه بالكفر».

والرُّخصة بقول كلمة الكفر حال الإكراه بالقتل، مع اطمئنان القلب بالإيمان؛ هذا حيث لا يكون ذلك سببًا لظهور الكفر، وانشراح صدور المتبوعين المؤمنين للكفر الذي قصد المقاتلون عليه اطمئنانهم إلىٰ عقائد الكفر؛ كما حصل في فتنة خلق القرآن، حيث صبر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان ذلك سببًا في ثبات الموحِّدين علىٰ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وحفظ توحيد المسلمين من إضلال المعتزلة.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الذي يُكرَهُ علىٰ الكفر فيصبر حتىٰ يُقتَل ولا يتكلَّم بالكفر؛ فإن هذا بمنزلة الذي يُقاتِله العدو حتىٰ يُقتَل ولا يستأسِر لهم، والذي يتكلَّم بالكفر بلسانه وهو موقنٌ من قلبه بالإيمان بمنزلة المستأسِر للعدو. فإن كان هو الآمر النَّاهي ابتداءً كَان بمنزلة المجاهد ابتداءً. فإذا كان الأول أَعَزَّ الإيمان وأَذَلَّ الكفر؛ كان هو الأفضل.

وقد يكون واجبًا إذا أفضىٰ تركه إلىٰ زوال الإيمان من القلوب، وغلبة الكفر عليها وهي الفتنة؛ فإنَّ الفتنة أشدُّ من القتل، فإذا كان بترك القتل يحصل من

---

(١) أحكام القرآن (١٠/ ١٨٢).

(٢) جامع المسائل، المجموعة الخامسة (ص٣٢٩).

الكفر ما لا يحصل بالقتل، وبالقتل يحصل من الإيمان ما لا يحصل بتركه؛ تَرَجَّح القتل واجبًا تارةً ومُستحبًّا أُخرىٰ، وكثيرًا ما يكون ذلك تخويفًا به، فيجب الصبر علىٰ ذلك».

ومن موانع التَّكفير الخطأ، يدلُّ لذلك حديث الرَّجل الذي أضلَّ راحلته في أرض فلاة، وأيس منها ونام، فلمَّا استيقظ وجدها أمامه، فقال: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك؛ قال النبي ﷺ: «**أخطأ من شدَّة الفرح**»، متَّفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن أخطأ في استعمال عبارات محتملة في الكفر، وما يجري علىٰ ألسنة كثير من النَّاس من الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ من المخلوقين خطأً من غير قصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله، أو أشدَّ تعظيمًا؛ فهؤلاء لا يجازف العلماء في تكفيرهم.

قال الشيخ عبد الله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ننظر إلىٰ حال المقسم؛ إن قصد به التعظيم، كتعظيم الله أو أشد، كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا، إذا استُحلف بشيخه؛ أي: معبوده الذي يعتمد في جميع أموره عليه، لا يرضىٰ أن يحلف إذا كان كاذبًا أو شاكًّا، وإذا استُحلف بالله فقط رضي؛ فهو كافر من أقبح المشركين، وأجهلهم إجماعًا. وإن لم يقصد التعظيم، بل سبق لسانه إليه؛ فهذا ليس بشرك أكبر، فيُنهىٰ عنه ويُزجر، ويؤمر صاحبه بالاستغفار عن تلك الهفوة».

---

(١) الدُّرر السنيَّة (١/ ٢٣٢).

والغضب إذا كان شديدًا؛ فإنَّه يُغلق على الإنسان عقله، ومداركه، وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما رأى قومه يعبدون العجل غلبه الغضب، فألقى ألواح التَّوراة التي كانت بيده، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠﴾ [الأعراف: ١٥٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ظاهر السِّياق أنَّه إنَّما ألقى الألواح غضبًا على قومه، وهذا قول جمهور العلماء سلفًا وخلفًا».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن موسى - صلوات الله عليه - لم يكن ليُلْقِي ألواحًا كتبها الله تعالى، فيها كلامه، من على رأسه إلى الأرض فيكسرها اختيارًا منه لذلك، ولا كان فيه مصلحة لبني إسرائيل، ولذلك جَرَّهُ بلحيته ورأسه، وهو أخوه، وإنَّما حمله على ذلك الغضب الخارج عن قدرة العبد واختياره، فالمُتَوَلِّدُ عنه غير منسوب إلى اختياره ورضاه به، يوضِّحُه قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، فعَدَل سبحانه عن قوله: [سكن] إلى قوله: ﴿سَكَتَ﴾ تنزيلًا للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي الذي يقول لصاحبه: افعل، لا تفعل؛ فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه، المتكلِّم

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٥).

(٢) إغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان (ص١٣، ١٤).

علىٰ لسانه؛ فهو أولىٰ بأن يُعْذَرَ من المُكْرَه الذي لم يتسلَّط عليه غضب يأمره وينهاه».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الغضبان الذي يمنعه الغضب من معرفة ما يقول وقصده؛ فهذا من أعظم الإغلاق، وهو في هذا الحال بمنزلة المُبَرْسَمِ والمجنون والسكران، بل أسوأ حالًا من السَّكران».

والغضب إذا حصل للإنسان في مبادئه وأوائله بحيث لا يتغيَّر عليه عقله، ولا ذهنه، ويعلم ما يقول ويقصده؛ فهذا يؤاخذ بكسبه وقصده.

والغضب الذي يمنع الإنسان من معرفة ما يقول وقصده، ويُغلق عليه باب الإرادة؛ هو الذي يكون حكمه كالمجنون[2].

والذي اشتدَّ غضبه فجرىٰ علىٰ لسانه من اللَّفظ ما لم يقصده؛ هو كالذي أخطأ باللَّفظ من شدَّة الفرح، فلم يؤاخذ علىٰ كلامه لعدم وجود القصد منه.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «جعل سببَ المؤاخذة كَسْبَ القلب، وكَسْبُه هو إرادته وقصده، ومن جرىٰ علىٰ لسانه الكلام من غير قصد واختيار، بل لشدَّة غضب، وسُكْرٍ أو غير ذلك؛ لم يكن من كَسْب قلبه

ولهذا لم يؤاخذ الله سبحانه الذي اشتدَّ فرحه بوجود راحلته بعد الإياس

---

(١) إغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان (ص١٩).

(٢) إغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان (ص٢٠، ٢١).

(٣) إغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان (ص٢٩).

منها، فلما وجدها أخطأ من شدة الفرح، وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. فجرىٰ هذا اللفظ علىٰ لسانه من غير قصد، فلم يؤاخذه به، كما يجري الغلط في القرآن علىٰ لسان القارئ».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من فوائد الآية: عدم مؤاخذة العبد بما لم يقصده في لفظه، وهذه الفائدة قاعدة عظيمة يترتب عليها مسائل كثيرة، منها: لو جرىٰ لفظ الطلاق علىٰ لسانه بغير قصد لم تطلق امرأته؛ ولو طلق في حال غضب شديد لم تطلق امرأته؛ ولو قال كفرًا في حال فرح شديد لم يكفر، كما في حديث: «**للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم...** » الحديث؛ ولو أكره علىٰ كلمة الكفر فقالها وقلبه مطمئن بالإيمان لم يكفر؛ وأمثلتها كثيرة».

والإنسان يؤاخذ من كلامه بما انعقد عليه قلبه وقصده، قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أخبر سبحانه أنَّه إنَّما يُعتبر في الأيمان قصد القلب وكسبه، لا مجرَّد اللَّفظ الذي لم يقصده أو لم يقصد معناه، علىٰ التَّفسيرين في اللَّغو».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الغلط والسهو والنسيان، وسبق اللسان بما لا

---

(١) تفسير سورة البقرة (٣/ ٩٣، ٩٤).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ٢٦٧).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٥٩٣).

يريده العبد بل يريد خلافه، والتكلُّم به مكرهًا وغير عارف لمقتضاه؛ من لوازم البشرية، لا يكاد ينفكُّ الإنسان من شيء منه، فلو رُتِّب عليه الحكم لحَرِجت الأمة وأصابها غايةُ العَنَت والمشقة؛ فرُفع عنها المؤاخذة بذلك كلِّه، حتىٰ الخطأ في اللفظ من شدَّة الفرح والغضب والسُّكْر كما تقدمت شواهده، وكذلك: الخطأ والنسيان، والإكراه، والجهل بالمعنىٰ، وسبق اللسان بما لم يُرِده، والتكلُّم في الإغلاق، ولغو اليمين؛ فهذه عشرة أشياء لا يؤاخذ الله عبده بالتكلُّم في حال منها؛ لعدم قصده وعَقْدِ قلبه الذي يؤاخذه به».

وإذا كان الله سبحانه لم يؤاخذ المُكْرَه لقول كلمة الكفر؛ إذا كان قلبه مطمئنًّا بالإيمان، وما جرىٰ علىٰ لسانه لم يكن باختياره؛ فالغضب كالإكراه حيث يغلق علىٰ الإنسان مداركه وقصده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الخوف في قلب المُكْرَه كالغضب في قلب الغضبان، لكنَّ المكره مقهور بغيره من خارج، والغضبان مقهور بغضبه الداخل فيه.

وقهر الإكراه يُبْطِلُ حكم الأقوال التي أُكره عليها، ويجعلها بمنزلة كلام النائم والمجنون دون حكم الأفعال؛ فإنه يُقتل إذا قتل، ويَضْمَن إذا تلف؛ فكذلك قَهْرُ الغضب يُبْطِلُ حكم أقوال الغضبان دون أفعاله، حتىٰ لو قتل في هذه الحالة قتل أو أتلف شيئًا ضمنه. هذا كلُّه في الغضبان الذي يَكرَهُ ما قاله حقيقةً، فأما من هو مريد له علىٰ تقدير عدم غضبه لاقتضاء سبب ذلك؛ فليس من هذا الباب».

(١) إغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان (ص٣٢).

علىٰ كل حال الألسنة مغاريف لما في القلوب، فمن اعتاد علىٰ قول كلمة الكفر، كسبِّ الله، فإنَّه كلَّما تكرَّر غضبه سبَّ الله؛ فهذا لا ريب في كفره، فليس في قلبه تعظيم لله، وأمَّا من نطق بخلاف المعهود عنه لغلبة الغضب علىٰ عقله، وإغلاق مداركه؛ فهذا يُقال فيه ما قيل في موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حين ألقىٰ الألواح.

ومن أصابه جنون وتكلَّم بالكفر، فالمعتبر حاله قبل الجنون؛ لأنَّ المجنون لا عقل له، وقد رُفع عنه الإثم.

قال الحافظ ابن المنذر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أجمع كل من يُحفظ قوله من العلماء علىٰ أنَّ المجنون في حال جنونه إذا تكلَّم بالكفر؛ أنَّه مسلم، كما كان قبل ذلك».

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ الردَّة لا تصحُّ إلا من عاقل، فأمَّا من لا عقل له؛ كالطفل الذي لا عَقْل له، والمجنون، ومن زال عقله بإغماء، أو نوم، أو مرض، أو شُرْب دواء يُباح شُرْبه؛ فلا تصح ردَّتُه، ولا حكم لكلامه، بغير خلاف».

ومن وُلد مجنونًا فإنَّه يُمتحن في عرصات يوم القيامة، فإن أطاع الله دخل الجنَّة، ووقوع التَّكليف له في الدَّار الآخرة ثبت بالحديث، فنقول بموجبه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «رويت أحاديث الامتحان في الآخرة من حديث

---

(١) الإقناع (٢/ ٥٨٢).

(٢) المغني (١٢/ ٢٦٦).

(٣) طريق الهجرتين (ص٣٩٨).

الأسود بن سريع، وصحَّحه عبد الحقِّ والبيهقي من حديث أبي هريرة، وأنس، ومعاذ، وأبي سعيد».

والتَّكليف ينقطع بدخول الجنَّة والنَّار، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذه الأحاديث يشدُّ بعضها بعضًا، وتشهد لها أصول الشَّرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السَّلف والسُّنَّة».

وما يتكلَّم به السَّكران من الكفر لا يُحكم به عليه؛ لأنَّه لا عقل معه حال سكره.

قال الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النَّيسابوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٨هـ)**[2]: «وقد اختُلِف فيمن تكلَّم بالكفر وهو سكران، فألزمته طائفة الارتداد، وكان عثمان بن عفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: لا طلاق للسَّكران ولا للمعتوه.

ومِن حجَّة مَن لا يلزمه الارتداد أنَّ المُكْرَه علىٰ الكفر لما سقط حكم الكفر عنه لارتفاع مراده؛ وجب كذلك أن يسقط حكم السُّلطان عنه لارتفاع مراده. وفي قولهم: إنَّ السَّكران إذا ارتدَّ لم يستتب في سكره، ولم يُقتل؛ دليل علىٰ أن لا معنىٰ لارتداده، وقد حرَّم رسول الله الدِّماء، ولا يجوز أن يهراق دم باختلاف لا حجَّة مع موجبه.

والعبد والحرُّ والمكاتب والمُدَبَّر في ذلك سواء، كل من ارتدَّ منهم وجب قتله إن لم يتب».

---

(١) طريق الهجرتين (ص٣٩٩)، ط: المكتبة السَّلفيَّة.

(٢) الإقناع (٢/ ٥٨٢).

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اختلفت الرواية عن أحمد في رِدَّة السكران؛ فروي عنه أنَّها تصح؛ قال أبو الخطاب: وهو أظهر الروايتين عنه وهو مذهب الشافعي. وعنه: لا يصح وهو قول أبي حنيفة؛ لأن ذلك يتعلَّق بالاعتقاد والقصد، والسكرانُ لا يصحُّ عقده ولا قصده؛ فأشبه المعتوه، ولأنَّه زائل العقل، فلم تصحَّ ردَّتُه كالنائم، ولأنه غير مُكلَّفٍ، فلم تصح ردَّته كالمجنون».

ورجَّح ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقوع الردَّة من السَّكران؛ لأنَّ الصَّحابة جعلوا موجب تعزيره السُّكر، وجعلوا حدَّه بهذيانه حال سكره بمقدار حد الفرية[٢].

ورجَّح ذلك ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ السَّكران لا يزول عقله بالكُلِّيَّة، ولهذا يتَّقي المحذورات، ويفرح بما يَسُرُّه، ويُسَاءُ بما يضرُّه، ويزول سكره عن قُرْب من الزَّمانِ؛ فأشبه النَّاعس، بخلاف النَّائم والمجنون[٣].

والصَّواب أنَّ السُّكر درجات، منه ما يكون السَّكران كالنَّاعس كما قال ابن قدامة، ومنه ما يكون كالمجنون لا يعقل السَّكران ما يقول، وإذا لم يعقل السَّكران ما يقول؛ كان قوله لغوًا.

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «السّكارىٰ جمع سكران، وهو الذي سُدَّ عليه طريق الإدراك، ومتىٰ بلغ إلىٰ هذه الحالة؛ كان بيعه وشراؤه ملغيًّا».

(١، ٢) المغني (١٢/ ٢٩٥).

(٣) المغني (١٢/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٤) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥١٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنه قد ثبت في الصحيح عن ماعز بن مالك لما جاء إلىٰ النبي ﷺ وأقر أنَّه زنىٰ؛ أمر النبيُّ ﷺ أن يستنكهوه؛ ليعلموا هل هو سكران أم لا، فإن كان سكران لم يصح إقراره، وإذا لم يصح إقراره عُلم أن أقواله باطلة كأقوال المجنون، ولأنَّ السكران وإن كان عاصيًا في الشرب؛ فهو لا يعلم ما يقول، وإذا لم يعلم ما يقول لم يكن له قصد صحيح، وإنَّما الأعمال بالنيات».

وبقَرَ حمزة بن عبد المطَّلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خواصر إبل عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو سكران – قبل تحريم الخمر –، فطفق النبيُّ ﷺ يلوم حمزة، فإذا حمزة قد ثَمِل محمرَّةٌ عيناه، ثم قال حمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل أنتم إلا عبيد لآبائي؟ فعرف النبيُّ ﷺ أنَّه قد ثَمِل. رواه البخاري ومسلم.

فلم يُؤاخذ حمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالشِّرك الذي تكلَّم به حال سكره؛ لأنَّه لم يعقل ويقصد ما قال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الصَّحيح أنَّه لا عبرةَ بأقواله – السَّكران – من: طلاق، ولا عتاق، ولا بيع، ولا هبة، ولا وقف، ولا إسلام، ولا ردَّة، ولا إقرار».

وقاعدة الشَّرع اعتبار حال الإنسان بما كان عليه قبل زوال عقله؛ لأنَّه بزوال عقله ليس له قصد صحيح.

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٣/ ١٠٢ – ١٠٦).

(٢) إعلام الموقِّعين (٤/ ٤٧٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا يكتب للمجنون حال جنونه مثل ما كان يعمل في حال إفاقته، كما لا يكون مثل ذلك لسيئاته في زوال عقله بالأعمال المسكرة، والنوم؛ لأنه في هذه الحال ليس له قصد صحيح، ولكن في الحديث الصحيح عن أبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مرض العبد أو سافر؛ كُتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم**». وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال في غزوة تبوك: «**إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**، قالوا: وهم بالمدينة؟! قال: **وهم بالمدينة حبسهم العذر**»؛ فهؤلاء كانوا قاصدين للعمل الذي كانوا يعملونه راغبين فيه، لكن عجزوا فصاروا بمنزلة العامل، بخلاف من زال عقله؛ فإنه ليس له قصد صحيح ولا عبادة أصلًا، بخلاف أولئك فإنَّ لهم قصدًا صحيحًا يُكتب لهم به الثواب.

وأما إن كان قبل جنونه كافرًا أو فاسقًا أو مذنبًا؛ لم يكن حدوث الجنون به مزيلًا لما ثبت من كفره وفسقه، ولهذا كان من جنَّ من اليهود والنصارىٰ بعد تهوُّده وتنصره محشورًا معهم، وكذلك مَن جنَّ مِن المسلمين بعد إيمانه وتقواه محشورًا مع المؤمنين من المتقين.

وزوال العقل بجنون أو غيره، سواء سمي صاحبه مولهًا أو متولهًا؛ لا يوجب مزيد حال صاحبه من الإيمان والتقوىٰ، ولا يكون زوال عقله سببًا لمزيد

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٤٤٠ – ٤٤٤).

خيره ولا صلاحه ولا ذنبه، ولكن الجنون يوجب زوال العقل؛ فيبقىٰ علىٰ ما كان عليه من خير وشرٍّ، لا أنه يزيده ولا يُنقصه، لكنَّ جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته علىٰ الشر.

وأما إن كان زوال عقله بسبب محرَّم؛ كشرب الخمر، وأكل الحشيشة، أو كان يحضر السماع الملحن فيستمع حتىٰ يغيب عقله، أو الذي يتعبَّد بعبادات بدعية حتىٰ يقترن به بعض الشياطين فيغيِّروا عقله، أو يأكل بنجًا يزيل عقله؛ فهؤلاء يستحقُّون الذم والعقاب علىٰ ما أزالوا به العقول، وكثير من هؤلاء يقصد التولُّه حتىٰ يصير مولهًا؛ فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان، وهذا معروف عن غير واحد منهم.

واختلف العلماء هل هم «مكلفون» في حال زوال عقلهم؟ والأصل مسألة «السكران»، والمنصوص عن الشافعي وأحمد وغيرهما؛ أنَّه مكلف حال زوال عقله، وقال كثير من العلماء: ليس مكلفًا، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وإحدىٰ الروايتين عن أحمد؛ أن طلاق السكران لا يقع، وهذا أظهر القولين.

ولم يقل أحدٌ من العلماء أن هؤلاء الذين زال عقلهم بمثل هذا يكونون من أولياء الله الموحِّدين المقربين، وحزبه المفلحين. ومن ذكره العلماء من عقلاء المجانين الذين ذكروهم بخير؛ فهم من القسم الأول الذين كان فيهم خير ثم زالت عقولهم.

ومن «علامة هؤلاء» أنَّهم إذا حصل لهم في جنونهم نوع من الصحو تكلَّموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، لا بالكفر والبهتان، بخلاف غيرهم ممن يتكلَّم إذا حصل له نوع إفاقة بالكفر والشرك، ويهذي في زوال عقله بالكفر؛ فهذا إنما يكون كافرا لا مسلمًا.

ومن كان يهذي بكلام لا يُعقل: بالفارسية أو التركية أو البربرية، وغير ذلك مما يحصل لبعض من يحضر السماع ويحصل له وجد؛ يغيب عقله حتىٰ يهذي بكلام لا يُعقل، أو بغير العربية؛ فهؤلاء إنما يتكلَّم علىٰ ألسنتهم الشيطان كما يتكلم علىٰ لسان المصروع.

ومن قال: إن هؤلاء أعطاهم الله عقولًا وأحوالًا، فأبقىٰ أحوالهم وأذهب عقولهم، وأسقط ما فرض عليهم بما سلب.

قيل: قولك: وهب الله لهم أحوالًا كلامٌ مجمل؛ فإن الأحوال تنقسم إلىٰ: حال رحماني، وحال شيطاني، وما يكون لهؤلاء من خرق عادة بمكاشفة وتصرف عجيب؛ فـ«تارة» يكون من جنس ما يكون للسحرة والكهان، و«تارة» يكون من الرحمن من جنس ما يكون من أهل التقوىٰ والإيمان، فإن كان هؤلاء في حال عقولهم كانت لهم مواهب إيمانية، وكانوا من المؤمنين المتقين؛ فلا ريب أنه إذا زالت عقولهم سقطت عنهم الفرائض بما سلب من العقول، وإن كان ما أعطوه من الأحوال الشيطانية - كما يعطاه المشركون وأهل الكتاب والمنافقون -؛ فهؤلاء إذا زالت عقولهم لم يخرجوا بذلك مما كانوا عليه من

الكفر والفسوق، كما لم يخرج الأولون عما كانوا عليه من الإيمان والتقوىٰ؛ كما أن نوم كلٍّ واحد من الطائفتين وموته وإغماءه لا يزيل حكم ما تقدَّم قبل زوال عقله، من إيمانه وطاعته أو كفره وفسقه بزوال العقل، غايته أن يسقط عنه التكليف».

وقول الإمام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لا فرق في جميع هذا النَّواقض بين الهازل والجاد**»؛ لأنَّ الجاد قصد الإتيان بنواقض الإسلام، وكذلك الهازل؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ نهىٰ أن تُتَّخذ آيات الله هزوًا، وحكم بكفر من استهزأ بالله وآياته ورسوله، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

والمستهزئ مراغم للشَّريعة التي نهت عن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله؛ فهو قاصد للكفر مراغم لأحكام الله في كفر من استهزأ بالله وآياته ورسوله. والاستهزاء بالله وآياته ورسوله ولو هزلًا؛ دالٌّ علىٰ عدم تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، والمسلم هو الذي يعظِّم الله عَزَّوَجَلَّ وينصره ويتولَّاه، والكافر لا يرجو لله وقارًا، يسب الله ويستهزئ بالله وآياته ورسوله.

والمُجَالِس لمن يستهزئ ويسخر بالله ودينه ورسوله كافر، فالمستهزئ نفسه أشد كفرًا، ولو كان هازلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن الخطاب بهذه الآية للمنافقين؛ فإنهم كانوا يقعدون مع اليهود خائضين في آيات الله بالتكذيب والاستهزاء، ألا تراه يقول عقيب ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ أي: كما اجتمعوا في الدنيا علىٰ التكذيب والاستهزاء، يجمعهم في الآخرة في العذاب».

والله عَزَّوَجَلَّ له الكمال كله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وآياته وشرعه كله عدل وكمال وصدق؛ قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، فما يستهزئ بالله وآياته جاد أو هازل إلا معلن بكفره وزندقته؛ فليس في الله ولا شرعه موضع نقد واستهزاء. ورسول الله محمد ﷺ خير البريَّة فاق المخلوقين جميعًا في كل فضل، فما يستهزئ به إلا كافر ناقص.

❁ ❁ ❁

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٦٤٩، ٦٥٠).

عقوبة المرتد

عقوبة المرتدّ القتل، قال النبيُّ ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»، رواه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قال العلامة الفقيه ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «المُرتَدُّ: هو الراجعُ عن دين الإسلام إلىٰ الكفر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**».

وأجمع أهل العلم علىٰ وجوب قتل المُرْتَدِّين.

ورُوي ذلك عن أبي بكر، وعمر وعثمان، وعليٍّ، ومعاذ، وأبي موسىٰ، وابن عباس، وخالد، وغيرهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولم ينكر ذلك؛ فكان إجماعًا».

فالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لم يختلفوا في أنَّ حكم المرتدِّ القتلُ، وإنَّما أنكر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ القتل بالنَّار، أي صفة القتل، ووافق ابن عباس عليًّا في حكم القتل.

قال البخاري: حدَّثنا أبو النُّعمان محمد بن الفضل، حدَّثنا حماد بن زيد، عن

---

(١) المغني (١٢/ ٢٦٤).

أيوب، عن عكرمة قال: أُتِيَ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فقال: لو كنت أنا لم أحَرِّقهم؛ لنهي رسول الله ﷺ: «**لا تعذِّبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله ﷺ: «**من بَدَّلَ دينه فاقتلوه**»[1].

والمرأة المرتدَّة كالرَّجل في حكم عقوبتها، وبهذا كان يأمر النبيُّ ﷺ نوَّابه وأمراءه أن يحكموا، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «وقد وقع في حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبيَّ ﷺ لما أرسله إلىٰ اليمن قال له: «**أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد وإلا فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها، فإن عادت وإلا فاضرب عنقها**»، وسنده حسن، وهو نصٌّ في موضع النزاع فيجب المصير إليه».

وحديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أفادنا أنَّ النبيَّ ﷺ كان يأمر باستتابة المرتدِّ قبل عقوبته.

ويعضد حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ما رواه البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»، فعمومه شمولي للرِّجال والنِّساء، قال القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «هو عام في كلِّ مُبَدِّل؛ لقوله: «مَنْ»، وهي من ألفاظ العموم».

وبدلالة عموم حديث ابن عباس، والنصّ الخاص الوارد في حكم المسألة

---

(١) البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتدِّ والمرتدَّة واستتابتهم (ص١١٩٢، ١١٩٣ - رقم ٦٩٢٢).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٤٠).

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك (٦/ ٣٥٢).

للمرأة في حديث معاذ؛ لا تصحُّ معارضته بتعليل أنَّ المرأة مال فتسترق، فالنص هو الواجب الاتباع، والرَّقيق من الرِّجال المسلمين لو ارتد يُقتل، ولا يستبقىٰ رقيقًا مرتدًّا.

وفقه أكابر الصَّحابة هو عقوبة المرأة بمثل عقوبة الرَّجل في الردَّة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قتل أبو بكر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - في خلافته امرأة ارتدَّت(٢)، والصَّحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - متوافرون، فلم ينكر ذلك عليه أحد».

واستقراء أحكام الشَّريعة في الحدود يدلُّ علىٰ استواء حكم المرأة مع الرَّجل في العقوبة، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «يؤيِّده اشتراك الرِّجال والنِّساء في الحدود كلِّها».

ومن مقاصد قتل المرتدِّ والمرتدَّة حفظ الدِّين، فإنَّ ذلك يمنع من النَّقص ويمنع من الخروج عنه(٤).

وإذا تاب المرتدُّ قُبلت توبته؛ دلَّ علىٰ ذلك النصُّ والإجماع، فقد جعل الله للمرتدِّ سبيلًا إلىٰ التَّوبة، فقال سبحانه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٤].

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٤٠).

(٢) **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخرج الدَّارقطني أثر أبي بكر من وجه حسن»، فتح الباري (١٢/ ٣٤٠).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٤٠).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١٠٢).

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الصَّواب قبول توبة كل من تاب توبةً نصوحًا من كل ذنب؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، ولقوله في نفس المنافقين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ [النساء: ١٤٦]، لكن من سبَّ النبيَّ ﷺ فإنَّه يُقتل بكل حال، وإن تاب قُتل مسلمًا؛ لأنَّ السبَّ حقٌّ للنبيِّ ﷺ، فهو حقٌّ لآدمي لم نعلم أنَّه عفا عنه فوجب الأخذ به، بخلاف من سبَّ الله ثم تاب، فإنَّه لا يُقتل؛ لأنَّ سبَّ الله حقٌّ لله، وقد علمنا عفوه تعالىٰ عن حقِّه لمن تاب إليه».

وأجمع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ قبول توبة المرتدِّين بعد وفاة النبيِّ ﷺ، وهو أوضح وأشهر إجماع.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠] فهؤلاء لم يتوبوا من ردَّتهم، بل زاد كفرهم وتغلَّظ واستمروا علىٰ ردَّتهم، وماتوا وهم مرتدُّون كافرون.

قال العلَّامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هذا في قوم كانوا مع الحارث بن أوس، وارتدُّوا، فلما رجع هو إلىٰ الإسلام؛ أمسكوا عن الإسلام أولئك القوم، وقالوا: نتربَّص الدَّهر بمحمد، فإن ساعده الزَّمان ونفذ أمره نرجع إلىٰ

---

(١) حاشية علىٰ الرَّوض المربع (ص٦٨٣)، حاشية (*١)، ط: دار المؤيد - الرِّياض.

(٢) تفسير القرآن (١/ ٣٣٩).

دينه؛ فنزلت الآية».

وقال التَّابعي المفسِّر أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لأنَّهم لم يكونوا محقِّقين للتَّوبة، بل كانوا متربِّصين».

وفقه الصَّحابة لحديث «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»؛ هو استتابة المرتدِّ، فإن أبىٰ واستمرَّ علىٰ ردَّته؛ قَتَله وليُّ الأمر أو نوَّابه الذين يستعملهم في إقامة الحدود والتَّعزيرات.

قال الحافظ ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ظاهر هذا الحديث يُوجب علىٰ كل حال من غَيَّرَ دين الاسلام أو بَدَّلَه؛ فليقتل، ويُضرب عُنُقه، إلا أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: إنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فكأن الحديث عندهم خرج علىٰ من بدَّل دينه وتمادىٰ علىٰ ذلك، ولم يُصرف عنه، كما خرج أيضًا علىٰ دين الإسلام دون غيره».

وفقه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة - كما هو معلوم من منهجه - الأخذُ بفقه الصَّحابة في استتابة المرتدِّ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «اتَّبَعَ – الإمام أحمد - في استتابته – المرتد - ما صَحَّ في ذلك عن عمر وعثمان وعليٍّ وابن مسعود وأبي موسىٰ وغيرهم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنهم أمروا

---

(١) تفسير القرآن (١/ ٣٣٩).

(٢) الاستذكار (٢٢/ ١٣٧).

(٣) الصَّارم المسلول (ص٣٠١).

باستتابة المرتد في قضايا متفرقة، وقدرها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ثلاثًا وفسَّر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَ النبيِّ ﷺ: «**من بدَّلَ دينه فاقتلوه**» بأنَّه المقيمُ علىٰ التبديل الثابت عليه، فإذا تاب لم يكن مبدِّلًا، وهو راجع يقول: قد أسلمت».

وهذا الفقه من الصَّحابة إجماع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «العمدة فيه إجماع الصَّحابة».

ومن استعجل من نوَّاب الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إقامة حدِّ الردَّة قبل استتابة المرتدِّ؛ أنكره عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال محمد بن عبد الله بن عبد القاري: قدم علىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلٌ من قبل أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن الناس، فأخبره، ثم قال: هل من مُغْرِبَةِ خَبَرٍ؟ قال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه؛ قال: فما فعلتم به؟ قال: قرَّبناه فضربنا عنقه.

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فهلا حبستموه ثلاثًا، وأطعمتموه كلَّ يوم رغيفًا، واستتبتموه لعله يتوب ويرجع إلىٰ أمر الله؟ اللهم إنِّي لم أحضر، ولم آمر، ولم أرضَ إذ بلغني. رواه مالك والشَّافعي وأحمد.

واستدلَّ ابن القصَّار المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفقه الفاروق والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ باستتابة المرتدّ علىٰ معنىٰ حديث: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»، فقال[(٢)]: «إن عمر

---

(١) الصَّارم المسلول (ص٣٢٣).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٣٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب في أمر المرتد: هلا حبستموه ثلاثة أيام، وأطعمتموه في كل يوم رغيفًا، لعله يتوب فيتوب الله عليه؟ قال: ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كأنَّهم فهموا من قوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» أي: إن لم يرجع».

وأما ما رواه البخاري ومسلم أنَّ معاذًا قدم علىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اليمن، فإذا رجل عند موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهوديًّا فأسلم ثم تَهوَّد، قال أبو موسىٰ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اجلس! قال: لا أجلس حتىٰ يُقتل، قضاء الله ورسوله - قالها ثلاثًا -. فأمر به فقُتل؛ فهو لا ينفي استتابة أبي موسىٰ للمرتدِّ، وقد جاء مفسَّرًا في بعض الرِّوايات أنَّ أبا موسىٰ دعا المرتدَّ عشرين ليلة فأبىٰ، وأنَّ معاذًا دعاه فأبىٰ فضرب عنقه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الرِّواية المثبتة بأنَّ معاذًا استتابه، وهي أقوىٰ، والرِّوايات السَّاكتة عنها لا تعارضها».

ومقصود استتابة المرتد مصلحته بدعوته إلىٰ ما يعتق رقبته من النَّار، ودعوته إلىٰ الإسلام من جديد، وكشف شبهات ردَّته له إن كانت ردَّته عن شبهة أفسدت عليه إسلامه.

قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٦٢٠هـ)**[2]: «إنَّ الردَّة في الغالب إنما تكون لشبهة عرضت له، فإذا تُأنىٰ عليه، وكُشفت شبهته؛ رجع إلىٰ الإسلام، فلا

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٤٤)، باختصار.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد (ص٨٤٣، ٨٤٤).

يجوز إتلافه مع إمكان استصلاحه؛ فعلىٰ هذا يُضيَّق عليه في مدة الاستتابة، ويُحبس ويدعىٰ إلىٰ الإسلام، وتُكشف شبهته، ويُبيَّن له فساد ما وقع له».

وعن أبي واقد الليثي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنَيْن، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدْرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط؛ فممرنا بسدْرة، فقلنا: يا رسول الله**!** اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنَّها السنَن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتَرْكَبُنَّ سنن من كان قبلكم**»، رواه التِّرمذي وصحَّحه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد الحديث**(١): «إنَّ المسلم المجتهد إذا تكلَّم بكلام كفر، وهو لا يدري، فَنُبِّه علىٰ ذلك فتاب من ساعته؛ أنَّه لا يكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبيَّ ﷺ».

وقال العلَّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح عبارة الجدّ شيخ الإسلام(٢): «إنَّ من الأشياء ما قد يخفىٰ، ويكون مجتهدًا، وبعد ما يُبيَّن له يرجع؛ كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبيَّ ﷺ».

والواجب العمل بالإجماع السَّابق للصَّحابة باستتابة المرتدِّ؛ فإنَّ الصَّحابة

---

(١) كشف الشُّبهات (ص٦٣)، المطبوع ضمن متون التَّوحيد والعقيدة، ط: دار الآثار، القاهرة – ط: الأولىٰ.

(٢) شرح كشف الشُّبهات (ص١٠٩).

اجتمعوا علىٰ الحقِّ في ذلك، وعصمهم الله من الاجتماع علىٰ الباطل، والصَّحابة أعلم بمعاني النُّصوص لتلقِّيهم فقهها عن النبيِّ ﷺ مباشرة، وأولىٰ الأحكام بتلقِّي فقهها عن الصَّحابة أحكام الردَّة؛ لأنَّهم أوَّل من أدرك من هذه الأمَّة أحكامها في عهد النبيِّ ﷺ وبعد وفاته.

والاستتابة عامَّة للمرتدِّ الذي وُلد في الإسلام، والمرتدِّ الذي كان كافرًا ثم أسلم؛ **قال العلَّامة محمد بن عيسىٰ بن أصبغ ابن المناصف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٢٠هـ)**(١): «القول بالاستتابة أرجح؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ولم يُفرِّق بين كافر وكافر، وقوله تعالىٰ في المنافقين: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٤٦، ١٤٧]، والمنافقون ممَّن آمن ثُمَّ كفر».

ومن كان صادقًا في توبته من الردَّة؛ قُبلت توبته وإن تكرَّر منه الكفر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ [النساء: ١٣٧].

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قوله ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾؛ لأنَّ الإيمان لم يستقرَّ في قلوبهم، ولو استقر الإيمان في قلوبهم ما كفروا».

---

(١) الإنجاد في أبواب الجهاد (ص٣٨٣).

(٢) تفسير سورة النساء (٢/ ٣٣٨).

وصدق شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن أسلم يقينًا رسخت كلمة التَّوحيد في قلبه، وثبوتها في القلب تزكو به الأقوال والأفعال؛ لأنَّها حقائق التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أخبر أنَّ الكلمة الطَّيِّبة تثمر لقائلها عملًا صالحًا كلَّ وقت».

ومن كان إسلامه حقًّا ويقينًا؛ حفظه الله عليه، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أثبتُ القول كلمة التَّوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبِّت الله بها عبده في الدُّنيا والآخرة».

وقال العلَّامة عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «دلت الآية: أنَّهم إن لم يزدادوا كفرًا بل رجعوا إلىٰ الإيمان، وتركوا ما هم عليه من الكفران؛ فإن الله يغفر لهم، ولو تكررت منهم الردَّة.

وإذا كان هذا الحكم في الكفر؛ فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولىٰ: أن العبد لو تكررت منه، ثم عاد إلىٰ التوبة؛ عاد الله له بالمغفرة».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «إذا ظهر من هذا الذي

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٣٤٦).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٢٠٨).

(٤) تفسير سورة النِّساء (٢/ ٣٤٠).

تكرَّرت ردَّته الإيمان الصَّحيح والاستقامة وصلاح الحال؛ فإنَّنا نقبل منه ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٧]، وهذا هو الأصحُّ أنَّ من تكرَّرت ردَّته يجب أن نتأنَّىٰ في قبول توبته حتىٰ نعرف صدق توبته، وصلاحه واستقامته، وأنَّه تاب توبةً نصوحًا».

والذي يُقتل من غير استتابة هو الزِّنديق، الذي تكرر منه سبُّ الإسلام والدِّين والرَّسول ﷺ، وإن أظهر التَّوبة؛ فالأظهر الأرجح كذبه في دعوىٰ التوبة؛ لأنَّ توبته لم يظهر منها تغيُّر حاله، واستمراره علىٰ محاربة الإسلام بسبِّه أقوىٰ في الدِّلالة علىٰ كفره.

فالزِّنديق الذي يتكتَّم كفره ويظهر إسلامه، إذا أظهر كفره بسب الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ودين الإسلام؛ يُحكم بكفره وردَّته وبمحاربته لله ورسوله؛ لأنَّ سبَّه لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ ودين الإسلام إظهارٌ لحقيقة كفره وإعلان به، قال النبيُّ ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»، رواه البخاري ومسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الزنديق والمنافق إنَّما يُقتل إذا تكلم بكلمة حكم بالظاهر، لا بالباطن».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن الزنديق هذا دأبه دائمًا، فلو قُبلت توبته لكان

(١) الصارم المسلول (ص٣٥٧).

(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٦٢٧، ٦٢٨).

تسليطًا له علىٰ بقاء نفسه بالزندقة والإلحاد، وكلما قدر عليه أظهر الاسلام وعاد إلىٰ ما كان عليه، ولا سيما وقد علم أنه أَمِن بإظهار الاسلام من القتل؛ فلا يَزَعُه خوفه من المجاهرة بالزندقة والطعن في الدين ومسبَّة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فلا ينكفُّ عدوانه عن الإسلام إلا بقتله. وأيضًا فإن من سبَّ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ وسعىٰ في الأرض فسادًا؛ فجزاؤه القتل حدًّا، والحدود لا تسقط بالتوبة بعد القدرة اتفاقًا، ولا ريب أن محاربة هذا الزنديق لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ وإفساده في الارض أعظم محاربة وإفسادًا».

ومن أظهروا الإسلام بعد الردَّة، وكانوا غير مؤتمنين علىٰ ما أظهروه؛ فهؤلاء يحتاط في أمرهم حتىٰ يتميَّز حالهم من الصِّدق أو الكذب، ولا يُولىٰ هؤلاء أمور المسلمين، ولا يُجعلون في الجند ولا في حفظ ثغور المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم؛ فإنَّه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذِّئاب لرعي الغنم؛ فإنَّهم من أغش النَّاس للمسلمين ولولاة أمورهم، وهم أحرص النَّاس علىٰ فساد المملكة والدَّولة».

وكان من فقه الصَّحابة في معاملة من ارتابوا في صدق توبته من الردَّة؛ الاحتياط في أمرهم إلىٰ أن يتبيَّن حالهم.

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٥٥، ١٥٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم، فلا يُتركون مجتمعين، ولا يُمكنون من حمل السلاح، ولا أن يكونوا من المقاتلة، ويُلزمون شرائع الاسلام: من الصلوات الخمس، وقراءة القرآن، ويُترك بينهم من يُعلِّمهم دين الاسلام، ويُحال بينهم وبين مُعلمهم».

وقال شيخ الإسلام[2]: «هذا الذي فعله الصحابة بأولئك المرتدين بعد عودهم إلىٰ الاسلام يُفعل بمن أظهر الإسلام والتهمة ظاهرة فيه؛ فيُمنع أن يكون من أهل الخيل والسلاح والدرع التي تلبسها المقاتلة، ولا يُترك في الجند من يكون يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ويلزمون شرائع الاسلام حتىٰ يظهر ما يفعلونه من خير أو شرٍّ. ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة؛ أُخرج عنهم، وسُيِّر إلىٰ بلاد المسلمين التي ليس لهم فيها ظهور؛ فإمَّا أن يهديه الله تعالىٰ، وإما أن يموت علىٰ نفاقه من غير مضرَّة للمسلمين».

وحذَّرنا الله من الردَّة لأي عرض مهما كان، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ من تبديل الإسلام بالكفر من أجل الدُّنيا، فقال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدُّنيا**»، متَّفق عليه من حديث

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٥٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ١٥٨).

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إنَّ الانتقال عن الدِّين لا يقع إلا عن شبهة قادحة في القلب، أو شهوة قامعة للعقل».

❁ ❁ ❁

(١) الصارم المسلول (ص٣٦٤).

الحدود والتعزيرات
من ولاية القضاء

الذي يقيم الحدود والتعزيرات هو السُّلطان وليُّ الأمر، وقد كان يتولَّىٰ ذلك النبيُّ ﷺ بنفسه أو من يعهد إليه بذلك.

ومن فقه الصَّحابة المعلوم ردُّ إقامة الحدود والتعزيرات لولاة الأمر؛ لأنَّهم المناط بهم إقامتها؛ قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لابُدَّ للنَّاس من إمارة برَّة كانت أو فاجرة»، فقيل: يا أمير المؤمنين! هذه البرَّة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟

فقال: «تُقام بها الحدود، وتأمن بها السُّبُل، ويجاهد بها العدو، ويُقْسَم بها الفيء».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «أربع من أمر الإسلام إلىٰ السُّلطان: الحكم، والفيء، والجهاد، والجمعة».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «إقامة الحدود إلىٰ الأئمة».

وقال ابن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «ليس للنَّاس أن يقتص بعضهم من بعض، وإنَّما ذلك للسُّلطان، أو من نصبه السُّلطان لذلك، ولهذا جعل الله السُّلطان لقبض أيدي النَّاس».

---

(١) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، رواية حرب الكرماني (ص٣٩٢).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٨٠).

(٣) شرح صحيح البخاري (٨/ ٥١٧).

وقال العلَّامة الفقيه ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قَتْلُ المُرتدِّ إلىٰ الإمام، حُرًّا كان أو عبْدًا.

وهذا قول عامة أهل العلم، إلَّا الشافعي، في أحد الوجهين في العَبْد، فإن لسيِّده قتله؛ لقول النبي ﷺ: «**أقيموا الحدود علىٰ ما ملكت أيمانكم**».

ولأنَّ حفصة قتلت جارية سحرتها.

ولأنه حقُّ الله تعالىٰ، فملك السيِّدُ إقامته علىٰ عبده؛ كجلد الزاني.

ولنا أنه قَتْلٌ لحقِّ الله تعالىٰ، فكان إلىٰ الإمام؛ كرجم الزَّاني، وكقتل الحُرِّ.

وأما قوله: «**وأقيموا الحدود**»، فلا يتناول القتل للرِّدَّة؛ فإنه قتل لكفره، لا حدًّا في حقِّه.

وأمَّا خبر حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فإن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تَغَيَّظَ عليها، وشقَّ ذلك عليه.

وأما الجَلْدُ في الزِّنىٰ؛ فإنَّه تأديب، وللسيِّد تأديب عبده، بخلاف القتل».

وقال القاضي أبو يعلىٰ الفراء الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ الحدود تدخل في ولاية القضاء».

وفي الدُّول التي تعطَّلت فيها أحكام الشَّريعة لا يمكن لآحاد النَّاس إقامة الحدود؛ لأنَّ النَّاس ربَّما لا يقيمونها بشروطها، وربَّما اتَّخذ ذوو الضَّغائن من ذلك ذريعةً إلىٰ قتل النَّاس والعدوان عليهم بدعوىٰ أنَّه وجب في حقِّهم إقامة

---

(١) المغني (١٢/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٢) الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٨٥).

الحدِّ أو التَّعزير، والمفاسد الأشدُّ تُدرأ بما هو دونها في الشرِّ.

قال العلَّامة عبد اللَّطيف بن عبد الرَّحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ عامة النَّاس ليس لهم أن يفتاتوا علىٰ وليِّ الأمر في الحدود والتَّعزيرات إلا بإذنه، وقد عرفتم حال أكثر الولاة في عدم الاهتمام بهذا الأصل، فالافتيات عليهم بالحبس والضَّرب، ونحو ذلك؛ مفسدةٌ تمنعها الشَّريعة، ولا تقرُّها، ودرء المفاسد مقدَّم علىٰ جلب المصالح».

وفي النَّواحي التي تعطَّلت فيها الأحكام الشَّرعيَّة؛ أصابها الله بعقوبات قدريَّة كونيَّة بحسب ما أسخطوا الله، وبحسب غلبة الشرِّ وكثرته، وبما قاموا به من دفع أسباب سخط الله بالتَّوبة والأعمال الصَّالحة.

وممَّا أصاب بعض هذه النَّواحي من العقوبات الإلهيَّة بسبب تعطيل أحكام الشَّريعة: الشَّحناء والفرقة بين شعوبهم، وتسليط العدوِّ، ونقص الأموال والأنفس، والخوف وضياع الأمن، ونقص وقلَّة البركة.

وقد أخبرنا النبيُّ ﷺ أنَّ هلاك بني إسرائيل كان بسبب إقامتهم الحدود علىٰ الضُّعفاء دون الأقوياء، ففي الصَّحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّما أهلك الذين قبلكم؛ أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحدَّ**».

---

(١) عيون الرَّسائل (١/ ٢٤٠، ٢٤١).

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من كان لا يقيم الحدَّ إلَّا علىٰ الضَّعيف، ويمنعه عن الشَّريف؛ هلك، فهذا سبب الهلاك؛ لأنَّ بني إسرائيل هلكت بذلك، ونحن وبنو إسرائيل سواء عند الله إذا لم نتميَّز بما ميَّزنا الله به؛ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ليس بين الخلق وبين الله نسب حتىٰ يقرِّب أحدًا لنسبه وقرابته وصلته؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فما أصاب بني إسرائيل حين عطَّلوا الحدود سيصيبنا إذا عطَّلنا الحدود، والواقع شاهد بهذا، أتَرَوْن هلاكًا أشدَّ من هلاك الأمَّة الإسلاميَّة الآن؟! عددها مليار، فهي بالنِّسبة للعالم تقارب الربع، وليس لهم في المجتمع العالمي قيمة، مع أنَّ عندهم القوَّة المعنويَّة، والقوَّة الماديَّة، والقوَّة البشريَّة، لكن لمَّا أضاعوا دين الله أضاعهم الله عَزَّ وَجَلَّ، حتىٰ كان الإنسان ربَّما يركن إلىٰ الذين ظلموا من الكفَّار أكثر ممَّا يركن إلىٰ إخوانه من المسلمين، وهذه مصيبة».

الله يهِّيئ للمسلمين أسباب تحكيم شرع الله؛ فإنَّ معظم الشرِّ الذي أصاب المسلمين وبلادهم يرجع إلىٰ تعطيل شرع الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الحكم بما أنزل الله فيه صلاح الدُّنيا والآخرة، والحكم بغير ما أنزل الله فيه فساد الدُّنيا والآخرة».

---

(١) التَّعليق علىٰ السِّياسة الشَّرعيَّة (ص١٩٦، ١٩٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٠٢).

وسطية شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي ممَّا دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة، وهي مبيِّنةٌ لوسطيَّته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الغلاة الخوارج الذين يكفِّرون بالمعاصي، والمرجئة الذين أبطلوا أو عطَّلوا أحكام الردَّة.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنَّما أمر بالتَّوحيد ونهىٰ عن الشِّرك، وهذه دعوة المرسلين والنبيِّين جميعًا عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والناس بسبب الجهل وتضليل دعاة الشرك صدوا عن دعوته، بنسبته إلىٰ تكفير المسلمين، وهذا من الكذب علىٰ شيخ الإسلام، ومن التَّعاون علىٰ الشِّرك والإثم والعدوان.

وواجب المسلمين جميعًا الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك، وهذا من أجل ما يكون من التَّعاون علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، قال تعالىٰ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

وعائدة التَّوحيد وإخلاصه لله، وتجريد الاعتقاد والقول والعمل من شوائب الشِّرك علىٰ الأفراد والمجتمعات؛ التَّزكية والنَّماء والبركة والنُّصرة من الله.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ورثة الأنبياء، قام بدعوتهم، فأصابه ما أصابهم من عدوان وأذىٰ وسفه المبطلين، الذين شنَّعوا عليه زاعمين أنَّه يُكفِّر المسلمين، وهو إنَّما أنكر الشِّرك الذي أنكرته الرُّسل، وأجمع المسلمون علىٰ أنَّه من أسباب الردَّة.

قال العلَّامة عبد اللَّطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنه – شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – قد نشأ في أُناس قد اندرست فيهم معالم الدِّين، ووقع فيهم من الشرك والبدع ما عمَّ، وطمَّ، في كثير من البلاد، إلا بقايا متمسكين بالدين، يعلِّمهم الله تعالىٰ؛ وأما الأكثرون: فعاد المعروف بينهم منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنَّة بدعة، والبدعة سنَّة، نشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير.

ففتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبياءه، فعرف الناس ما في كتاب ربِّهم من أدلة توحيده، الذي خلقهم له، وما حرَّمه الله عليهم، من الشرك الذي لا يغفره إلَّا بالتوبة منه، فقال لهم ما قال المرسلون لأممهم: أن ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فحجب كثيرًا منهم عن قبول هذه الدعوة ما اعتادوه ونشئوا عليه من

(١) الدرر السنيَّة (١/ ٤٤٢).

الشِّرك، والبدع؛ فنصبوا العداوة لمن دعاهم إلىٰ توحيد ربِّهم وطاعته، وهو: شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن استجاب له وقبل دعوته، وأصغىٰ إلىٰ حُجَج الله وبيِّنَاته، كحال من خلا من أعداء الرسل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١]».

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنكر شرك من عبد الحجر والشَّجر والبشر مما لا يختلف المسلمون في كفره وشركه وردَّته.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «عظائم في بلدكم تضاد أصلي الإسلام: شهادة أن لا إلَه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله.

منها - وهو أعظمها - عبادة الأصنام عندكم، من بشر، وحجر؛ هذا يُذبح له، وهذا يُنذر له، وهذا يُطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفان؛ وهذا يدعوه المضطر في البر والبحر، وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة، ولو عصىٰ الله!

فإن كنتم تزعمون: أن هذا ليس هو عبادة الأصنام، والأوثان، المذكورة في القرآن؛ فهذا من العجب؛ فإني لا أعلم أحدًا من أهل العلم يختلف في ذلك، اللهم إلّا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود، من إيمانهم بالجبت والطاغوت».

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أما الذي أنكرناه

---

(١) الدُّرر السنيَّة (١/ ٥٣، ٥٤).

(٢) الدُّرر السنيَّة (١/ ١٤٤).

عليهم، وكفَّرناهم به؛ فإنما هو: الشرك بالله، مثل أن تدعو نبيًّا من الأنبياء، أو ملكًا من الملائكة، أو تنحر له أو تنذر له، أو تعتكف عند قبره، أو تركع بالخضوع والسجود له، أو تطلب منه قضاء الحاجات، أو تفريج الكربات».

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منهجه في الحكم علىٰ النَّاس بالكفر والردَّة[1]: «أنا أكفِّر من عرف دين الرسول ﷺ، ثم بعدما عرفه سبَّه، ونهىٰ النَّاس عنه، وعادىٰ من فعله؛ فهذا هو الذي أكفِّره، وأكثر الأمَّة - ولله الحمد - ليسوا كذلك».

ودفع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ شناعة المفترين عليه بتكفير عموم المسلمين، وأبان عن عقيدته ومنهجه بعدم المجازفة بالتَّكفير من غير استيفاء شروطه وانتفاء موانعه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: أنا نكفِّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا علىٰ من قدر علىٰ إظهار دينه، وأنَّا نكفِّر من لم يكفر، ومن لم يقاتل. ومثل هذا وأضعاف أضعافه؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

وإذا كنا: لا نكفر من عبد الصنم الذي علىٰ عبد القادر، والصنم الذي علىٰ قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبِّههم، فكيف نكفِّر من لم

(١) الدُّرر السنيَّة (١/ ٧٣).

(٢) الدُّرر السنيَّة (١/ ١٠٤).

يشرك بالله؟! إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ [النور: ١٦]».

ولا يزال العلماء المحقِّقون - ومنهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأئمَّة الدَّعوة من تلاميذه - يستدلُّون بحديث الذي أوصىٰ إن مات أن يُحرَّق بعد موته ويُلقىٰ في اليمِّ خوفًا من الله - رواه البخاري ومسلم - علىٰ عدم تكفير المعيَّن لشبهة عرضت له حتَّىٰ تقوم عليه الحجَّة.

قال العلَّامة المجدِّد عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

«ولشيخ الإسلام أبي العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا المعني كلام يعرفه أهل العلم، وقد استدلَّ بهذا الحديث في مواضع علىٰ عدم تكفير المعيَّن، حتىٰ تقوم عليه الحجَّة الرسالية، وبعد ذلك يُحكم عليه بما تقتضيه تكفيرًا أو تفسيقًا. وهذا في المسائل التي قد تخفىٰ علىٰ بعض الناس؛ كعموم القدرة علىٰ جمع أجزاء هذا الميت المحرَّق من البحر والبر والريح، لا سيما في أوقات الفترات واستحكام الجهالة والضلالات. وشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكفر أحدًا ابتداءً بمجرد فعله وشركه، بل يتوقَّف في ذلك حتىٰ يعلم قيام الحجة التي يكفر تاركها».

وفرقُ ما بين دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ والخوارج معلومٌ، لا يجهله أو يُغالط فيه إلا عدوٌّ للإسلام والمسلمين، يريد هدم الإسلام من أساسه بتبرير الشِّرك، والسَّعي في هدم التَّوحيد بالشَّناعة عليه؛ لتفسد عقائد

---

(١) مصباح الظَّلام في الرَّدِّ علىٰ من كذب علىٰ الشيخ الإمام (ص٥١٦)، ط: دار العاصمة.

المسلمين، وتتحوَّل شعائر وشرائع الإسلام إلىٰ عبادة الموتىٰ والتبرُّك بالشَّجر والحجر؛ فيسخط الله علىٰ من أشرك به، وتكون عاقبته النَّار، ويتسلَّط الأعداء علىٰ من غضب الله عليه؛ لشركه وعداوته لدعوة المرسلين.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الخوارج إنما خالفوا السلف، وانفردوا عن أهل السنَّة بالتكفير بالذنوب التي دون الشِّرك، ودون ما يوجب الكفر.

وأهل العلم قاطبة فرَّقوا بين هذا وبين رأي الخوارج، وعقدوا أبوابًا مستقلَّة في أحكام المرتدين، واتفقوا علىٰ التكفير بإنكار الوحدانية، واتخاذ الآلهة من دون الله، كما عليه عُبَّاد القبور وعُبَّاد الملائكة والأنفس المفارقة.

وجعلوا هذا أظهر شعائر الإسلام، وأعظم قواعده، وأكبر أركانه».

وممَّا بهت به المفترون شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ادَّعوه عليه من أنَّه يُكفِّر من لا يدخل في طاعته.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «سبحانك هذا بهتان عظيم. بل نُشهد الله علىٰ ما يعلمه من قلوبنا بأنَّ من عمل بالتوحيد وتبرَّأ من الشرك وأهله؛ فهو المسلم في أيِّ زمان وأي مكان، وإنما نكفِّر من أشرك بالله في إلهيته بعدما تبيَّن له الحجة علىٰ بطلان الشرك. وكذلك نُكَفِّر من حسَّنه للناس

---

(١) مصباح الظلام (ص٥٩٣).

(٢) مصباح الظَّلام (ص١٧٧).

أو أقام الشبه الباطلة علىٰ إباحته. وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يُشرك بالله عندها وقاتل من أنكرها وسعىٰ في إزالتها».

وأعظم ما كان ينقمه دعاة الشِّرك والجاهلون علىٰ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكفيرُ من دعا غير الله، وجعل بينه وبين الله واسطة في دعائه، واستغاث بالموتىٰ، وهذا مما أجمع العلماء علىٰ أنَّه من أنواع الردَّة.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدِّثًا عن عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومبيِّنًا موافقته لإجماع العلماء في الحكم بردَّة من أشرك بالله[1]: «في «الإقناع» من كتب الحنابلة، التي تُعتمد عندهم في الفتوىٰ؛ وأجمعوا علىٰ: وجوب قتل المرتد، فمن أشرك بالله تعالىٰ كفر بعد إسلامه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، أو جحد ربوبيته، أو وحدانيته، كفر؛ لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالىٰ - إلىٰ أن قال -: قال الشيخ: أو كان مبغضًا لرسوله ﷺ، أو ما جاء به اتفاقًا، أو جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم ويتوكَّل عليهم، ويسألهم، كفر إجماعًا؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام، قائلين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]».

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يُكفِّر الشُّعوب المسلمة بالعموم والجملة، ومع هذا لا يكتم الحقَّ الذي دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة من شرِّ

(١) الدُّرر السنيَّة (١/ ٤٣٦، ٤٣٧).

الشِّرك المحبط للإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال النبيُّ ﷺ: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النَّار**»، رواه البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال رسول الله ﷺ: «**من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنَّة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النَّار**»، رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدَّىٰ حقَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بتوحيده والدَّعوة إليه، والبراءة من الشِّرك والتَّحذير منه، وأدَّىٰ حقَّ المخلوق فلم يُكفِّر من كان مسلمًا ولم يشرك بالله شيئًا.

قال العلَّامة عبد اللطيف بن عبد الرَّحمن آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ما رأيت شيخ الإسلام أطلق علىٰ بلد من بلاد المنتسبين إلىٰ الإسلام أنها بلد كفر، ولكنه قرَّر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر والتوكُّل، علىٰ أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات؛ هو دين المشركين وفعل الجاهليين الضالين من الأميين والكتابيين، فظن هذا أنَّ لازم قوله أنه يحكم علىٰ هذه البلاد أنها بلاد كفر، وليس هذا بلازم».

علىٰ كل حال دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ محتواها

---

(١) مصباح الظَّلام (ص٢٣).

دالٌّ علىٰ حقيقتها، وهي اتِّباع القرآن والسُّنَّة.

دعوة التَّوحيد لله عَزَّوَجَلَّ والنَّهي عن عبادة البشر والشَّجر والحجر؛ هي دعوة المرسلين جميعًا، جدَّدها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب، وهي دعوة الحقِّ، والمستغيثون بالموتىٰ وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله من النَّصر والرِّزق وقضاء الحاجات وتفريج الكربات، شنآنهم لدعوة التَّوحيد ما هو إلا استطالة ضالين مصرِّين علىٰ نصرة الباطل.

دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قامت علىٰ الأمر بعبادة الله والكفر بما يُعبد من دونه، لا يرتاب المنصفون أنَّها دعوة المرسلين، وأنَّها دعوة الحقِّ.

ولا يُستغرب من دعاة الشِّرك الكذب علىٰ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بنسبته إلىٰ تكفير المسلمين، فمن افترىٰ علىٰ الله الكذب بالشِّرك فما أهون الكذب عليه بالكذب علىٰ دعاة التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ومن بُلي بظلم الشرك نصر هذا الظلم بظلم دعاة التَّوحيد بالكذب عليهم، وبردِّ معاني القرآن والسُّنَّة الدَّالَّة علىٰ تجريد التَّوحيد لله عَزَّوَجَلَّ وعبادته وحده والكفر بما يُعبد من دونه، وظلم فطرته وعقله الدَّالَّين علىٰ كمال الله ونقص الأنداد التي تُدعىٰ معه.

فمقابلة الحقِّ والدَّعوة للتَّوحيد والنَّهي عن الشِّرك بالإعراض والظُّلم

والكذب والعدوان؛ كلُّه من الصدِّ عن سبيل الله.

ومنشأ من عادىٰ دعوة التَّوحيد هو الجهل بحقيقتها، ومنهم من عاداها تعصُّبًا لضلاله بسبب سوء قصده ورغبته عن الحقِّ وإصراره علىٰ الباطل.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من دعاة التَّوحيد المخلصين لله النَّاصحين لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ والمسلمين.

* * *

الخاتمة

المسلم متىٰ أسلم لله بتلقِّي عقائده وأحكامه وعباداته من معينه الصَّافي من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الذين تلقَّوا الدِّين كُلَّه من النبيِّ ﷺ مباشرة؛ زاد إسلامه قوَّة ويقينًا بصحَّة دين الإسلام، ورغب فيه ولم يرغب عنه، فقد وجد فيه: صدق الوحي، وعدل أحكامه، وتزكية الأفراد والأمم؛ ما أوجب له التشبُّث والتمسُّك به، بل والدَّعوة إليه؛ عبوديَّة لله، ثم إبراءً للذمَّة، وإحسانًا ورحمة وشفقة بالخلق لعتق رقابهم من النَّار.

والمسلم يعلم أنَّه مستخلف في الدُّنيا ليُحاسب في الآخرة، فهو في عبوديَّة الله ما دام في هذه الدُّنيا، ساعٍ في أسباب النَّجاة من النَّار ودخول الجنَّة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار هو لمن أسلم لله وحقَّق توحيده بعبوديَّة الله، وداوم علىٰ تقوىٰ الله ما دام حيًّا؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والمسلم مستمسك بالوحي، مقيم لشرائع وشعائر الإسلام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠]، مستعين بالله في الثَّبات علىٰ سلوك الصِّراط المستقيم الموصل إلىٰ جنات

النَّعيم، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

واستعانة المسلم بالله في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة؛ هو سبب هدايته وثباته علىٰ الدِّين الحقِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

والمسلمون صادقون في إسلامهم، لا يشترون الشرك بالتَّوحيد، ولا يتبدَّلون الكفر بالإيمان، ولا الضَّلالة بالهدىٰ، ولا البدعة بالسُّنَّة، فضلًا عن أن يبيعوا جنَّة الآخرة بالشِّرك والكفر والإلحاد، ولا يفعل ذلك إلا من بخس التَّوحيد حقَّه، وغبن نفسه وظلمها، وآثر الباطل علىٰ الحقِّ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

أيُّها المنعَم عليه بالهداية للإسلام اعرف قدر هذه النِّعمة، واشكرها ولا تكفرها، شرع كلُّه يدعو إلىٰ: أزكىٰ الاعتقادات، وأحسن الأحكام والمعاملات، وأقوم الأخلاق، وأنفع السِّياسات، وتحصيل مصالح الدُّنيا والآخرة، ما من خير إلَّا وقد دلَّ عليه وهدىٰ إليه، وما من شرٍّ إلَّا وحذَّر منه ونهىٰ عنه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

أيُّها المُنْعَمُ عليه بنعمة الإسلام، إذا نعق الضَّالُّون والمغضوب عليهم

والعلمانيُّون والمبتدعون بما يضادُّ الإسلام؛ فأجب داعي الله واحذر دعاة جهنم، وليكن دينك وعقيدتك ومنهجك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

والمسلم يُحقِّق توحيده بأن يجعل كلمة الله هي العليا، بأن يكون ما يقوله الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ هو الأعلىٰ علىٰ كل قول، وذلك هو الكتاب ثم السُّنَّة، فيكون قائمًا بكلمة الله(١).

أسأل الله أن يحفظ للمسلمين إسلامهم، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات.

❁ ❁ ❁

---

(١) الإخنائية (ص٣٧٩).

دليل المحتويات

الموضــوع	الصفحة
المقدمة	٣
نواقض الإسلام: **الأول**: الشرك	٦
سبب ابتداء المصنِّف بالشرك	٦
حقيقة الشرك ومعناه	٢٢
أنواع الشرك: الأكبر والأصغر	٥٠
الثاني: اتخاذ الوسائل في دعاء الله	١١٤
اتخاذ الوسائل في دعاء الله من أغلظ أنواع الشرك	١٣٠
الثالث: من لم يُكفِّر الكافر	١٣٥
مقصود شيخ الإسلام بعبارته	١٤٤
الرابع: تفضيل هدي غير النبي ﷺ عليه	١٤٧
الخامس: بغض شيء من الشَّريعة	١٩٥
السادس: الاستهزاء بشيء من الدين	٢٠١
السابع: السحر	٢٤٦

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين ٢٩٣
التاسع: الخروج عن الشريعة ٣٤٥
العاشر: الإعراض عن الدين ٣٧٠
موانع الردَّة ٣٨٧
عقوبة المرتد ٤٠٣
توبة المرتد ٤٠٥
الحدود والتعزيرات من ولاية القضاء ٤١٧
وسطية شيّخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ٤٢١
الخاتمة ٤٣١
دليل الموضوعات ٤٣٥

❁ ❁ ❁